إطلالة على التراث الحربى

الاستراتيجية الحربية

فى إدارة المعارك فى الإسلام

تأليف

دكتور عبد الرحمن عميرة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٦

عميرة ، عبد الرحمن
الاستراتيجية الحربية : إدارة المعارك فى تاريخ الإسلام / تاليف : عبدالرحمن عميرة .ـ القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦.
٣٧٢ ص ؛ ٢٤ سم
تدمك X ٤١١ ٤١٩ ٩٧٧
١ ـ الاستراتيجية
٢ ـ المعارك الحربية الإسلامية
(أ) العنوان :

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٥٤١/ ٢٠٠٦

I.S.B.N 977 - 419 - 411 - X

ديوى ٣٥٥,٤٣

الإهـــداء

إلى الشباب المؤمن المجاهد العائد إلى ربه ودينه بشوق ولهفة، إلى الشباب المقاتل الذين خاضوا المعارك ضد العدو الصهيونى فكسروا غروره ودمروا معداته ثم عادوا إلى وطنهم الحبيب وهم أكثر صلابة وقوة. إلى النفوس الأبيَّة التى تحمل كتاب الله للتشريع وتنظيم الحياة فى يد، وتحمل فى الأخرى المدفع والصاروخ لرفع كلمة الله عالية خفَّاقة.

عبدالرحمن عميرة

الإخراج الفنى :

ماجدة البنا

مقدمة

● طريق النصر وشروطه فى الإسلام :

- إعداد العدة - البكور - الجهاد - التربية العقدية.

● الإسلام يصنع أمة الجهاد :

أقسم الله سبحانه وتعالى بالخيل وغبارها، وقدح حوافرها النار لأنها عدة المحارب، وحصن المقاتل، وخيلاء المنتصر.

وأكد ذلك بقوله تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(1).

فالأمة التى تعرف قيمة الحديد - الحديد الذى قال الله تعالى فيه ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾(2).

---

(1) سورة الأنفال آية ٦٠.

(2) سورة الحديد آية رقم ٢٥.

وذلك بتحويله إلى أسلحة للقتال، ومعدات لإرهاب العدو لن تعرف طعم الهزيمة.

والشعب الذى ينفض غبار الكرى فى الأسحار يجيد فن الانقضاض على الأعداء. لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم : «البركة فى البكور».

يصف ابن عباس - رضى الله عنه «استراتيجية المعارك عند أتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - فيقول : كانوا إذا أرادوا الغارة سروا ليلا ويأتون العدو صبحًا لأن ذلك وقت غفلة الناس.

ويصف الله سبحانه وتعالى ما حل بهؤلاء الكسالى بقوله : ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾[1].

ساء صباحهم لأنهم لم يتمذهبوا بمذهب الرجال ولم يتأدبوا بآداب القرآن، ولم يتخرجوا فى مدرسة النبوة.

أما أتباع محمد صلى الله عليه وسلم فيقول أحدهم وهو خالد بن الوليد فى أخريات عمره: «ما ليلة يهدى إلىَّ فيها عروس. أنا لها محب أو أبشر فيها بغلام أحب إلىَّ من ليلة شديدة الجليد فى سرية من المهاجرين أصبح بهم العدو فعليكم بالجهاد»[2].

ومن هنا وصفهم ربهم بقوله تعالى : ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[3].

إنهم فى رباط دائم وصحوة مستمرة.

---

(١) سورة الصافات آية ١٧٧.

(٢) عبقرية خالد للأستاذ عباس محمود العقاد.

(٣) سورة الذاريات آية ١٧.

فى رباط مع ربهم لا يغفلون عنه لحظة ولا ينشغلون عن أوامره خطرة وفى صحوة مستمرة مع أنفسهم. فى صحوة ضد أعداء الدين، أعداء الوطن سمعوا نداء ربهم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[١].

سمعوا ذلك النداء فلبوا صوته وآمنوا أن هذا طريق النصر وتلك هى شروطه : إيمان عميق بالله ورسوله.

وجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس.

والإيمان العميق لن يأتى إلا عن طريق العقيدة. العقيدة التى حملها أتباع محمد صلى الله عليه وسلم؛ فانفتحت أمامهم الدنيا، وانداحوا فى أربعة أركان الأرض حتى كأن الأرض كانت تطوى تحت أقدامهم كما يقول بعض المؤرخين :

إنهم أبناء أمة التوحيد، أمة الإسلام وأتباع محمد - صلى الله عليه وسلم.

وأحباؤه، الذين استجابوا لربهم عندما دعاهم إلى الجنة بقوله :

---

(١) سورة الصف آية رقم ١٠.

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾(١)

هؤلاء الرجال أدبهم رسولهم بكتاب ربهم وصنعهم على عينه.

ثم وضع كل واحد فى مجاله فكأنما خلق له وكأنما كان المكان شاغرا لم يزل ينتظره ويتطلع إليه وكأنما كان جمادا فتحول جسما ناميا وإنسانا متصرفا.

وكأنما كان ميتا لا يتحرك فعاد حيا يملى على العالم إرادته.

وكأنما كان أعمى لايبصر الطريق فأصبح قائدًا بصيرًا يقود الأمم.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾(٢).

- ومن هذه النخبة الممتازة صنع هذه الأمة.
- أمة الأبطال والفرسان.
- أمة تحارب الإلحاد والشرك والفوضى.
- أمة تحارب التخنث والعبث والإباحية.
- أمة تربى أبناءها على الصحوة واليقظة والاستعداد.
- أمة ترفض التبعيّة والانقياد لغير الواحد الأحد.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١١١.

(٢) سورة الأنعام آية ١٢٢.

نعم من هذه النخبة الممتازة صنع الرسول - صلى الله عليه وسلم.

أمة الأبطال والفرسان لذا أعدهم إعدادًا حربيًا وعلمهم استراتيجية المعارك وأسباب النصر.

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾(١).

وقال أيضا : ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(٢).

هكذا علمهم الإسلام إنه لابد للإسلام مع عفوه وسماحته من قوة ينطلق بها فى الأرض لتحرير الإنسان وأول ماتصنعه هذه القوة. أن تؤمن الذين يختارون الإسلام عقيدة على حريتهم فى اختيارها فلا يُصدُّوا عنها.

الأمر الثانى : أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكرون فى الاعتداء على بلاد الإسلام.

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢.   (٢) سورة الأنفال آية ٦٠.

الأمــر الثــالث : أن يبلغ الرعب بهــؤلاء الأعـداء ألا يفكرون فى الوقوف فى المد الإسلامى.

وهذه القوة يقوم بها الرجال الذين لايرهبون الموت ولا الأسر.

﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾(١).

﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(٢).

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾(٣).

ولكن النصر فى النهاية لن يكون بقوة السلاح.

ولن يكون بعدد الجنود.

ولن يكون بصلابة القلاع والحصون.

وكل هذه الأشـيـاء عـوامل لابد منهـا فى الجـيش المقـاتل، لا يمكن إغفالها بحال من الأحوال.

ولكنها ليست سببًا للنصر.

ولن يتحقق النصر عن طريق العبادة ولا عن طريق القوة الروحية بل يتحقق النصر عن طريق معرفة الله فحسب.

ولن يتحقق النصر عن طريق فرد من الأفراد، أيًا كان هذا الفرد رسولاً أو غير رسول.

النصر فى النهاية من عند الله.

---

(١) سورة التوبة آية ٥١.
(٢) سورة آل عمران آية ١٤٥.
(٣) سورة الأنفال آية رقم ١٢.

فقد يكون المسلمون ضعفاء فى قوة العدد وضعفاء فى قوة السلاح وفى غير استعداد كامل ومع ذلك يحققون النصر.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(1).

وقد يكونون أقوياء أكثر عددًا وعدة ومع ذلك لا يحققون النصر وينهزمون..

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(2)

وإذا كان النصر من عند الله.

فعلام يترك الجهاد.؟

وتحتل البلاد، ونعيش فى خوف ورعب.؟

ومم نخاف.؟ أمن القتل.؟

ومتى كان المسلمون يحرصون على الحياة وكتابهم يقول :

﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(3).

قدمت الآية القتل لأن المؤمنين لا يتشبثون بالبقاء، ولا يحرصون على هذه الدنيا.

ولكنهم يحرصون فقط على دينهم أو يموتون دونه.

---

(1) سورة آل عمران آية ١٢٣.

(2) سورة التوبة آية ٢٥.

(3) سورة النساء آية ٧٤.

وإذا خرجوا لملاقاة الأعداء كان نصب أعينهم إما النصر وإما الشهادة ولم يكن حب البقاء فى حسابهم قط.

ولهذا قال رسول المسلمين فى مجلس ملك الفرس :

«جئنا لكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم الحياة».

وإذا كان النصر من عند الله.

فالهزيمة بسبب سلوك الأفراد.

بسبب بعدهم عن الله.

الهزيمة بسبب المعاصى التى يرتكبها المجتمع.

﴿..وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[1].

وبهذا الفهم لطبيعة الجهاد فى الإسلام. خرج فرسان النهار رهبان الليل من الجزيرة العربية، ينشرون الأمن بعد الخوف والنور بعد الظلام والهدى بعد الضلال.

خرجوا يحملون المصحف للهداية والسيف لإزالة الباطل وانداحوا فى أرض فارس وحققوا الكثير من النصر.

ثم اعترضتهم مشكلة العبور.

إن أمامهم نهرًا.

والعرب ليست لهم خبرة به وكانوا دائما يتحاشون عبوره ويتجنبون ركوبه.

---

(١) سورة الشورى آية ٣٠.

ولكنهم الآن غيرهم بالأمس.

بالأمس كانوا يحرصون على الحياة.

ولكنهم الآن يحرصون على الشهادة.

بالأمس كانوا يحرصون على نشر أمجاد القبيلة.

ولكنهم الآن يحرصون على نشر دين الله وتلك هى بغيتهم من الخروج.،

وأصدر «سعد» أمره إلى الجيش بعبور «نهر دجلة» وقبل أن يبدأ الجيش عملية العبور فطن القائد «سعد» إلى وجوب تأمين مكان الوصول على الضفة الأخرى التى يرابط العدو حولها. وعندئذ جهز كتيبتين.

الأولى : وأطلقوا عليها «كتيبة الأهوال»، وأمر «سعد» عليها عاصم ابن عمرو.

والثانية : وأسماها «الكتيبة الخرساء» وأمَّر عليها القعقاع بن عمرو. وكان على جنود هاتين الكتيبتين أن يخوضوا الأهوال لكى يفسحوا على الضفة الأخرى مكانا للجيش العابر على أثرهم، ولقد أدوا عملهم بمهارة مذهلة.

ونجحت خطة «سعد» يومئذ نجاحًا يذهل له المؤرخون.

ولقد كان العبور هذا باسم الله. والتوكل عليه.

وإذا كان القتال باسم الله، وإذا كانت الحرب لرد العدوان والطغيان إذا كانت الحرب لنصرة الذين استضعفوا.

فلن يفلح أن يكون فى الجانب الآخر ترسانات من الأسلحة أو لن يجديهم نفعًا أن يكدسوا الفانتوم. أو «ف» ١٥، ١٦، أو حتى الألف طن.

ولن يفيدهم قلامة ظفر الأسلحة الجديدة والقديمة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١).

ولأن قتال المؤمنين بإشارة من الله.

وبإذن منه.

وبتوقيته وقدره.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(٢).

لقد كان من أسباب الهزيمة فى حرب ٦٧ كما وضحها بعض القادة:

وجود الباخرة «لبرتى» Liberty.

باخرة بأجهزة معقدة.

تلتقط إشارتنا وبياناتنا.

وتكشف خططنا.

وتقرأ أفكارنا.

وتكاد تعد علينا أنفاسنا.

ويتكشف لها الغيب فتعرف ما نأتى وما ندع.

---

(١) سورة الحج آيه ٣٨.

(٢) سورة الحج آية ٣٩.

أحقًا كان ذلك.؟

إن هذه الأجهزة - وبهذه الصورة - قد توجد وقد لا توجد.

قد تخطئ وتصيب.

قد تنجح وقد تخيب.

إنها مرحلة من العلم، والعلم لا يزال قاصرًا فى ميدان الحياة ولايزال قاصرًا فى ميدان الحروب.

والعلم لا يعرف الكلمة الأخيرة.

ولكن المسلمين كان لديهم السلاح الذى لا يخيب.

كانت عندهم شفافية الإيمان.

وإشراقة الإحسان.

كان عندهم (الرادار) الذى ينقل.

والأجهزة التى تصور.

كانت عندهم فراسة المؤمن وهى أقوى الأسلحة وأعتى الحصون لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

«اتقوا فراسة المؤمن لأنه ينظر بنور الله»[1].

وفى إحدى المعارك الطاحنة بعيدًا عن الجزيرة العربية هناك على أرض نهاوند.

---

(١) قال فى الدر رواه الطبراني والترمذ ى من حديث أبى أمامة وأخرجه الترمذى من حديث أبي سعيد ورواه الطبرانى وأبو نعيم والعسكرى عن ثويان رفعه بلفظه احذروا دعوة المسلم وفراسته فإنه ينظر بنور الله، ورواه العسكرى عن أبى الدرداء موقوفًا بلفظ: «اتقوا فراسة العلماء فإنهم ينظرون بنور الله».

يرى القائد الأول للجيش الإسلامى - عمر بن الخطاب رضى الله عنه - جيشه يحاط من الأعداء.

وينزل فى المعركة منزلاً صعبًا.

يراه بنوره يراه بإيمانه.

وهذا شىء محال أن يخطئ لأنه من عند الله.

ومحال أن يكذب لأنه من رب الأرباب.

ويسمع الجيش المؤمن نداء القائد.

يسمع نداءه بتعديل سير المعركة.

وبتغيير خطط القتال.

ياسارية الزم الجبل.

ياسارية الجبل.

ويطيع الجنود أمر القائد الحاضر الغائب.

فيتحقق وعد الله ويكون النصر للمسلمين.

وبهذا الفهم لطبيعة النصر.

وبهذا الوعى لوعد الله لهم.

انداحوا فى أربعة أركان الأرض وطويت الدنيا تحت أقدامهم.

ولم تمض إلا فترة وجيزة، حتى كان صوت المؤذن «الله أكبر» يدوى فى أنحاء المعمورة.

يدوى صوت الله فى الأندلس ويصل حتى مشارف أوروبا.

ويدوى صوت الله فى الصين ويصل إلى آخر حدود السند والهند.

ويدوى صوت الله فى القيروان حتى يصل إلى «بانزرت» آخر مشارف تونس.

ويدوى صوت الله على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ويشمل قبرص وصقلية وكورسيكا.

ويتحول هذا البحر حتى يصبح بحيرة إسلامية.

ويدوى صوت الله على مشارف روسيا ويتوغل فى داخلها ويستولى على ثلاثة أرباعها.

يستولى على بخارى والقوقاز.

يستولى على طشقند وسيبريا.

يستولى على جبال الأورال.

وعلى بحر القزوين.

ويدوى هذا الصوت، صوت الله فى ثلاث قارات آسيا وأفريقيا. وأوروبا وتزال الحدود والسدود السياسية وتتلاشى الحدود السياسية والجغرافية. ويسير المسلم بلا جواز أو هوية سوى جواز الإسلام وهوية التوحيد من فارس حتى مراكش ويصل مدهم إلى آسيا الصغرى.

وينطلق من هذه البلاد الجيش الإسلامى فيفتح البلاد المتاخمة ويحولها إلى قاعدة إسلامية.

ويتوغلون فى أوروبا حتى بلغوا أسوار فيينا.

وقد كتب معتمد القيصر بطرس الأكبر لدى الباب العالى أن السلطان العثمانى يعتبر البحر الأسود كداره الخاصة. فلا يباح دخوله

لأجنبى وأنشأوا أسطولا عظيما لا قبل لأوروبا به حتى أجمعت لسحقه كلاً من جيش إيطاليا والبندقية وأسبانيا والبرتغال ومالطة عام ٩٤٥، ١٥٤٧ ولكن لم تغن عنهم كثرتهم شيئا ثم ولوا مدبرين.

وإذا كانت القسطنطينية التى فتحها مسلمه بن عبدالملك قد استردها أصحابها مرة أخرى. فإن محمد الفاتح استطاع أن يعيدها ثانية عاصمة إسلامية.

قال البارون كارادیفو فى كتابه «مفكرو الإسلام» فى الجزء الأول منه عند ترجمة محمد الفاتح فيما أثبته المودودى.

«إن هذا الفتح لم يقيض لمحمد الفاتح اتفاقًا، ولا تيسر لمجرد ضعف دولة بيزنطية، بل كان هذا السلطان يدبر التدابير اللازمة له من قبل، ويستخدم له كل ما كان فى عصره من قوة العلم، فقد كانت المدافع حينئذ حديثة العهد بالإيجاد فأعمل فى تركيب أضخم المدافع التى يمكن تركيبها يومئذ وانتدب مهندسا مجريا ركب مدفعا كان وزن الكرة التى يرمى بها ٣٠٠ كيلو جرام، وكان مدى مرماه أكثر من ميل.

وقيل : إنه كان يلزم لهذا المدفع ٧٠٠ رجل ليتمكنوا من سحبه، وكان يلزم له نحو ساعتين من الزمن لحشوه، ولما زحف محمد الفاتح لفتح القسطنطينية كان تحت قيادته ثلاثمائة ألف مقاتل، ومعه مدفعية هائلة، وكان أسطوله المحاصر للبلدة من البحر ١٢٠ سفينة حربية، وهو الذى - من قريحته - تصور سحب جانب من الأسطول من البر إلى الخليج وازلق على الأخشاب المطلية بالشحم ٧٠ سفينة أنزلها فى البحر من جهة الجبل[١].

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٤٥.

إذا كان العرب قد استعملوا فى فتوحاتهم السيف ضد المعوقين والواقفين فى وجه دين الله.

وطوروا أسلحتهم فى فتوحات فارس فاستعملوا السفينة والبحر.

واستعانوا فى القضاء على الروم بسلاح الطبيعة فحصروا أعداءهم بينهم وبين البحر وكان هذا من أكبر العوامل لتعجيل النصر.

فإن محمدًا الفاتح فى هذه المرحلة المتأخرة قد عمل على تطوير أسلحته أيضًا.

فلم تعد أسلحة تقليدية.

لم يعد السيف والرمح.

ولا الترس والنبل.

ولكنها كانت المدفع والدبابة.

ووسائل العبور.

وقيام الكبارى، وتطويق الأعداء، والخبرة الأجنبية.

ولا مانع من ذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول :

«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها»(1).

ولأن الإسلام دين التطور، والإسلام دين العقل، والإسلام دين الفكر والإسلام دين العلم دين الاختراع.

ويحث أبناءه دائمًا على اتخاذ العلم سلاحًا إلى السلم، وسلاحًا إلى النصر وسلاحًا لقهر الطبيعة وتسخير الأرض لصالح البشرية.

---

(1) الحديث رواه الترمذى فى العلم ١٩ وابن ماجة فى الزهد ١٥.

تم فتح القسطنطينية التى يقول فيها نابليون :

«لو كانت الدنيا دولة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها».

كتب أندريه موروا فى كتابه «انهيار فرنسا فى الحرب العالمية الثانية يقول : من أهم الأسباب لانهيار فرنسا هو تفسخ الشعب الفرنسى نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده.

وأحست اليابان الحديثة بعدما قطعت شوطًا فى الحضارة والتقدم أن شبابها بدأ يميل للهو والعبث ويتجه إلى الرذيلة والكسل.

فكيف عالجت المشكلة..؟

لم تتجه إلى الشرق والغرب لتستورد منهما الحلول.

ولم تتجه إلى علم النفس لأن نظرياته متقلبه متباينة.

ولم تلجأ إلى حلول المخمورين والمتهوسين والعلمانيين.

بل لجأت إلى الدين مباشرة.

لجأت إلى الدين كعامل من عوامل التوجيه والقوة.

فأصدرت القوانين بألا يوظف شاب فى وظيفة عامة إلا بعد أن يدخل المعبد ويمارس فيه رياضة روحية عنيفة، ويستوعب من الكهنة. تعاليم «بوذا» العظيم[1].

إن انهيار الأمم فى ساحة الحرب. وانهيارها فى ميدان الحياة مرده إلى الرذيلة والترف.

---

(1) رجال مجاهدون للاستاذ توفيق محمد مصدر سابق.

والقرآن الكريم يؤكد هذه النظرية بقوله تعالى :

﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾[1].

وكان من بعض أسباب انهيار العالم القديم أمام ضربات المسلمين التفسخ والانحلال:

التفسخ الذى شمل ضروب الحياة.

والانحلال الذى سرى فى أوصال تلك الأمم.

ومن أجل ذلك انهارت دولة الفرس.

وانهارت دولة الروم.

انهارتا أمام ضربات الرجال.

الرجال الذين تربوا فى مدرسة الإسلام.

الرجال الذين يصفهم رجل من قبيلة قضاعة لقيصر الروم فيقول:

«هم رهبان بالليل فرسان بالنهار، لو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجموه، إقامة للحد.

فقال القائد : لئن كنت صادقًا لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها».

وفى هذه الظروف القاسية المريرة التى تمر بها الأمة الإسلامية يطيب لنا أن نقدم لأحفاد هؤلاء العمالقة استراتيجيتهم الحربية والتى

---

(١) سورة الإسراء آية ١٦.

خرجوا بها من بلادهم. والظلام شامل والجهل حاكم والعقائد زيف وباطل.

فمدَّنوا الدنيا وهذَّبوا العالم وقرروا الحق للإنسان فهل يقتدى الأحفاد باستراتيجية الأجداد لو فعلوا ذلك لعادت إليهم بلادهم المسلوبة وأرضهم المغصوبة ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء.

عبدالرحمن عميرة

●● الباب الأول

الفصل الأول

الاستراتيچية بين السلام والحرب

ويشمل المباحث الآتية:

١ ـ نشأة الاستراتيچية.

٢ ـ تداول كلمة الاستراتيچية وعمومها.

٣ ـ الاستراتيچية العسكرية والفن العسكرى.

٤ ـ أقسام الفن العسكرى.

٥ ـ الخصائص والمهام للاستراتيچية العسكرية.

٦ ـ نظرية الردع فى المعارك الإسلامية.

٧ ـ سبق الاستراتيجية الإسلامية بهذه النظرية.

٨ ـ الخصائص المميزة لاستراتيچية الردع الإسلامى.

٩ ـ استراتيچية الهجمات الوقائية.

قال الله تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

(الأنفال آية ٦١)

«إن استراتيجية الردع تستطيع توليد فن حقيقى للسلم»

اندريه بوفر

نشأة «الاستراتيچية»

متى نشأ مفهوم الاستراتيچية العسكرية..؟

هل نشأ هذا المفهوم عندما أصبحت الحرب ظاهرة حتمية فى حياة الأمم..؟

هل نشأ عن طريق التجارب والمعارك العسكرية خلال سنوات طويلة من عمر البشرية..؟

وهل كان مدلول «الاستراتيچية» التى قعدته العسكرية الحديثة معروفًا لدى القادة العسكريين فى القرون القديمة أمثال الإسكندر الأكبر، وهانيبال، ويوليوس قيصر وغيرهم..؟

إن اللواء الركن جمال الدين محفوظ ينفى هذه الاحتمالات ويقول: «فى القرن الخامس الميلادى جرت المحاولات الأولى لتنظيم معلومات التجارب، والخبرات العسكرية المكتسبة، ووضع المفكرون العسكريون فى الشرق الأقصى أمثال «كونفوشيوس» و«سان تزو» و«ووتزو» مفاهيم أساسية ومبادئ رئيسية للحرب وفى مقدمتها القانون الخاص بتنمية الوحدة بين القائد والأمة».

ثم يقول:

«وظهرت فى نفس الوقت فى كل من روما وبلاد اليونان القديمة أولى المؤلفات العسكرية، التى تعالج قضايا الاستراتيجية، وظهرت عبارة «استراتيجية» النابعة من تعبير «ستراتيجوس» الأغريقى والذى يعنى بها «القائد» أو قائد القوات.

وتضم هذه المؤلفات الكتاب الذى وضعه «أوليساندر» بعنوان «تعليمات إلى الجنرالات» وذلك الذى وضعه الكاتب العسكرى «فيجيتوس» عن درس قصير من مبادئ الفن العسكرى[1].

«وكتاب الاستراتيجَية» للجنرال البيزنطى «موريس» عام ٥٨٠م وبالرغم من أن هذه الكتب عالجت موضوع تدريب القوات والتكتيك الحربى قبل غيرها إلا أنها خصصت جانبًا منها لموضوع فن الحرب.

ولم يتحقق حتى القرن السادس عشر أى مزيد من الإسهام فى صياغة الاستراتيجية العسكرية باعتبارها علمًا. حتى لقد وصفت هذه القرون «بالفترة المجدبة» ولكن «مكيافللى» الإيطالى الذى جاء فى مستهل القرن السادس عشر قد قام بمحاولات جادة للبحث فى جميع القضايا المتعلقة بتسيير دفة الحرب. ووضع كتاب «فن الحرب» الذى اعتمد فيه على تجارب القادة العسكريين القدامى.

وقد قدم «مكيافللى» فى هذا الكتاب الذى صاغه فى شكل حوار توصياته المتعلقة بمبادئ الميلشيا الأهلية، وتنظيمها للاستعاضة بها عن جيوش المرتزقة، وعن دور سلاحى الفرسان والمدفعية وتطويرها وعدد

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية: اللواء محمد جمال الدين بتصرف ص ٢٠، ٢١، ومقاله عن الاستراتيجية فى دائرة المعارف البريطانية Encyclope diq Britzhnicz.

المتطلبات النموذجية للقادة العسكريين، ورأى أن ليس للجنرال غنى عن معرفة الجغرافيا ومسرح العمليات الحربية والشئون العسكرية. «ثم يتابع اللواء الركن جمال محفوظ حديثه قائلاً: «ومع ذلك فإن التاريخ العسكرى للغرب يحدد نصف القرن الثامن عشر كمستهل للعلم العسكرى وذلك حين قام «هنرى لويد» المؤلف العسكرى الإنجليزى بإعداد مجموعة من المفاهيم النظرية العامة ومبادئ الاستراتيچية العسكرية وضمنها مقدمة الكتاب الذى وضعه عن تاريخ حرب السنوات السبع. ثم صارت الكتابات العسكرية بعد هذا التاريخ تصف الاستراتيچية بأنها نظام للمعرفة يضم المفاهيم العامة عن الحرب، وأصبحت اسمًا آخر للعلم العسكرى[1].

ولا شك أن الكتابة فى هذا العلم لم تتوقف فى تاريخ البشرية، مادامت المعارك قائمة، والتنازع والتقاتل من خصائص جبلة الإنسان.

لهذا ما كاد يأتى القرن التاسع عشر الميلادى حتى كان تعريف «الاستراتيچية «عند» فون كلاوسويتز» يقتصر على أنه فن استخدام المعارك لتحقيق أهداف الحرب فى معركة من المعارك.

ولقد فسر بعض العسكريين هذا التعريف بأن المقصود من الاستراتيچية عند «فون كلاوسويتز» الاستخدام الواقعى للوسائل الموضوعة تحت تصرف القائد العسكرى لتحقيق أهداف الحرب[2].

ويرى اللواء الركن يوسف السلوم: «أنه ليس من الضرورى أن يدخل القائد معارك حاسمة لتحطيم جيوش أعدائه، بل قد يكون من الأفضل

(١) راجع المصدر السابق ٢١ ـ ٢٢.

(٢) انظر كتاب تأليف Strategy كذلك كتاب Von Caluwitz "On war" By B.H Liddel.

تحت ظروف معينة استخدام «استراتيچية» محدودة تعتمد على تعطيل العدو، وتحطيم معنوياته، ليس هذا فحسب بل والعمل على ضرب مؤخرته، ومراكز اتصاله وتموينه، وتفادى الاشتباك معه فى أية معارك حاسمة.

ويتابع اللواء الركن حديثه قائلاً:

«ونرى أن القائد العسكرى المتمرس قد يتمكن من تحقيق أهداف الحرب دون إطلاق رصاصة واحدة»[1].

تداول كلمة الاستراتيچية، وعمومها:

يرى كثير من الباحثين العسكريين أن استخدام كلمة «الاستراتيچية» - فيما سبق - يكاد يكون مقصورًا على الكتّاب العسكريين، ولكن سرعان ما انتشر استعمالها فى جميع المجالات كإدارة الأعمال، وفلسفة التربية، وغير ذلك ولقد رجع هؤلاء الباحثون إلى التاريخ العسكرى الإسلامى لاستنباط ما يتلاءم مع مدلول كلمة «استراتيچية» من أعمال وتصرفات، وما يتبع ذلك من تفكير القادة الإسلاميين.

ولم يمض على ذلك وقت طويل، حتى ظهرت مقالات ومؤلفات تحمل اسم الاستراتيچية الإسلامية»[2].

والقارئ لهذه المؤلفات يرى أن القادة المسلمين قد استعملوا «الاستراتيچية» بمفهومها الحديث وقواعدها وتكتيكاتها فى الكثير من معاركهم.

---

(١) راجع مدخل إلى العلوم العسكرية: اللواء يوسف إبراهيم ص ٢٠٢ ط ثانية ١٩٨٦م.

(٢) من كتّاب الاستراتيجية من المؤلفين العرب: اللواء محمود شيت خطاب، واللواء مصطفى حسن الجمل واللواء محمد جمال الدين محفوظ، والعقيد أكرم ديرى، والجنرال الباكستانى أحمد أكرم ومن كتاب الغرب الجنرال كلاوز فيتز والرائد الإنجليزى «ليدل هارب» «والجنرال الفرنسى» أندريه بوفر.

وتكاد تحصر ملامح «الاستراتيجية» العسكرية عندهم فى أن العقيدة الإسلامية هى مصدرها، وأن الردع هو من أوائل خصائص الاستراتيچية الذى استعمله القادة فى الحروب التى خاضوها.

الاستراتيچية العسكرية والفن العسكرى:

إذا كانت العقيدة العسكرية ترتبط بالسياسية الرسيمة للدولة تجاه الحرب لتحقيق أهدافها القومية وترسم المبادئ اللازمة لبناء الاستراتيچية العسكرية فإن الاستراتيچية العسكرية تختص بالغايات العسكرية السياسية للدولة وهى مجال النشاط العملى للقيادات العسكرية العليا.

فالاستراتيچية العسكرية تخضع للعقيدة العسكرية التى تتولى تحديد المبادىء العامة، بينما تتولى الاستراتيچية العسكرية دراسة وتحديد الأساليب المرتبطة بشن الحرب وإدارتها، وإعداد الدولة وقواتها المسلحة لهذه الحرب.

أقسام الفن العسكرى:

يجمع كثير من العسكريين على أن الفن العسكرى ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أولاً: الاستراتيچية العليا:

وهى التى تعمل على تحقيق الغاية السياسية من الحرب والتى تتمثل فى النهاية إلى تحقيق سلام وطيد دائم.

ومن أجل ذلك عليها أن تجند الطاقات البشرية وتستغل القوى المعنوية والموارد الاقتصادية والإنتاجية لتحقيق هذا الهدف، وهو إضعاف القوة الضاربة للخصم، وشل حركتها، وإحراز الانتصار عليها.

ثم يمتد نشاطها إلى ما وراء الحرب وذلك عن طريق اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتجنب هدم حالة السلم التى أحرزتها. وعدم إعطاء الخصم فرصة لتنظيم خططه أو تجميع قواته، لإشعال حرب مستقبلية من شأنها أن تزيل آثار الانتصار، أو حتى تضعف من نتائجه.

ثانيًا: الاستراتيچية العسكرية:

وتتمثل فى القوات المسلحة وما تتطلبه من إعداد وتجهيز وتدريب حتى تتمكن من تحقيق الأهداف العسكرية للدولة. التى ترسم سياستها الاستراتيچية العليا. كجزء لا يتجزأ من أمن المواطن وسلامة الوطن.

ثالثًا: التكتيك:

ويتمثل فى الترتيبات الخاصة بالقوات المسلحة وقيادتها والعمليات الحربية التكتيكية أثناء القتال الفعلى، ورسم الخطط، وتغيير المواقع، وتحديد ساعات الهجوم، وشل حركة العدو، وقطع الإمدادات. وإشاعة الرعب بين قواته، وتيئيسهم جميعًا من نصر محقق(1).

الخصائص والمهام للاستراتيچية العسكرية:

قلنا إن الاستراتيچية العسكرية تنطلق دائمًا من العقيدة العسكرية التى تدين بها الدولة، وتدور فى فلكها وتعمل على تحقيق السياسة العليا التى ترسمها لها.

وإذا كان الأمر كذلك فما هى الخصائص والمهام التى عليها يدور محور الاستراتيچية العسكرية فى أمة من الأمم أو فى دولة ما..؟

---

(1) الفن العسكرى الإسلامى أصوله ومصادره: العميد الركن دكتور ياسين سويد ط أولى ١٩٨٨ ـ ١٤٠٩ هـ ص ١٨١ ـ ١٩٠.

يرى بعض العسكريين أن من أولى هذه المهام إعداد الدولة للحرب، وتجهيز قواتها لردع العدو، وتحقيق النصر عليه.

واللواء جمال الدين محفوظ يكاد يحصر خصائص ومهام الاستراتيجية العسكرية فى العوامل الآتية:

أولاً: الاهتمام والدراسة لطبيعة الحرب، وفن إدارة الصراع المسلح - قواعد شن الحرب - طاقاتها - مداها الزمنى، عمقها الجغرافى.

ثانياً: الأهداف والمهام الاستراتيجية التى على القوات المسلحة تنفيذها لكى تحدث تغييرات جادة فى الموقف العسكرى والسياسى عمومًا، أو فى الموقف الاستراتيچى فى جبهة القتال.

ثالثاً: بناء القوات المسلحة ورسم الخطط لتطويرها بحيث تستطيع أن تحقق سياسة الدولة، وتؤدى المهام الاستراتيچية المنوط بها.

رابعاً: التوزيع المناسب للقوات المسلحة جغرافيًا، وهو ما يسمى بالتوزيع الاستراتيچى، وهو أمر حيوى، لكى تستطيع القوات المسلحة مواجهة الضربات المفاجئة للعدو، أو مواجهة الفترة الأولية للحرب عامة.

خامساً: التخطيط الاستراتيچى للأعمال القتالية، وأساليب إدارة الصراع المسلح[1].

ويتابع اللواء محفوظ حديثه قائلاً:

ويتبع ذلك نظام إعداد الدولة للحرب، الذى يمنحها القدرة على ردع العدوان فى أية لحظة، وتحقيق النصر فى أقل وقت ممكن، والصمود

---

(١) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية مصدر سابق ص ٨٤ .

للحرب طويلة الأمد، والتقليل من الخسائر الناتجة من ضربات العدو، والمحافظة على مستوى عال من الروح المعنوية، ويشمل إعداد الدولة للحرب ما يلى:

١ - إعداد القوات المسلحة.

٢ - إعداد الشعب سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا.

٣ - إعداد الاقتصاد القومى «اقتصاديات الحرب».

٤ - الرقابة والدفاع المدنى.

٥ - دراسة العدو من جميع النواحى العسكرية والاقتصادية والمعنوية والاجتماعية، ودراسة أهدافه.

ونرى أن هذه أهم الخصائص والأهداف المنوط بالاستراتيچية العسكرية فى وقت الحرب وفى أزمنة السلم.

نظرية الردع فى المعارك الإسلامية:

سبق أن قلنا إن قواعد الاستراتيچية الإسلامية هى العقيدة التى تعتبر المصدر الأساسى لها. والردع الذى هو من أوائل الخصائص لتنفيذها، ولقد استعمله القادة الإسلاميون كثيرًا، وإذا كان الأمر كذلك فما حقيقة الردع فى الاستراتيچية الإسلامية.

(أ) تعريف الردع:

يقرر بعض العسكريين أن الردع هو منع دولة معادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها، وذلك عن طريق اتخاذ التدابير والإجراءات التى تشكل تهديدًا كافيًا يحقق الردع.

ويكون نتيجة ذلك أن تدخل الدولة فى عملية حسابية تقارن بين الخطر الذى يحدق بها عند تفكيرها فى الهجوم، أو الغنم الذى تحصل عليه نتيجة إشعال الحرب.

أهداف الردع:

يرى اللواء جمال الدين محفوظ: أن هدف الردع هو منع العدو من اتخاذ قرار باستخدام القوة.

ولكى يتحقق ذلك يجب أن توضع التدابير والاستعدادات الكافية حين يكون التهديد قويًا، مما يجعل العدو يمتنع فعلاً عن اتخاذ قرار باستخدام القوة.

وللردع أنواع كثيرة متباينة: منها الردع الدفاعى والردع الهجومى والردع المباشر، والردع غير المباشر، إلى غير ذلك من الأنواع والتى يمكن أن تطلب من مظانها فى الأيدلوچيات العسكرية[1].

أقوال القادة العسكريين فى الردع ودوره فى تحقيق السلام عند ليدل هارت وبوفر:

يقول مارشال الجونيدر: إن التسابق فى استخدام السلاح الذرى لن يكون صراعًا لكنه سيكون انتحارًا مزدوجًا.

وهكذا تحقق القوة أهدافها فى منع قيام الحرب بقوة الردع.

ويقول الجنرال أندريه بوفر:

«إن رجل القرن العشرين الذى تلاحقه مآسى الحربين العالميتين سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ ـ ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ربما وجد أخيرًا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسى: وهى استراتيچية الردع. إن العنصر الحاسم اليوم فى حل المشاكل بين الدول «وتحقيق السلام» هو الردع. ويقول الفيلد مارشال مونتجمرى فى شرحه لمعنى الردع:

---

(١) راجع المصدر السابق ١٠٢.

«هى القدرة التى تكفى لردع أى خصم يفكر فى دعم مركزه عن طريق توجيه ضربة قاضية مفاجئة، وهى القوة التى يمكن أن يكون وجودها سببًا لتجنب كارثة الحرب.

ثم يقول: إننى أعتقد أن كلاً من الدولتين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية، لأن الدمار الذى سيترتب على «الضربة الانتقامية» لأى منهما سيكون مروعًا، كما أن كلاً من الجانبين لن يكون على يقين تام من النصر.

ولقد كانت أزمة الصواريخ فى كوبا خير دليل على ذلك، ولن تسعى أية دولة من الدول لتتخطى حدود الحرب الباردة إذا كانت لا تريد الانتحار».

ويرى «ليدل هارت»: إن روح الاستراتيچية الكاملة تتفق مع الردع تمامًا فهى تؤدى فى النهاية إلى نتيجة حاسمة بدون أى قتال جدى[١].

ويرى الچنرال «أندريه بوفر»: إن روح الاستراتيچية العسكرية هى الوصول إلى نتيجة مؤداها قبول الخصم للشروط المفروضة عليه».

ويحاول الجنرال أندرية بوفر توضيح ما يهدف إليه قائلاً:

«إننا نريد التأثير على الخصم حتى نمنعه من استخدام قوته الضاربة، فلكى يتحقق ذلك ينبغى أولاً أن يكون لدينا طاقة تدمير من القوة بحيث يخشاها خصمنا، ثم تجبره على الاعتقاد بأننا قادرون على الانتقام منه كرد عليه، أو فى ضربة أولى»[٢].

---

(١) الاستراتيجية - الاقتراب غير المباشر - ليدل هارت.

(١) مدخل إلى الاستراتيچية العسكرية - الچنرال أندريه بوفر.

سبق الاستراتيجية الإسلامية بهذه النظرية.

نقول: إن نظرية الردع لم تتبلور فى ذهن خبراء الاستراتيچية العسكرية إلا فى هذا العصر هذه النظرية التى استعملتها الاستراتيچية الإسلامية منذ أربعة عشر قرنًا.

إن هذه النظرية أقرب السبل لحل المنازعات السياسية بالوسائل السلمية دون اللجوء إلى الحرب.

ومن المبادئ المعروفة فى الاستراتيچية العسكرية أن التوفيق السليم بين الغاية والوسيلة قد يؤدى إلى اقتصاد تام فى القوة.[1]

والواقع أن نظرية الردع الإسلامية هى أرقى منهج يوفق بين الغاية وهى إعلاء كلمة الله، والدفاع عن الأمة الإسلامية وبين الوسيلة لتحقيق تلك الغاية بتطبيق نظرية إظهار القوة لإرهاب العدو وإخافته من عاقبة عدوانه: ولذا قال الله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]

لقد كان فيلسوف الحرب «كلاوز فتيز»[3] يقول:

«قد يتصور المحبون للخير بسهولة وجود طريقة بارعة لنزع السلاح الذرى من يد العدو، والتغلب عليه دون إراقة كثير من الدماء، وأن هذا هو الاتجاه السليم لفن الحرب.. تلك غلطة يجب أن نمحوها.

---

(١) نحو عقيدة عسكرية إسلامية للأستاذ محمد جمال الدين، ص ١٠٣

(٢) سورة الأنفال آية ٦٠

(٣) كارول كلاوزفتيز ١٧٨٠ ـ ١٨٣١ قائد عسكرى ألمانى، مشهور فى الأوساط العسكرية ومن أبرز واضعى النظريات الحربية، ويعتبر كتابه عن الحرب من أشهر المؤلفات النظرية التى اعتمد عليها الكثير من القادة العسكريين فى العصر الحديث.

قال «كلاوز فتيز» هذا لأنه لم ير إلا وسيلة واحدة لتحقيق الغايات والانتصار على الأعداء هى «الحل الدموى».

وكان يؤمن أيضًا بأن فكرة «القتال» يجب أن تكون أساس تفكير القائد وكأن معنى «الاستراتيچية» العسكرية عنده: هو استخدام المعارك الحربية.

فشل ما نادى به «كلاوزفتيز»

يقول اللواء: محمد جمال الدين محفوظ:

ولقد هوجمت هذه النظرية وتعرضت للنقد الشديد، لأن رجال الاستراتيچية العسكرية، يتفقون على أن الغرض من الحرب، يجب أن يكون الحصول على سلام «أفضل» أى أفضل من حالة ما قبل الحرب.

ومن أجل ذلك عليهم أن يراعوا أن تحدث «ضرباتهم أقل ما يمكن من الأضرار الدائمة وذلك لأن عدو اليوم هو حليف المستقبل.

وينبه «الاستراتيچيون» إلى أنه كلما زادت وحشية الوسائل، فإن مقاومة الخصوم سوف تزداد، وأنه عند بلوغ الهدف العسكرى «أى النصر» فإن المنتصر إذا زاد من أساليب القهر والتسلط، فإنه فى النهاية لن يحصل على سلام حقيقى.

ويصف الاستراتيچيون تلك الحالة من السلم بأنها «سلم مشوه يحتوى على جراثيم حرب تالية»[1]

ثم يقول اللواء الركن محمد محفوظ وخير دليل على ذلك «حروب نابليون» التى امتدت قرابة العشرين عامًا.

---

(١) راجع الاستراتيچية: الاقترا غير المباشر: ليدل هارت».

وقد كان نابليون يتصور تحقيق سلم دائم عن طريق الحرب فجاءت النتيجة عكسية، بل وصل الأمر إلى حد انهيار الإمبراطورية النابليونية..؟؟

وأيضا الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨.

هذه الحرب التى رفع فيها المنتصرون شعار «ويل للمغلوب» فكانت قسوتهم فى معاملة ألمانيا،. وكان فرضهم للعقوبات الاقتصادية، التى أثقلت كاهل الاقتصاد الألمانى سببًا فى أن السلام الذى حصلوا عليه جاء «مشوها» يحمل جراثيم حرب تالية.

ذلك أن القسوة كانت الدافع الرئيسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل المتاحة لإنهاض ألمانيا، وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩[١].

أما حرب الإسلام، فقد كانت خالية من جراثيم حرب تالية، ولم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلام حقيقى ومستقر.

وغزوة الفتح ـ فتح مكة ـ خير مثل يضرب فى هذا المجال، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام القوة الضاربة للمسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش، ولكنهم لم يفعلوا بالرغم من كل ما فعلت قريش ضد الفئة المسلمة.

وكان كل هدف الجيش الإسلامى تأليف القلوب، وجعلها تقبل على الإسلام الذى هو دين الله وليس دين فئة من الناس.

ومن هنا فقد تحولت قريش من أشد الناس عداوة للدين الجديد إلى مجاهدين يرفعون راية الجهاد لنشر كلمة الله فى أقطار الأرض.

---

(١) راجع أسباب الحرب جيفرى بلينى نقلاً عن العسكرية الإسلامية.

الخصائص المميزة لاستراتيجية الردع الإسلامية

تتميز استراتيجية الردع الإسلامية عن الاستراتيجيات الأخرى المعاصرة بخصائص تتبع من شرائع الإسلام وتسير حسب مبادئه ومن هذه الخصائص:

أولاً: إنها استراتيجية سلام:

فهى تعمل جاهدة على عدم إشعال الحرب ووسيلتها إلى ذلك إعداد القوة التى ترهب الخصم، فلا يلجأ إلى اتخاذ خطوة إلى الحرب تكون غير محسوبة، ولا شك أن أسلوب الردع يختلف اختلافًا بينًا عن أسلوب الحرب، لأن الردع يستهدف فى النهاية منع العدو من اتخاذ قرار باستخدام القوة، على حين تستهدف الحرب إكراه الخصم على قبول الشروط التى تملى عليه من الدولة المنتصرة.

ثانيا: إنها استراتيجية لمنع العدوان:

وهى بذلك تتوافق مع غاية الإسلام فى الحيلولة دون العدوان أو البغى بغير الحق. قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(1)

وقوله أيضا: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(2)

وقال عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(3)

وفى ذلك يقول ليدل هارت:

---

(1) سورة البقرة آية رقم ١٩٠.

(2) سورة الأنفال آية رقم ٦١.

(3) سورة الحج آية رقم ٣٩.

«فى حالة ما إذا كانت الدول تحارب فقط للمحافظة على سلامتها - وليس للغزو فإن الغرض يتحقق لو أن التهديد قد زال، ولو أن العدو قد سيق إلى التنازل عن غرضه»(١)

ثالثاً: التفوق فى القدرة القتالية لا يغرى باستخدام القوة:

يرى الكثير من العسكريين أن التفوق الساحق عند القيادة الإسلامية لن يغريها باستخدام تلك القوة ضد أعدائها ماداموا يمتنعون عن العدوان، أى أن الأمة الإسلامية لا تتعدى حدود الردع، مادام قد يحقق الهدف منه وهو إرهاب العدو، والحيلولة بينه، وبين استخدام القوة، وذلك للمبادئ الآتية:

أ - لم يشرع القتال فى الإسلام إلا لإعلاء كلمة الله ودفاع عن كيان الأمة الإسلامية؛ لأن العدوان ليس غاية من غايات الإسلام.

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢)

ب - الغرض من إعداد القوة عند الاستراتيجية الإسلامية هو الإرهاب فقط لقوله تعالى:

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾(٣)

فإرهاب العدو يمنعه من ارتكاب حماقة إشعال الحرب.

---

(١) الاستراتيجية الاقتراب غير المباشر - ليدل هارت.

(٢) سورة النحل آية رقم ١٢٥.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

وهذا ما يميز استراتيجية الردع الإسلامية عن غيرها . ومن هذا المنطلق يقول الجنرال «أندريه بوفر»: إن استراتيجية الردع تستطيع توليد فن حقيقى للسلم «ثم يتساءل»..

ولكن هل سنسير نحو السلام..؟» ويجيب على تساؤله بقوله: «بالتأكيد كلا لأن عشق الرجال للقوة مضافًا إليه القوى التى تحكم التطور الاقتصادى والبيولوجى للإنسان ستفتش دومًا عن مساحة للتوسع والامتداد»[١]

رابعًا: استراتيجية تملك القدرة الهجومية:

لابد من توافر القوة الهجومية التى تقنع العدو بأنه سوف يكون هو الخاسر لو بدأ العدوان.

ولقد أبرز الاستراتيجيون هذا المبدأ وأكدوه بقولهم:

«إن العقيدة العسكرية ذات الطابع الدفاعى البحت لن تكون لها إلا قيمة ضعيفة فى الردع إلا إذا توفرت لديها القوة الهجومية، لأن مفتاح الردع هو القوة على التهديد»[٢].

ولا نستطيع فى هذه الأطروحة أن نحيط بكل الخصائص والمميزات التى تجعل نظرية الردع الإسلامية متفردة على كل نظريات الردع فى عالمنا المعاصر. ويكفى أن نقول إن النظرية الإسلامية لا تهدف إلى ردع العدو الخارجى الظاهر فقط، ولكنها تهدف أيضًا إلى ردع أعداء الأمة من القوى المضادة التى تعمل ضدها فى الخفاء وقد يكون خطر هذه

---

(٢) مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية . الجنرال أندريه بوفر.

(٣) مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية: الجنرال أندريه بوفر . مصدر سابق.

الفئة - إذا غفلت الأمة عنها - أفدح بكثير من خطر العدو الظاهر. وذلك لقوله تعالى:

﴿وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[1]

ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد وبين صفوف أبنائها ومنهم من يكون خارجها يدبر ويخطط ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والغزو الفكرى الهدام[2]

وهؤلاء سيكون لنا معهم حديث مطول عند تناولنا للفصل الخاص بالحرب النفسية، وبالله التوفيق.

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.
(٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية - مصدر سابق.

كانت إمبراطوريات العالم القديم، والدولة الرومانية ثم البيزنطية منها خاصة تقيم على حدودها سلسلة من التحصينات الدفاعية الثابتة، التى عرفت فى التاريخ العسكرى باسم «الليمات ومفردها» «ليم» Lime

وليس جدار الصين سوى نموذج لهذه التحصينات التى كان هدفها رد غارات المعتدين وحماية الحدود ضد كل هجوم مباغت.

وكان يقيم فى «الليم» حامية تقوم بأمر الدفاع عن الحصن، وكان هذا الدفاع يأخذ شكل الدفاع الثابت.

وعندما أخذ العرب المسلمون فى تنظيم دولتهم، وضعوا أساسًا جديدًا لحماية الحدود، يتناسب مع عقيدتهم القتالية الهجومية فأوجدوا نظام الثغور، وغزوات الصوائف والشواتى، وبذلك عملوا على تنظيم الدفاع بعقلية، هجومية فكانت «استراتيجية الهجوم الوقائى».

ولم تكن استراتيجية الهجمات الوقائية فى واقعها بعيدة عن العقيدة القتالية للمسلمين، فلقد مارس الرسول ﷺ تطبيق هذه الاستراتيجية فى حروبه حيث كان ينتقل إلى مواقع أعدائه، أو يسير إليهم قبل أن يصلوا إليه أو يهاجموه فى قاعدته.[١]

وطبق الخليفة الأول هذه الاستراتيجية ذاتها ضد المرتدين فهاجمهم فى قاعدتهم، وحرمهم من تنسيق التعاون فيما بينهم[٢]

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٥٥ ـ ٢٥٦ وبين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب ١٨٥ ـ ١٨٧.

(٢) الرياض النضرة ١: ١٢٩ وابن الأثير ٢: ١٣٠ وبين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب ٢٠٨ ـ ٢١٢.

وعندمـا تولى عـمـر بن الخطاب رضي الله عنه وضع أسـاس تنظيم الثـغـور ووجه أول الصوائف والشواتى، ردًا على أعمال الروم العدوانية عام ١٧هـ - ٦٣٨م ثم طور معاوية بن أبى سفيان والى الشام هذا النظام القتالى، وما لبث أن أصبح هذا الأسلوب عامًا فى جميع المواقع والحدود المتاخمة لبلاد المسلمين المتصلة بحدود غير المسلمين.

ولقد كان تطبيق استراتيچية الهجمات الوقائية يرتبط فى الواقع بقوة الدولة وضعفها الناتج - فى كثير من الأحيان - عن الفتن والثورات الداخلية، أو فقد الهيمنة السياسية، وتمزق السياسة فى دولة العرب والمسلمين.[1]

ونقول: إن استخدام استراتيچية الهجمات الوقائية، للدفاع عن حدود المسلمين كان تطويرًا كبيرًا لفن الحرب.

ولقد صور أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه هذا المبدأ بقوله:

«اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم فى عقر دارهم إلا ذلوا»[2]

لقد كان من نتائج تطبيق هذا المبدأ نقل ويلات الحرب إلى بلاد العدو، مع ما يتبع ذلك من تخريب ودماء، وحماية بلاد المسلمين من ويلات هذه الحرب.

القادة الإسلاميون واستراتيچية الهجمات الوقائية

يطيب لنا أن نقدم بعض النماذج الاستراتيچية للهجمات الوقائية فى أعمال بعض قادة المسلمين وهم كالآتى:

---

(١) أوليات الفاروق السياسية، غالب عبدالكافى القرشى ط المكتب الإسلامى - بيروت وعقبة بن نافع: بسام العسيلى ط دار النفائس ص ٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ٩٥.

أولاً: قتيبة بن مسلم الباهلى.[1]

ونقول لقد برزت استراتيچية الهجمات الوقائية فى أعمال قتيبة القتالية ـ ونراها أكثر وضوحًا من كل ما عداها من الاستراتيچيات، فما أن وصل إلى خراسان، حتى بدأ فى تنظيم قواته، وانطلق من مرو إلى بلخ «المتمردة» فأخضعها، وأخذ فى الانتقال عبر الأقاليم فى إطار من التظاهر بالقوة.

وما تجدر ملاحظته أن الأقاليم المفتوحة للمسلمين كانت تترك لتقوم بإدارتها الذاتية، وكثيرًا ما كانت مجردة من كل قوة للعرب والمسلمين، وكان باستطاعة الأقاليم نتيجة لذلك إعلان تمردها وكان من المحال على قتيبة أن يعمل على توزيع القوات، وإقامة الحاميات فى جميع الأقاليم، التى كان يتم فتحها، وعلى هذا فإنه لم يبق أمام قتيبة سوى استراتيچية الهجمات الوقائية وتطويرها، لتحقيق هدف مزدوج.

الأول: الاحتفاظ بالأقاليم التى سبق فتحها.

والثانى: فتح أقاليم جديدة.

وقد تمثل تطوير قتيبة لاستراتيچية الهجمات الوقائية فى مجموعة تكتيكات أهمها ما يلى:

١ ـ سبق العدو باستمرار إلى مواقعه وإلى أماكنه الحصينة، دون إتاحة الفرصة له حتى يكمل تنظيمه واستعداده.

---

(١) هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين الباهلى: أمير فاتح من مفاخر العرب نشأ فى الدولة المروانية فولى الرى فى أيام عبدالملك بن مروان وخراسان فى أيام ابنه الوليد، ووثب لغزو ما وراء النهر وافتتح كثيرًا من المدائن وغزا أطراف الصين، قتله وكيع بن حسان التميمى بفرغانه عام ٩٦هـ.

راجع وفيات الأعيان: ١: ٤٢٨ وابن الأثير ٥: ٤ وابن خلدون ٣: ٥٩ ـ ٦٦.

٢ ـ عزل الأقاليم المتمردة، وإخضاعها للحركة التشتيتية، بهدف حرمانها من كل دعم خارجي.

٣ ـ اختيار التوقيت المناسب لتنفيذ الهجوم الوقائى.

٤ ـ حرمان العدو من فرصة شن هجوم وقائى مسبق، وذلك بإرسال قوات كافية للتمركز، دفاعًا عن حدود الإقليم المتمرد ريثما يتم توجيه القوة الرئيسية.[١]

ثانياً: استراتيچية الهجمات الوقائية عند أبى عبيدة"[٢]

وضع أبو عبيدة بن الجراح «قاعدة» استراتيجية الهجمات الوقائية عندما نظم غزوات ما وراء الدروب لشغل الروم عن أنفسهم، وذلك بعد قيامهم بالهجوم ضد «حمص»، وقد تحولت هذه الغزوات فيما بعد فأصبحت رتيبة ودورية ومنتظمة، وبقى الهدف ثابتا وهو عدم السماح للروم بتهديد أمن الثغور الإسلامية.

ولقد تطور مفهوم استراتيچية الهجمات الوقائية «تطورًا كبيرًا ولكن بقى الأساس الذى أرسى قاعدته أبو عبيدة وهو:

---

(١) راجع قتيبة بن مسلم الباهلى ص ٩٤ ـ ٩٦ بسام العسيلى ط دار النفائس

(٢) هو عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الأمير القائد، فاتح الديار الشامية وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان لقبه أمين الأمة وهو من السابقين إلى الإسلام، ولاه عمر بن الخطاب قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد فتم له فتح الديار الشامية وبلغ الفرات شرقًا وآسيا الصغرى شمالاً ورتب للبلاد المرابطين والعمال، توفى بطاعون عمواس عام ١٨ هـ.

راجع البدء والتاريخ ٥: ٨٧ وابن عساكر ٧: ١٥٧ وتاريخ الخميس ٢: ٢٤٤ والرياض النضرة ٢: ٣٠٧.

أولاً: تنظيم الثغور، وإقامة حاميات قوية على الحدود، واجبها الأول تلقى الصدمة عند حدوث هجمات مباغتة، وإنذار قيادة المسلمين وتوفير الفرصة المناسبة أمام الجيش للدخول فى المعركة.

ثانيًا: قيام حملات قوية ومنتظمة لغزو بلاد الروم، ونقل «ويلات» الحرب إلى بلادهم وإبعادهم عن بلاد المسلمين.

وتظهر عبقرية أبى عبيدة القيادية من خلال التوفيق بين الهدف وبين القوى والوسائط المتوافرة، وقد يكون من الطبيعى لقائد أن يكلل هاماته بأكاليل النار، عندما يتصرف بقوى كبيرة وبوسائط جبارة، لتحقيق هدف محدود، ولكن الكفاءة القيادية الحقيقية تتمثل فى تحقيق الهدف بالقوى والوسائط المتوافرة، ويتعاظم دور الكفاءة القيادية عندما تكون تلك القوى والوسائط هى أقل بكثير من حجم الواجبات المفروضة على قائد العمليات، وكان أبو عبيدة واحدًا من قادة التاريخ الذين كانت انتصاراتهم أكبر بكثير من حجم قواهم ووسائطهم.(١)

ثالثاً: سعد بن أبى وقاص.(٢)

إذا كانت معارك المسلمين قبل القادسية هى معارك استطلاعية، فإن معارك المسلمين بعد القادسية هجمات وقائية متقدمة ذات هدف مزدوج:

---

(١) أبو عبيدة بن الجراح للواء محمود شيت خطاب. وكتاب (أبو عبيدة بن الجراح) للأستاذ بسام العسيلى.

(٢) سعد بن أبى وقاص مالك بن أهّيب القرشى الزهرى أبو اسحاق الصحابى الأمير، فاتح العراق ومدائن كسرى وأول من رمى بسهم فى سبيل الله، ويقال له فارس الإسلام، افتتح القادسية، ونزل أرض الكوفة فجعلها خططًا لقبائل العرب وظل واليًا مدة عمر بن الخطاب وأقره عثمان زمنًا ثم عزله توفى عام ٥٥هـ.

راجع الرياض النضرة ٢: ٢٩٢ ـ ٣٠١ وتاريخ الخميس ١: ٤٩٩ وتهذيب ابن عساكر ٦: ٩٣.

أولها: نقل المعركة إلى منطقة العدو وحماية قاعدة المسلمين.

وثانيها: هو إبطال هجمات العدو وقبل البدء فيها، وهكذا لم يمض أكثر من شهرين على انتصار القادسية حتى أسرع سعد بقواته إلى المدائن ليقضى على مقر تجمع العدوان، وكانت فلول الفرس قد تجمعت فى بابل فأسرع المسلمون إليهم فدمروا تجمعهم.

لقد كانت استراتيچية الهجمات الوقائية عند سعد محكمة بدقة ومرتبطة بردود فعل العدو، ولهذا كان ينتظر حتى تتجمع قوات الفرس، ولا يترك لهم الوقت لإكمال استعداداتهم القتالية، أو تنظيم قواتهم للهجوم، حتى يباغتهم فى مواقعهم، ويعمل على تدمير قواتهم.

وكانت هذه الاستراتيچية مرتبطة باستراتيچية الحرب التشتيتية، بحيث كانت قوات المسلمين تعمل على إعاقة كل تعاون بين جيوب المقاومة المتتالية، ثم تحشد ما يكفى من القوات لتصفية جيب المقاومة الأكثر خطورة بضربة حاسمة، حيث يتم الانتقال بعدها لتصفية الجيب التالى، وهكذا حتى يتم القضاء على جميع مقاومات العدو.[٢]

وبعد: قد يكون من الصعب إبراز جميع ملامح الاستراتيچيات التى أبرزها العرب والمسلمون فى حروبهم، وحددوا بوضوح طرائق تطبيقها، كما حددوا وخططوا بدقة ما هو ملائم لعلاج كل موقف من المواقف، ومجابهتهم بالاستراتيچية الملائمة له.

---

(١) قادة فتح العراق والجزيرة للواء محمود شيت خطاب ط ثانية: دار الفكر بيروت، وسعد بن أبى وقاص للأستاذ بسام العسلى. ط دار النفائس. ورجال أنزل الله فيهم قرآنا عبدالرحمن عميرة ط - دار اللواء - الرياض.

الفصل الثانى

تثبيت وترسيخ العقيدة فى نفوس المحاربين

ويشمل المباحث الآتية:

١- تعريف العقيدة وآثارها.

٢- تثبيت العقيدة فى نفوس المقاتلين عند مفكرى المسلمين وقادتهم.

٣- تثبيت العقيدة فى نفوس المقاتلين عند قادة أوروبا.

٤- أثر العقيدة فى الفتوحات الإسلامية.

٥- المعاملة الحسنة لأهل البلاد المفتوحة.

إ ن كل جيش يحارب «بعقيدة» لتحقيق هدف» «معين» لابد أن يستقتل فى سبيل عقيدته وهدفه وبذلك يصعب قهره، إذا لم يكن قهره مستحيلاً.

اللواء الركن محمود شيت خطاب

إن العامل المعنوى فى الحرب أكثر أهمية من العامل المادى بنسبة ثلاثة إلى واحد

نابليــون

تثبيت وترسيخ العقيدة فى نفوس المقاتلين:

أ - تعريف العقيدة:

العقيدة هى مثل عليا يؤمن بها الإنسان فيضحى من أجلها بالمال والنفس، لأنها أغلى من الأموال والأنفس.

وروح الإنسان أغلى مايملكه فى هذه الحياة، فمن المستحيل أن يضحى بها فى سبيل نصر يجنى ثماره غيره، إلا إذا كانت لديه عقيدة راسخة وأهداف بها سامية.

وكل الأسلحة والعتاد الحربى، وماتفتق عنه العقل البشرى فى عالمنا المعاصر من قنابل ذرية ونووية، لاجدوى فيها ولافائدة منها فى المعركة، إذا لم يستعملها إنسان ذو عقيدة راسخة وإيمان قوى بها.

وعندما جاء الإسلام كان من أولى متطلباته غرس العقيدة القوية فى نفوس أتباعه.

ب - آثار العقيدة فى نفوس المقاتلين:

وعندما آمنوا بهذه العقيدة واستقرت فى قلوبهم حققت لهم الآتى:

أولاً: عملت على تحريرهم من خوف الموت وانقضاء الأجل.

لأن الله وحده هو الذى يملك الموت والحياة، وهو الذى قدر آجال البشر وحددها. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾(1)

وقال أيضاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(2)

---

(1) سورة آل عمران آية ١٤٥

(2) سورة الأعراف آية رقم ٣٤

فالموت الذى يملكه الله يأتى فى موعده المقدر، ولاعلاقة له بالحرب والسلم، ولا علاقة له بالمكان الذى يحتمى به الفرد سواء كان محصناً أو هيِّن التحصين ولذا قال تعالى:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(١)

فهذا أمر وذاك أمر آخر ولاعلاقة بينهما، إنما العلاقة بين الموت والأجل، بين الموعد الذى قدره الله وحلول ذلك الموعد، وليست هناك علاقة أخرى. وبهذا المنطق السليم عالجت العقيدة كل مايهجس فى الخاطر من خوف الموت، وكل ماينشئه التصور المضطرب من خوف ومن ذعر.

وليس معنى هذا ألا يأخذ الجيش حذره وحيطته وكل مايدخل فى طوقه من استعداد ووقاية بل يجب عليه ذلك تنفيذاً لقوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا﴾(٢)

والمقصود لاتخرجوا للجهاد فرادى ولكن اخرجوا مجموعات صغيرة أو يخرج الجيش كله حسب طبيعة المعركة ذلك أن الآحاد (الأفراد) قد يتصيدهم الأعداء المنتشرون فى كل مكان وبخاصة إذا كان هؤلاء الأعداء يوجد بعضهم فى قلب المعسكر الإسلامى، ممن كانوا يسمون فى ذلك الوقت بالمنافقين.

وإن الإنسان ليعجب وهو يراجع العقيدة الإسلامية، فيجد كتابها يرسم للقوة الضاربة من المسلمين الخطة العامة للمعركة، أو مايعرف باسم «الاستراتيچية» وهذه الآية تبين ناحية من الخطة التنفيذية أو

---

(١) سورة النساء آية رقم ٧٨.

(٢) سورة النساء آية رقم ٧١.

مايسمى «التاكتيك» ويؤكد القرآن الكريم هذا الحذر والاحتياط أيضاً وهم يؤدون صلاتهم فى قلب المعركة بقوله:

﴿وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾(١)

إن من أهم الأشياء لتثبيت العقيدة فى نفوس المقاتلين هو الحرص على الصلاة فى ساحة المعركة، لأنها وسيلة من وسائل النصر، فهى تربطهم بربهم الذى يهبهم الغلبة على الأعداء وهو دائماً معهم بالنصر والتأييد.

ثانياً: تحريرهم من هم الرزق والتفكير فيه:

نقول ذلك: لأن الناس عادة ينتابهم القلق، ويغمرهم الحرص على أقواتهم ويلجأ بعضهم إلى وسائل لاتليق بالكرامة الإنسانية، والتى يصل بعضها إلى التملق والمراءاة، وبعضها إلى الغش والرشوة والاختلاس، ولكن العقيدة التى حررت الإنسان من خوف الموت حررته أيضاً من هم الرزق. وأكدت له أن الرزق من عند الله تعالى كما أخبر بذلك فى كتابه:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾(٢)

وقوله أيضاً:

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾(٣)

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢.
(٢) سورة هود آية رقم ٦.
(٣) سورة الذاريات الآيتان ٢٢، ٢٣.

ومامن شك أن السعى على الرزق مطلوب، وأن العمل الجاد إنما هو ثمرة من ثمرات العقيدة ـ كل ذلك حق وصدق، وإذا كان الرزق بيد الله، وإذا كان العمل مطلوباً، فإن ماينهى عنه الإسلام إنما هو الصورة البشعة القلقة التى تحاول اقتناص المال من السبل غير المشروعة، أو التى ترى أن عبداً مخلوقاً من عباد الله بيده الرزق، وبمقدوره العطاء والمنع، أو النفع أو الضر.

وهكذا نرى أن العقيدة التى استقرت فى قلوب الفئة المؤمنة، قد عملت فى فترة وجيزة من عمر الزمن على تحرير الإنسان من الخوف على الحياة حتى لايكون جباناً رعديداً .

وحررته من هم القلق على الرزق، حتى لاينحرف فى طلبه عما قررته له العقيدة.

وصنعت منه المقاتل الذى خاض المعارك بقلب ثابت ونفس مطمئنة

تثبيت العقيدة فى نفوس المقاتلين عند مفكرى المسلمين وقادتهم

يقول: الهرمثى» في كتابه: مختصر سياسة الحرب[1]

«فينبغى لصاحب الحرب أن يجعل رأس سلاحه فى حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره، والاستعانة به والتوكل عليه، والفزع إليه، وأن يسأله التأييد والنصر، والسلامة والظفر، وأن يعلم أن ذلك إنما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء...»

وأن يبرأ إليه جل وعز من الحول والقوة، فى كل أمر ونهى ووقت وحال، وألا يدع الاستخارة لله فى كل مايعمل به، وأن يترك البغى

١ـ الكتاب قام بتحقيقه عبد الرءوف عون وراجعه الدكتور محمد مصطفى زيادة الأستاذ بجامعة القاهرة

والحقد، وينوى العفو، ويترك الانتقام عند الظفر، إلا ماكان لله فيه رضا. وأن يستعمل العدل وحسن السيرة، والتفقد للصغير والكبير بما فيه مصلحة رعيته، وأن يعتمد فى كل مايعمل به فى حربه، طلب ماعند ربه عز وجل، ليجتمع له به خير الدنيا والآخرة».

ثم يقول: وليصدق يقينه ويتجنب الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، مع ماينال صاحبه من عاجل عقوبات الدنيا، ولايعمل بشىء إلا بما كان لله فيه رضى وبالله العصمة ومنه النصر[1].

والقارئ لهذا الدستور الذى وضعه الهرمثى للمقاتل، يحس للوهلة الأولى أنه لايستطيع تحقيقه أو تنفيذه إلا من كان راسخ العقيدة قوى الإيمان، يخاف الله ويخشاه، مع اعتقاده الجازم أن الله معه فى كل وقت وحين يحصى حركاته. ويراقب أعماله. لقوله تعالى:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[2]

﴿وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3]

وقال صاحب الأحكام السلطانية يوصى قادة الجيش:

«وعليه أن يأخذ جيشه بما أوجبه الله تعالى من حقوقه، وأمر به من حدوده، حتى لايكون بينهم تجور[4] فى دين، ولاتحيف[5] فى حق،

---

(١) مختصر سياسة الحروب للهرمثى ص ١٥ ـ ١٦.
(٢) سورة الحديد آية رقم ٤.
(٣) سورة يونس آية رقم ٦١.
(٤) التجور: الظلم.
(٥) التحيف: الميل عن الحق.

فإن من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام أحكامه، والفصل بين حلاله وحرامه. وقد روى حارث بن نبهان عن أبان بن عثمان عن النبى ﷺ أنه قال:

(انهوا جيوشكم عن الفساد، فإنه مافسد جيش قط إلا قذف الله فى قلوبهم الرعب، وانهوا جيوشكم عن الغلول[1]، فإنه ماغل جيش قط إلا سلط عليهم الرَّجْلة[2] وانهوا جيوشكم عن الزنا فإنه ما زنا جيش قط إلا سلط الله عليهم الموتان).[3]

وقال أبو الدرداء:

«أيها الناس اعملوا صالحاً قبل الغزو، فإنما تقاتلون بأعمالكم».

وقال: وأن يقصد بقتاله نصرة دين الله تعالى وإبطال ماخالفه من الأديان. فيكون بهذا الاعتقاد حائزاً لثواب الله تعالى، ومطيعاً له فى أوامره ونصرة دينه، ومستنصراً به على عدوه. ولايقصد بجهاده استفادة المغنم فيصير من المتكسبين لا من المجاهدين.[4]

وجاء فى كتاب: «الأدلة الرسمية فى التعابى الحربية» لمحمد بن منكلى نقيب الجيش فى سلطنة الأشرف شعبان على مصر.

«إن تقوى الله هى العمدة العظمى، والفوز الأكبر الأعلى. وقال: ويلزم أمير الجيش أن يؤلف بين قلوب رفقائه، وأن يراعى فى جيشه ماأوجبه الله من حقوقه».

وقال فى صفات أصحاب المشورة ممن يطلق عليهم فى المصطلحات العسكرية الحديثة تعبير «ضباط الركن» مانصه:

(١) الغلول: الخيانة فى المغنم أو فى مال الدولة.
(٢) الرجلة: نوع من الأمراض الخبيثة.
(٣) الموتان: الموت الكثير الوقوع، راجع النهاية فى غريب الحديث ـ ابن الأثير ٤: ١٣٠.
(٤) الأحكام السلطانية ص ٦٥ تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة.

«أن يكون متقيًا لله عز وجل، وأن تكون محبته خالصة لله صادقة»[1] .

وهكذا يتفق الكثير من أقطاب الفكر الإسلامى على أن تثبيت العقيدة فى قلوب القادة والجند عامل أساسى فى تقريب النصر، ولقد حرصت الأمة الإسلامية - خلال حروبها وإعداد جيوشها على التوصية بذلك، وحث الجند على تقوى الله والخوف من عقابه، والالتزام بأوامره واجتناب نواهيه.

وإذا كانت هذه أقوال مفكرى الإسلام وقادة جيوشهم، وأهل الحل والعقد فيهم. فماذا يقول قادة الغرب فى هذا الصدد..؟

تثبيت العقيدة فى نفوس المقاتلين عند قادة الغرب

يقول صاحب كتاب «السبيل إلى القيادة»[2] متسائلاً: هل من علاقة للدين بالقيادة..؟ ثم يجيب على تساؤله:

«القائد الذى لايتحلى بالفضائل الدينية، لايكون موضع إعجاب كثير من الناس».

---

(١) قال اللواء محمود شيت خطاب: هذا كتاب مخطوط توجد منه نسخة فى مكتبة أيا صوفيا فى تركيا برقم ٣٨٣٩ وأخرى برقم ٢٨٧٥ وأعمل الآن فى تحقيقه وإخراجه للناس لفائدته العظيمة للعسكريين والمدنيين على السواء - راجع بين العقيدة والقيادة - الهامش ص ٤٧.

(٢) يقول اللواء محمود شيت خطاب: هذا الكتاب مبنى على تجارب عملية استغرقت خمسين سنة فى الخدمة العسكرية، تدرج خلالها مؤلفه المشير مونتكومرى من الرتب العسكرية الصغيرة إلى أعلى الرتب العسكرية وشغل المناصب القيادية، وواجبات الأركان فى الحرب العالمية الثانية وبعدها فى بريطانيا، وأصبح رئيسًا لأركان حرب انكلترا، ونائبًا للقائد الأعلى لحلف الأطلسى، كما أصبحت له شهرة عالمية بعد انتصاره فى معركة (العلمين) على قوات المحور التى كانت بقيادة المشير رومل، وفى الإنزال فى نورماندى حتى وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها.

ومجمل الفضائل الدينية التى يراها مونتكومرى هى:

الهدى: وهى عادة إرجاع جميع الأمور إلى الإرشاد الإلهى، وإلى هذه الفضيلة تستند الحكمة والإنصاف وحسن التصرف.

العدالة: وهى عادة إعطاء كل فرد حقه، حق الله والإنسان ونفسه، وإلى هذه الفضيلة تستند الواجبات الدينية والطاعة والشكران، وكذلك النزاهة والاستقامة، وحسن النية نحو الآخرين.

الانضباط: وهى السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية إلى أرفع المستويات وللأغراض الشخصية والاجتماعية أيضًا، وإلى هذه الفضيلة يستند الطهر والتواضع والصبر.[1]

ويقول فى معرض الثناء على المشير (هيغ) القائد البريطانى فى الحرب العالمية الأولى:

«ولكنه كان رجلاً ذا خلق متين شجاعًا وذا عزم عظيم»[2].

ويقول عن المشير «غورت» القائد البريطانى فى أوائل الحرب العالمية الثانية: «فقد كان مستقيمًا وذا خلق متين متصفًا بصفات ممتازة كالشجاعة والنزاهة».[3]

كما يقول عن المشير (ويفل) القائد البريطانى فى الحرب العالمية الثانية «لم أنفك عن الإعجاب بشجاعته ونزاهته فى يوم من الأيام».

ثم يقول: «ويجب أن يكون القائد مستقيمًا كل الاستقامة»[4]

---

(١) السبيل إلى القيادة ص ١٥ ـ ١٦.
(٢) المصدر السابق الباب الثالث ص ٥٠.
(٣) المصدر السابق ص ٥٥.
(٤) المصدر السابق ص ٦٢.

ويتابع مونتكومرى كلامه عن أهمية العقيدة للقائد، فيحث القادة بصفته مسيحيًا على الاقتداء بالسيد المسيح عليه السلام فيقول:

«فالمسيح قد قدم إلى أتباعه مجموعة من المبادئ ومثالاً من نفسه لاينسى، وهذا مايجب أن يفهمه القادة فى يومنا هذا، وهو ماينقصهم على مايظهر، وعلى القادة الوطنيين فى العالم الحر أن ينظروا إلى التناقض بين السلطة والعقيدة الدينية بمنظار أحسن».(١)

ويقول عن (إبراهام لنكولن):

«كان كثير الأمانة والإخلاص، وإن الإنجيل كان موجودًا فى بيته، ولاشك بل ربما كان الإنجيل هو الكتاب الوحيد فيه، على أننا نلحظ قراءته للإنجيل من خطبه وكتاباته الأخيرة».(٢)

«وكان سلوكه من حيث الأساس مسيحى الأصول دائما، ويبدو أنه كان يتبع طبيعيا التعاليم التى ذكرها المسيح فى الخطبة التى ألقاها فى الجبل(٣) ولم يكن ذلك تظاهرا منه بالتقوى، بل لأنه كان يعتقد بأن الفضائل الدينية هى فضائل ديمقراطية أيضا فهى تهدى الناس إلى أن يعيشوا حياة كريمة محترمة»(٤).

ليس هذا فحسب ولكنه يقول:

«قلما ينجح قائد، بل لايمكن أن ينجح أبدًا ما لم يمارس الفضائل الدينية».(٥) وخلاصة مايدعو إليه مونتكومرى كما يتضح من كتابه الآتى:

---

(١) السبيل إلى القيادة الباب الرابع ص ٦٦.

(٢) السبيل إلى القيادة ـ الباب الخامس ص ٩١.

(٣) وهى الخطبة التى أثنى فيها المسيح على المتواضعين والفقراء، وقال إنهم سيرثون الأرض من بعده.

(٤) المصدر السابق ص ٩٨.

(٥) المصدر السابق ص٩٩.

أولا: إن العقيدة فى القائد المؤمن بعقيدته هى سر انتصاره، وهى التى تدفعه إلى الجهاد، لأن المحارب يتقدم بنفسه لحماية مجتمعه، فلابد أن تكون له قوة تحمله على تقديم نفسه فى سبيل مثل عالية تجعله يقدم نفسه راضيًا مطمئنًا.

ثانيًا: بإن العقيدة تدفع إلى العدل، ولايدفع الجندى إلى الرضا إلا أن يحس بأنه يعمل فى ظل عدالة لاتحابى، ولاتضن على أن تعطى كل ذى حق حقه.

ثالثًا: أن العقيدة وإخلاص المؤمن لها، وإذعانه لما تتقاضاه منه تجعله حريصا على جنده، يحنو عليهم ويقرب منهم، والقائد يقود نفوسًا ولايرتب بنيانًا، ومن يقود النفوس عليه أن يدنو منها ويحنو عليها.

رابعًا: إن العقيدة تجعل القائد كالكاهن لايفكر فى نفسه، ولا فى ماله، ولا فى أى مأرب من أمور الدنيا، غير أن ينتصر فى ميدان يحسب أنه فيه يحمى الفضيلة، وبذلك يعلو على نفسه ويسمو.

وإن القائد يجب أن يكون ضابطًا لنفسه صبورًا وأن الجنود من ورائه يضبطون نفوسهم بضابط الصبر، وإن المحاربة تكون بالمصابرة كما تكون بالمقاتلة، بل إن أساس القوة فى المقاتلة هو المصابرة.

هكذا يقرر «مونتكومرى» وقد نادى من قبله القرآن الكريم بالصبر فقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١)

---

(١) آل عمران آية ٢٠٠.

وإن الصبر وضبط النفس لايظهران إلا عند الصدمات كما قال ﷺ (إنما الصبر عند الصدمة الأولى)(٢)

أثر العقيدة فى الفتوحات الإسلامية

إن «الاستراتيجية» الإسلامية استطاعت فى فترة وجيزة من الزمن، بعد أن استقرت العقيدة فى قلوب مقاتليها، أن تخترق حدود ثلاث قارات هى أوروبا وآسيا وأفريقيا، واستطاعت فى خلال ثلاثين سنة فقط من ظهور دعوتها أن تكون دولة تمتد من الصين شرقًا إلى حدود فرنسا غربًا وإلى سيبريا شمالاً وإلى المحيط الهندى جنوبا وتتلاشى الحدود السياسية والجغرافية من بينها وتفتح بلاد فارس ومراكش، ويصل هذا المد إلى آسيا الصغرى.

وينطلق من هذه البلاد الجيش الإسلامى فيفتح البلاد المتاخمة، ويحولها إلى قاعدة الانطلاق لهذه القوة الضاربة. وبعدها توغلوا فى أوروبا حتى بلغوا أسوار «فينا».

وقد كتب معتمد القيصر بطرس الأكبر لدى الباب العالى: أن السلطان العثمانى يعتبر البحر الأسود كداره الخاصة، فلا يباح دخوله لأجنبى.

وقال البارون كارادفور فى كتابه «مفكرو الإسلام» فى الجزء الأول منه عند ترجمة محمد الفاتح:

«إن هذا الفتح لم يقيض لمحمد الفاتح اتفاقًا ولاتيسر لمجرد ضعف دولة بيزنطة، بل كان هذا السلطان يدبر التدابير اللازمة له من قبل، ويستخدم له كل ماكان فى عصره من قوة العلم.

---

(١) أخرجه البخارى ١: ١٠٠ فى الجنائز باب زيارة القبور ومسلم فى الجنائز حديث ٩٢٣ باب البكاء على الميت والترمذى فى الجنائز حديث ٩٨٧ باب الصبر فى الصدمة الأولى.

لقد كانت المدافع حينئذ حديثة العهد بالإيجاد فأعمل فى تركيب أضخم المدافع حتى تمكن من تركيبها يومئذ، وانتدب مهندسًا مجريًا ركب مدفعًا كان وزن الكرة التى يرمى بها ٣٠٠ كيلو جرام، وكان مدى مرماه أكثر من ميل.

وقيل: إنه كان يلزم لهذا المدفع ٧٠٠ رجل ليتمكنوا من سحبه، وكان يلزم له نحو ساعتين من الزمن لحشوه.

ولما زحف محمد الفاتح لفتح القسطنطينية، كان تحت قيادته ثلاثمائة ألف مقاتل، ومعه مدفعية هائلة.

وكان أسطوله المحاصر للبلدة من البحر ١٢٠ سفينة حربية، وهو الذى ـ من قريحته تصور ـ سحب جانب من الأسطول من البر إلى الخليج، وأزلق على الأخشاب المطلية بالشحم ٧٠ سفينة أنزلها فى البحر من جهة الجبل.

ونقول: إذا كان المسلمون قد استعملوا فى فتوحاتهم السيف ضد المعوقين والواقفين فى وجه دين الله.(١)

وطوروا أسلحتهم فى فتوحات فارس فاستعملوا السفينة والبحر.

واستعانوا فى هزيمة الروم بسلاح الطبيعة، فحصروا أعداءهم بينهم وبين البحر، وكان هذا من أكبر العوامل لتعجيل النصر.

فإن محمداً الفاتح فى هذه المرحلة المتأخرة قد عمل على تطوير أسلحته أيضاً فلم تعد أسلحة تقليدية.

لم يعد السيف والرمح ولا الترس ولا النبل. ولكنها كانت المدفع والدبابة.

---

(١) هذا هو الطريق. دكتور عبد الرحمن عميرة ص ٥٠ ـ ٥٤ ط دار الجيل بيروت ـ لبنان.

ووسائل العبور، من قيام الكبارى، وتطويق الأعداء، والخبرة الأجنبية، ولامانع من ذلك لأن الرسول ﷺ يقول:

«الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها»[1].

وتم فتح القسطنطينية التى يقول عنها نابليون.

«لو كانت الدنيا دولة واحدة لكانت القسطنطينية أصلح المدن لتكون عاصمة لها[2]

المعاملة الحسنة لأهل البلاد

ونقول: إن المسلمين الذين دخلوا هذه البلاد عاملوا أهل الكتاب أحسن معاملة ولم يكن هناك فرق بينهم وبين المسلمين، ولقد كانت مناصب الدولة مفتوحة أمامهم. من ذلك:

أن عمر بن الخطاب اصطنع بعض أبناء «قيسارية» بعد أن استولى المسلمون عليها - كتّابا وأدخلهم فى خدمة الدولة[3].

وأبو موسى الأشعرى الوالى على العراق اتخذ له كاتباً نصرانياً.

وكذلك معاوية بن أبى سفيان استعمل فى قصره طبيباً نصرانياً هو ابن «أثال الذى كافأه معاوية بوضع الجزية عنه وتوليته خراج حمص.

ولما تم فتح مصر أبقوا من فيها من العمال البيزنطيين. وظلت الدولة حتى عهد عبد الملك تدون باليونانية والفارسية والقبطية.

وظل الدينار ذا طابع بيزنطى حتى عهد عبد الملك. وكانت لبعض الشخصيات النصرانية مكانة كبرى مثل «أثناسيوس» الذى ينعت

---

(١) الحديث رواه الترمذى والعسكرى والقضاعى بزيادة «حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه «راجع كشف الخفاء للعجلونى ١: ٣٦٣.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للمودودى.

(٣) ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين والفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية

بالكاتب الأعظم، ولقد استعمل نفوذه وسلطانه فى صالح رفقائه المسيحيين وشيد كنيسة «أم الإله» فى الرها من إيجار أربعمائة حانوت يملكها.

ومثل «تيودوسيوس» الذى شغل منصباً رفيعاً فى الإسكندرية حيث دفع إلى يزيد مبلغا من المال وعاد حاملاً مرسوم توليته حاكماً على الإسكندرية ومريوط ومايحيط بها دون أن يكون لوالى مصر ـ فى ذلك الوقت ـ سلطان عليه.

واستعمل سليمان بن عبد الملك لنفسه كاتباً نصرانياً يقال له «البطريق ابن النقا» وجعله ناظراً فى الرملة.

وعين المنصور يهودياً اسمه موسى أحد اثنين من جباة الخراج فى بغداد، وكان زمرة من الأطباء يهوداً ومسيحيين أيام الخليفة على صلة وثيقة بحكام المسلمين، وبالرعية على السواء.[1]

ولقد استعين بالمهندسين النصارى فى تشييد المساجد الكبرى والقصور يقول» «متز»: إن مما يميز المملكة الإسلامية عن أوروبا النصرانية فى القرون الوسطى أن الأولى يسكنها عدد كبير من معتنقى الأديان الأخرى، غير الإسلام، وليست كذلك الثانية.

وأن الكنائس والبيع ظلت فى المملكة الإسلامية كأنها خارجة عن سلطان الحكومة، وكأنها لاتكون جزءاً من المملكة، معتمدة فى ذلك على العهود وماكتسبتها من حقوق.[2]

يقول صاحب كتاب الأغانى، وصاحب كتاب الوفيات: إن خالداً القسرى المتوفى بعد سنة ١٠٥ هجرية بنى كنيسة وراء السور الغربى لمسجد الكوفة، فكان المسيحيون يدقون الناقوس، والمؤذن يؤذن

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٢٠ د. الفتاوى صـ ١٨, ٤٢.

(٢) المصدر السابق وراجع هذا هو الطريق د. عبد الرحمن عميرة ص٥٣.

للصلاة، كما أن ترانيمهم كانت تعلو على صوت الإمام فلا يسمع، تعلو ترانيم الكنيسة على صوت الامام فى المسجد فلا يعترض، ويصل خبر ذلك إلى حاكم الدولة فلا يمانع لأن الإسلام يكفل حرية العبادات ويشجع أهل الكتاب على إقامة شعائرهم.(١)

لقد فتح المسلمون بلاد الفرس، وفتحوا بلاد الروم، وفتحت مصر والشام، ورفض الحاكم العام عمر بن الخطاب أن يأخذ الجنود شيئاً من الأراضى المفتوحة وأن الأرض لأبنائها الشرعيين، وأبقى لهم متاجرهم ومنازلهم.

لأن الفتح الإسلامى لم يكن للاستيلاء أو الغلبة لم يكن الفتح لجمع المال أو لعروض التجارة، وإنما كان للحرية والعمران، للحق والعدل، للإحياء والتجديد للعلم والابتكار فيه.

فإذا ارتفع اسم الله فى الآفاق، وأصبحت كلمة الله هى العليا، فلا حاجة للجيش الإسلامى للبقاء فى تلك البلاد، بل يتركها لأهلها وشئونهم ولحاكم من جنسهم آمن بالله واتبع شريعته.

ولقد أقر الإسلام بعض حكام البلاد المفتوحة عليها إذا أعلنوا إسلامهم فهذا «بازان» الفارسى يقره أبو بكر على حكم اليمن، وهذا «فيروز» يقيمه حاكماً على صنعاء، فلما أجلاه عنها قيس بن عبد يغوث العربى، رده إليها أبو بكر منتصراً للمسلم الفارسى على المسلم العربى.

كذلك أقر الحكام المسلمون كثيرا من الموظفين فى بلادهم المفتوحة على وظائفهم التى هى دون الولاية، ممن بقوا على دينهم ولم يسلموا.(٢)

---

(١) كتاب الأغانى للأصفهانى ووفيات الأعيان

(٢) هذا هو الطريق د. عبد الرحمن عميرة ص٥٤ ـ ٥٥

ولقد كانت هذه المعاملة الطيبة التى عامل بها المسلمون الفاتحون أهل البلاد أثرها الكبير فى اعتناق الكثير منهم للإسلام.

إن الهدف الأساسى من شن الحرب على الطواغيت لأنهم كانوا يقفون فى طريق الدعوة إلى الله. ويحولون بينها وبين شعوبهم من الدخول فيها ـ فإذا تم ذلك بدون قتال. كانت هذه المعاملة الحسنة أقوى من كل الأسلحة الفاتكة التى تعجز عن دخول الناس فى دين الله.

شهادة المستشرقين حول سماحة الإسلام

١ـ قال جوستاف لوبون[١]:

«إن القوة لم تكن عاملا فى نشر القرآن، وإن العرب تركوا المغلوبين أحرارا فى أديانهم، فإذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد، ولما كان عليه الإسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى. وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانية، وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم، تاركين لهم قوانينهم ونظمهم ومعتقداتهم، غير فارضين سوى جزية زهيدة، فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم.

«والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب.

٢ـ وقال الكونت هنرى دى كاسترى[٢]:

«إن المسلمين امتازوا بالمسالمة، وحرية الأفكار فى المعاملات، ومحاسنة المخالفين وهذا يحملنا على تصديق ماقاله (روبنون): إن

---

(١) حضارة العرب جوستاف لوبون ـ ترجمة عادل زعيتر

(٢) الإسلام خواطر وسوانح ـ ترجمة أحمد فتحى زغلول.

شيعة محمد هم وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم، وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة، ولم يتركوا أثرا للعسف فى طريقهم، إلا ماكان لابد منه فى كل حرب وقتال، ولم يقتلوا أمة أبت الإسلام».

٣. وقال فريمان فى كتابه تاريخ العرب:

«كانت الدعوة إلى ميدان القتال بالنسبة للعرب الأول أشبه ماتكون بالدعوة إلى وليمة عرس، وكان هؤلاء الرجال مع شراستهم فى القتال، شديدى الدماثة بعد النصر، فلقد حفظوا عهودهم تمام الحفظ، ولم نسمع عن مجازر لاتمييز فيها قد ارتكبوها، ولم يكن مما يشين جيوش رومة، وفارس أن ينتصر عليها مثل هؤلاء الناس».

٤. وقال ارنولد فى كتابه (الدعوة إلى الإسلام) عند الحديث عن انتشار الإسلام بين مسيحى أفريقيا وهو بصدد مصر:

«ليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن دخولهم فى الإسلام على نطاق واسع كان راجعا إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين. بل لقد تحول كثير من القبط إلى الإسلام قبل أن يتم الفتح، حيث كانت الإسكندرية حاضرة مصر وقتئذ لاتزال تقاوم الفاتحين».

الفصل الثالث

الاستراتيچية الإسلامية وإعداد الجيوش

١ ـ تمهيد.

٢ ـ هيكل التنظيم للجيش الإسلامى.

٣ ـ الجيش الإسلامى فى خلافة عمر بن الخطاب.

٤ ـ التدريب.

٥ ـ التدريب الرياضى.

٦ ـ التدريب على استعمال السلاح.

٧ ـ إعداد الأسلحة والعتاد.

الاستراتيجية الإسلامية فى إعداد الجيش

تمهيد:

فى بداية نزول الوحى على الرسول ﷺ والدعوة إلى الله عن طريق الإنذار بقوله تعالى:

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾(١).

لم يكن هناك تفكير فى إعداد جيش يحمى القلة المستضعفة فى مكة، ولكن بعد هجرته ﷺ إلى المدينة ـ ونزول قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ ﴾(٢).

بدأ الرسول القائد فى إعداد القوة حتى تكون درعًا وافيًا للجماعة المسلمة. وتعمل جاهدة على نشر الدعوة الإسلامية للناس كافة.

وكانت هذه القوة تتكون من المهاجرين من مكة. ومن الأنصار فى المدينة، ولقد قامت هذه القوة بالعديد من السرايا والغزوات.

وعند انتهاء المهمة أو الغزوة تعود هذه القوة إلى أعمالها المدنية من تجارة وزراعة، وغير ذلك. فلم يكن فى هذا الوقت المبكر من تاريخ الإسلام جيش دائم له تشكيلاته ونظمه. والأسباب التى أدت إلى ذلك هى:

١ ـ قلة عدد المسلمين بالنسبة لمن يجاورهم فى الجزيرة العربية من المشركين.

٢ ـ قلة المصادر المالية والتى يحتاج إليها فى إعداد جيش منظم.

---

(١) سورة الشعراء آية رقم ٢١٤.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

ولقد كان تسليح هذه القوة وتمويلها يتم عن طريق ما يملكه أفراد هذه القوة من سلاح، أو ما يقدمه المسلمون المقتدرون، كما حدث فى تجهيز القوة الضاربة المتجهة إلى تبوك، حيث قام عثمان بن عفان رضي الله عنه بتقديم الكثير لهذا الجيش الذى سمى «جيش العسرة».[1]

فإذا كانت الأسلحة الموجودة فى حوزة المقاتلين لا تكفيهم كما حدث فى بعض الغزوات لجأوا إلى استعارة الأسلحة من غير المسلمين ، كما حدث أن أخذوا السلاح عن طريق الإعارة من صفوان بن أمية - وهو مشرك.[2]

ولا يختلف الوضع فى عهد الخليفة أبى بكر رضي الله عنه عن الوضع فى عهد الرسول ﷺ .

أما فى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان الوضع يختلف بالنسبة للقوة الضاربة للمسلمين.

حيث قام عمر ومعه مجموعة من الصحابة - بوضع اللبنات الأولى القائمة على أسس علمية فى تكوين جيش قوى، له بعض خصائص الجيوش المحاربة فى عصرنا الراهن. وتتلخص هذه الأسس فى الآتى:

١ - إعداد الجيش النظامى الذى له صفة الدوام للأمة الإسلامية.

٢ - تكوين ديوان الجند ليقوم بمتطلبات ومعدات الجيش.

٣ - العمل على إيجاد وتكوين الدولة المجاهدة.

---

(١) سيرة ابن هشام ٤: ١٦٩ - ١٨٠. تحقيق محيى الدين عبدالحميد.

(٢) كان ذلك عند السير إلى هوازن ولقد قال صفوان: أغصبًا يا محمد؟ قال: بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك. راجع سيرة ابن هشام ٤: ٦٨.

هيكل التنظيم للجيش الإسلامى:

أ. المرحلة الأولى:

تبدأ بهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة حتى نهاية خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه. وفى هذه المرحلة يكاد لا يوجد تنظيم ثابت لهذا الجيش، إلا أنه استند فى تشكيله على النظام القبلى، وظهر ذلك فى فتح مكة المكرمة. حيث ألفت الكتيبة الخضراء من المهاجرين والأنصار.(١) ثم كانت أقسام الجيش حسب القبائل من بنى سليم وبنى غفار، وبنى أسلم ومزينة، وعدد من قبائل تميم وقيس وأسد.(٢)

ونقول: إن الأسس التى قام عليها التنظيم فى هذه المرحلة، هى العوامل السياسية، ونوع المهمة، وطبيعة الأرض التى تجرى عليها الحركات ومدى بعدها عن قاعدتها الأمنية. «المدينة المنورة»

هذا بالإضافة إلى التثقيف السياسى والدينى للأمة المسلمة.

ب. المرحلة الثانية:

وتشمل عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،حتى نهاية خلافة على بن أبى طالب . وفى هذه المرحلة فتحت أراض عربية كثيرة، كنتيجة حتمية لمعارك الجهاد التى خاضوها، ولضخامة الجيوش التى اشتركت فى هذه الحروب، أوجبت تشكيل جيش نظامى متطور بصورة متوازنة، مع تطور الظروف والمعارك والمهمات الملقاة على عاتقه، لا صلة لها بالانتماء القبلى، إلا ما كان من النخوة والحماسة أثناء القتال.

ويطيب لنا أن نقدم فى هذه الأطروحة بعض التنظيمات العسكرية، والتى يمكن عن طريقها معرفة هيكل التنظيم.

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ١٣: ٥٤.

(٢) سيرة ابن هشام تحقيق محيى الدين عبدالحميد ٢: ٤٢١.

١ . العرفاء.

مفردها عريف وهو أمير لعشرة. وبذا يكون مصطلح العرافة. هى المؤلفة من عشرة مجاهدين يقودها عريف. وهى ما تعادل الحضيرة فى الوقت الحاضر، وهى تعتبر أصغر وحدة فرعية فى الجيش الإسلامى.

ولقد جاء فى أمر القيادة الإسلامية فى المدينة إلى سعد بن أبى وقاص، قائد معركة القادسية ما يلى:

« إذا جاءك كتابى هذا فعشر الناس، وعرف عليهم، وأقره على أجنادهم، ومر رؤساء المسلمين فليشهدوا، وقدرهم وهم شهود، ثم وجههم إلى أصحابهم، وواعدهم القادسية»[١].

٢ . النقباء (أمراء الأعشار):

فى بيعة العقبة الثانية[٢] طلب الرسول القائد من الأنصار قائلاً:

«أخرجوا إلىّ منكم اثنى عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم، «فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبًا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس».

والنقباء مفردها نقيب. وهو سيدهم وضمينهم الذى ينقب عن أحوالهم[٣].

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٦ هـ ١٩٥٦ م ص ٣٠٤.

(٢) حدثت قبل هجرة الرسول - ﷺ - إلى المدينة المنورة وكان عدد من بايع النبى من الأوس والخزرج سبعون رجلاً وامرأتان - راجع الطبرى تاريخ الرسل والملوك ٣: ٢٣٨.

(٣) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ٢: ٩٨ - ١٠١ وسيرة ابن هشام ٣: ٤٧ - ٥١.

أما عدد الأفراد الذين يكون عليهم الأمير فقد روى ابن قتيبة: أن عمر بن الخطاب سأل بعض بنى عبس: كم كنتم يوم الهباءة..؟

فقال: كنا مئة كالذهب لم نكثر فنتواكل، ولم نقل فنذل[1].

وجاء فى حديث رسول الله ﷺ خير الأصحاب أربعة، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف»[2].

وعلى هذا فأمراء العشائر يعادلون أمراء السرايا فى عصرنا الراهن.

٣. الكتيبة:

جمعها كتائب. ولقد عرف الجاهلية لفظ كتيبة فى حروبهم. من ذلك ما يقوله الشاعر عنترة[3].

برزت بها دهرا على كل حادث ولا كحل إلا من غبار الكتائب

ولقد ورد لفظ «كتيبة» فى العهد الإسلامى عند فتح مكة. حيث جمع المهاجرون والأنصار فى الكتيبة الخضراء تحت قيادة الرسول ﷺ.

ثم استخدمها الخلفاء الراشدون من بعده. ويذكر النويرى أن الكتيبة من مائة إلى ألف. ثم أدخل مصطلح «كردوس» مرادفا لها وذلك قبل معركة اليرموك عندما أخذ خالد بن الوليد به[4].

كما ورد أيضا لفظ «كتيبة» فى معركة القادسية حيث جاء «فقرأ على الكتيبة سورة الجهاد ثم قرئت فى كل كتيبة.[5]

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ١٢٥.

(٢) رياض الصالحين ص ٣١١.

(٣) ترجمة وافية له فى خزانة الأدب للبغدادى ١: ٦٢.

(٤) نهاية الأرب للنويرى ٦: ١٨٩.

(٥) تاريخ الطبرى ١٣: ٥٣٦.

٤ ـ الجيش أو نظام الخميس:

عـرف المسلمون نظام الخمـيس، إذ أخـذوا يعـبـئـون جـيـوشـهم فى خمسـة أجزاء. وقد عرف هذا النظام عند الفرس والروم وحلفائهم من المناذرة والغساسنة، وهى كالآتى:

أ ـ الطليعة وتشمل الفرسان.

ب ـ الميمنة: وبها مجموعة من الفرسان ممن لهم خبرة عالية بفنون القتال.

ج ـ الميسرة: وتشمل أيضًا الفرسان الأشداء الذين لهم قوة وتحمل .

د ـ الساقة: أو المؤخرة : وكان بها الإبل والعيال والأحمال.

وقد ظلوا على هذه التعبئة طيلة حروبهم مع الكثير من الإبداع والتجديد، ومع الكثير من البراعة فى فن المناورة.(١)

الجيش الإسلامى فى خلافة عمر بن الخطاب

بدأ تنظيم الجيش فى عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تنظيما جديدا، حتى يتمكن هذا الجيش من صيانة الحقوق المشروعة للأمة الإسلامية ومن المبادئ والقواعد التى قعدها عمر فى هذا الصدد:

أولا: أنه فرض التجنيد الإجبارى بعد أن كان فى عهد الرسول ﷺ إجباريًا بالتزام أدبى.

ثم أصدر أوامره إلى عماله على الكور والقبائل قائلاً:

---

(١) حدد الهرثمى فى كتابه: مختصر سياسة الحروب ص ٤١ ـ ٤٣ عمل الجيش «الخميس» عند إلتقاء الزحفين فقال: عمل الميمنة أن يبدءوا ... إلى آخر ما قال.

« لا تدعو من ربيعة أحدًا ولا مضر، ولا حلفائهم من أهل النجدات ولا فارسًا إلا اجتلبتموه، فإن كان طائعاً وإلا حشرتموه، احملوا العرب على الجد ولا تدعوا أحدا له سلاح أو قوس أو نجدة أو رأى إلا انتخبتموه، ثم وجهتموه إلىَّ والعجل العجل[1].

ثانيا: الديوان.

الديوان كلمة فارسية معربة معناها. مجتمع الصحف، أو السجل الذى يكتب فيه أسماء مقاتلى الجيش الإسلامى[2] ومن فرض لهم العطاء من المقاتلين وغير المقاتلين إحصاء لهم وتثبيتا لحقوقهم وينقسم الديوان إلى قسمين.

أ. ديوان الجند:

عندما تولى عمر بن الخطاب كانت الجيوش الإسلامية قائمة على التطوع ولكنه رأى أنه لابد من إقامة الجيش الإسلامى الدائم، ولغرض معرفة أعداد مقاتليه وتسليحهم وصفاتهم فإنه لابد أن يضع هيئة تشرف على ذلك ولديها فى السجلات ما يمكنها من معرفة كل شىء عن المقاتلين[3].

ولهذا أصدر أوامره بإنشاء ديوان الجند والغاية منه هى: إحصاء المقاتلين وتثبيت أسمائهم مع انتماءاتهم العرقية والجغرافية، وتثبيت العطاء لهم، وتحديد رواتبهم ومواعيدها، مع تثبيت تسليح كل منهم،

---

(١) تاريخ الرسل والملوك. الطبرى ٤: ٨٢ والكامل لابن الأثير ٣: ٤٤٨ . ٤٤٩ والنظم الإسلامية نشأتها وتطورها د. صبحى الصالح ٤٨٥ . ٤٨٩ وأشهر مشاهير الإسلام فى الحروب والسياسة: رفيق العظم ٢٩٥ . ٢٩٦.

(٢) الأحكام السلطانية للماوردى تحقيق د. عبدالرحمن عميرة . ٢٣٠ . ٢٣١.

(٣) الأحكام السلطانية للفراء: ٢٢٥.

وذلك تسهيلاً للمقاتل وذلك للتفرغ للجهاد، وعدم التفكير فى إعاشة عائلته أو حمايتها، لقيام الدولة بذلك.

شروط القيد فى سجلات ديوان الجند:

لكى يكون الشخص مقاتلاً نظامياً فى الجيش الإسلامى لابد من توافر الشروط والمواصفات التالية فيه:

ونقول من أهم المواصفات إلى تحقيق الكفاءة فى القتال: التدريب الجيد على جميع الأعمال العسكرية، لأن التدريب على القتال له آثاره المادية والمعنوية بالغة الأهمية نذكر منها ما يلى:

أولاً: إيجاد الكفاءة القتالية العالية لأفراد الجيش المحارب قادة وجنودًا.

ثانيًا: يجعل الجيش على درجة عالية من الاستعداد للقتال الفورى.

ثالثـًا: يقلل التدريب المستمر الخسارة فى الأرواح لأن الجندى المدرب أقل تعرضًا للإصابة من زميله ناقص التدريب.

رابعًا: الانضباط فى كل الأحوال. لأن الانضباط أساس الجندية ويتولد مع الانضباط الطاعة والأمانة والإخلاص. ولا يتأتى تحقيق هذا النوع من الانضباط إلا على أساس الاقتناع الذى يولد لدى الفرد الدافع الذاتى لطاعة الأمر.

خامسًا: الحرية والكرامة لأن تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى يصنع المحارب الذى لا يهزم.

سادساً: ومن أنواع التدريب الرقابة الداخلية أو تنمية الضمير الذاتى التى تحول بينه وبين الانحراف أو التردى وتدفعه إلى خوض المعارك لتحقيق النصر.

نقول ذلك لأن الرقابة الخارجية قد تغفل وقد تنام أما هذه الرقابة الداخلية فهى دائمًا يقظة تخاف الله وتشعر الفرد أنها معه فى كل وقت وحين كما قال تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1].

ومن الصفحات التى يجب أن يتحلى بها الجندى إو المحارب : الضمير وقوة التحمل.

وأن يكون أمام الجندى هدف يحارب من أجله إما نصرة الدين أو رفعة شأن الوطن وفى سبيل ذلك يضحى المحارب بأغلى شىء يملكه وهو نفسه فى سبيل تحقيق النصر.

وأن يكون المحارب صحيح البدن قوى الشكيمة. حاد البصر والبصيرة. أما ما حدث فى بعض الحروب السابقة فى صدر الإسلام عندما تقدم وطلب فاقد البصر ابن أم مكتوم أن يشترك فى الجيش المتجه إلى فتح فارس وهو الذى نزل فيه قول الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾[2].

فقيل له: إنك لا تستطيع القتال ولا الاشتراك فى المعركة فقال: إن لم أقاتل معكم: كثرت السواد، وحفظت لكم المتاع.

وهذه الحالات الذى ذكرت تعتبر من الاستثناء الخارج عن القاعدة العامة أما الشروط التى وضعت للتسجيل فى ديوان الجند فكانت تنفذ بكل دقة.

---

(١) سورة الحديد آية ٤.

(١) سورة عبس آية رقم ١ - ٢.

ب: ديوان العطاء.

والعطاء مقدار من المال يدفع سنويًا إلى جماعة المسلمين سواء أكانوا فى الجزيرة العربية أم فى الأمصار التى فتحت.

وكان هذا العطاء يعتبر المورد الرئيسى لإعاشة الناس.

وكانت موارد ديوان العطاء تتكون من الآتى:

١ - الخمس من غنائم المعارك التى اشترك فيها الجيش الإسلامى.

٢ - الفىء الذى يقول الله تعالى فيه:

﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾[١].

٣ - الزكاة التى يدفعها المسلمون.

٤ - الجزية المفروضة على الذميين.

٥ - الخراج وعشور التجارة.[٢]

ولقد مر ديوان العطاء بمراحل ثلاث:

أ. المرحلة الأولى:

ولقد كانت فى عهد الرسول ﷺ وقد كانت الموارد غير ثابتة. وعليه لم يكن مقدار العطاء المخصص للمسلمين ثابتًا.[٣]

إلا أن كل ما كان يحصل عليه المسلمون من غنائم المعارك أو من الفىء والجزية يوزع عليهم بمجرد وصوله إلى ديوان العطاء.

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٧.

(٢) راجع تاريخ الرسل والملوك ١٣ - ٨٩.

(٣) المصدر السابق تاريخ الرسل والملوك ١٣ - ٩٦.

ب ـ المرحلة الثانية:

وكانت فى عهد الخليفة أبى بكر حيث زاد عدد المسلمين فى المدينة وكثرت واردات الدولة. الأمر الذى جعل الخليفة يوزع العطاء بصورة متساوية. يستوى فى ذلك الحر والعبد، والذكر والأنثى والكبير والصغير. بمجرد وصول الموارد إلى المدينة.

ج ـ المرحلة الثالثة:

وكانت فى عهد عمر بن الخطاب وبقية الخلفاء الراشدين الذين ساروا على منهجهم وطريقتهم، وفيها تم فتح أغلبية الجزيرة العربية. هذا بالإضافة إلى أقاليم أخرى واسعة[1] وثابتة ومن أجل هذا وضع عمر الضوابط الثابتة الآتية:

١ ـ ضبط موارد الدولة. ومن أجل ذلك قام بإحصائيات متعددة لعدد السكان ومساحة الأراضى، والإنتاج، وشتى الموارد المختلفة.

٢ ـ تنظيم توزيع العطاءات على الناس، ولقد كثرت الموارد فى عهده فكان يعطى منها أهل الكتاب المحتاجين فى المدينة وشتى الأقاليم.

٣ ـ وضع القواعد السليمة التى قامت عليها مبادئ التوزيع. وقد طبق فى بادئ الأمر مبدأ التفضيل بالأسبقية فى الإسلام.

ومن مقولته فى ذلك: لا أجعل من قاتل الرسول كمن قاتل معه.

وقد استندوا على ثلاثة مبادئ رئيسية فى تقدير كمية العطاء هى:(٢)

أ ـ عدد عائلته أو مقدار ما يعول من الأفراد.

ب ـ عدد الخيل التى يرتبطها فى سبيل الله، وقد تسارع المسلمون فى ذلك تنفيذا لقوله تعالى:

---

(١) حيث دانت الجزيرة العربية كلها بالإسلام وكذلك أرض فارس ومصر والشام.

(٢) الأحكام السلطانية للفراء ص ٢٢٦.

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(1).

ج - إذا أراد المقاتل إخراج نفسه من العطاء جاز له ذلك فى حالة عدم الحاجة إليه. كما أن المقاتل يسقط حقه من العطاء فى حالة عدم تنفيذ الدعوة للجهاد (2).

ولا شك أن ديوان الجند وديوان العطاء. كان لهما أكبر الأثر فى تعزيز القوة الضاربة للمسلمين. وفى اطمئنان أفراد هذه القوة على أسرهم وذويهم. سواء عندما يكونون فى ميدان القتال. أو عند استشهادهم فى المعارك التى يخوضونها. وقد كان عمر رضي الله عنه عندما يوصى الجيش الذاهب إلى القتال يقول لهم فى نهاية وصيته:

سيروا على بركة الله وأنا أبو العيال حتى تعودوا»(3).

التدريب المتواصل للجنود

إذا انخرط الجندى فى الجيش الإسلامى، وسجل اسمه فى ديوان الجند فلابد من تدريبه على أساليب القتال. وتدريبه على استيعاب المعرفة، وتدريبه ليكون لبنة صالحة فى المجتمع.

وتكاد تنحصر غايات التدريب فى الجيوش المقاتلة على الآتى:

أ - الاستخدام الأمثل للأسلحة والمعدات المستخدمة فى القتال.

ب - التدريب على الاشتباك مع العدو والانتصار عليه بكافة الأسلحة.

ج - تدريب أفراد الجيش جميعًا على ترسيخ العقيدة فى قلوبهم.

---

(1) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

(2) الأحكام السلطانية للفراء مرجع سابق ص ٢١٨.

(3) راجع هذا هو الطريق للدكتور عبد الرحمن عميرة ص ١٨.

د ـ تدريب القادة على خلق وإبداع الطرق والوسائل الكفيلة بإحباط خطط العدو وتحطيم معداته ومعنوياته.

ولقد حقق المسلمون كل هذه البنود سواء وهم متأهبون للقتال أو فى أوقات السلم.

ولقد كان المشاة فى الجيش الإسلامى أشد بأسًا وأقوى شكيمة من مشاة الجيوش الأخرى التى تحيط بهم. ولكن المقاتل المسلم كان أقل كفاءة من نظيره البيزنطى والساسانى فى الرمى ولذا قال الرسول ﷺ لجنوده:

«هم أقوى منكم رمية»(١).

لذا كانت أوامره لجنوده بكلمات قليلة. إلا أنها ذات مدلولات كبيرة. من ذلك:

أ ـ أكد على ضرورة رفع مستوى الجيش العربى المسلم بالرمى، سواء رمى السهام أم الحراب حين قال لهم:

(ألا إن القوة الرمى) وكررها ثلاث مرات.(٢)

ب ـ ولكى يدعم صناعة السلاح ويوجه اهتمام المسلمين إليها. قال عليه السلام «إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة»

صانعة المحتسب فى عمله، والرامىَ به. والممدَّ، فارموا واركبوا،وأنْ ترموا أحب إلىّ من أن تركبوا.(٣)

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ورياض الصالحين.

(٢) رواه مسلم فى الإمارة باب فضل الرمى حديث ١٩١٧ وابن ماجة فى الجهاد الحديث ٢٨١٣ وأبو داود فى الجهاد ٢٥١٤.

(٣) رواه أبو داود فى الجهاد حديث ٢٥١٣ باب فى الرمى والترمذى فى الجهاد باب فضل الرمى حديث ١٦٣٧

ج – ولكى يربط مستوى الرمى بواسطة الثقل من القتال، والتأكيد على أهمية الرمى من الحركة ، قال ﷺ (كل ما يلهو به المرء المسلم باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديب فرسه، وملاعبة أهله)(1).

د . ولغرض ربط الأهداف ورفع الروح المعنوية. والتسليح والتدريب الجيد، فإنه حينما رأى القوس بأيدى المقاتلين قال ﷺ: {بهذه وبرماح القنا تفتحون البلاد}.

وقال فيها أيضًا: { ما سبقها سلاح إلى خير منها}(2).

هـ . ضرورة تطبيق فكرة الحرب الخاطفة ضد الجيوش المعادية. وهذا يتطلب استخدام الخيل فى القتال لتأمين سرعة الحركة، والذى بدوره سيؤدى إلى تأمين قوة الصدمة عليهم قال لهم ﷺ:

﴿ الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة﴾(3)

وأمرهم بتدريب الخيل، ومن خواص الخيل التعلم لذا قال ﷺ ﴿عاتبوا الخيل فإنها تعتب﴾(4).

ومن أجل تطبيق فكرة الحرب الخاطفة أقسم الله سبحانه وتعالى بالخيل قال:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾(5).

---

(1) رواه النسائى ٤٤ فى الخيل باب تأديب الرجل فرسه ومسلم فى الإمارة باب فضل الرمى فى سبيل الله حديث ١٩١٩.

(2) كتاب الفروسية لابن القيم ط لبنان دار الكتب العلمية ص ١٥ . ١٦.

(3) الحديث رواه البخارى فى المناقب ٢٨ ومسلم فى الزكاة ٢٥ وأبو داود فى الجهاد ٤١ وابن ماجة فى التجارات ٢٩ والجهاد ١٤ وأحمد بن حنبل فى المسند ٣:٣٣، ٥:١٨١.

(4) كتاب حلية الفرسان لمؤلفه : على بن عبدالرحمن بن هذيل تحقيق محمد عبدالغنى حسن – دار المعارف القاهرة ١٣٦٩ . ١٩٤٩ ص ٥١٣.

(5) سورة العاديات الايات ١ . ٣.

يقسم الله سبحانه وتعالى بخيل المعركة، ويصف حركاتها واحدة واحدة، منذ أن تبدأ عدوها وجريها ضابحة بأصواتها المعروفة حين تجرى قارعة للصخر بحوافرها حين تورى الشرر منها، مغيرة فى الصباح الباكر لمفاجأة العدو. مثيرة للنقع والغبار غبار المعركة على غير انتظار، وهى تتوسط صفوف الأعداء على غرة، فتوقع بينهم الفوضى والاضطراب.

إن الجيش الإسلامى بعد أن فتح الأجزاء المتاخمة لأراضى الجزيرة العربية، واجه الحصون والقلاع، سواء فى العراق أم الشام أم مصر، وكان عليه أن يواجه الموقف بالعدد والعتاد. ومن هنا أمر الرسول ﷺ عمرو بن مسعود، وغيدة بن سلمة بتعلم صناعات الدبابات والمجانيق والصنبور لهذا الغرض، وقد تعلماها فى جرش جهة اليمن بالقرب من مكة. وذلك لاقتحام هذه الحصون والقلاع(١).

وأخبر المسلمين أنهم سوف يجابهون الموانع المائية، لذا أصدر ﷺ أوامره بتعلم السباحة لغرض عبور الموانع المائية قائلا: (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل).(٢)

كذلك كتب عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة:"أن علمواغلمانكم العوم ومقاتلتكم الرمى» كذلك فإنهم صنعوا القرب للتدريب عليها لعبور الموانع المائية، كما حدث فى فتح دمشق.(٣)

وكذلك صنعوا الجسور الخشبية كما حدث فى معركة الجسر(٤) بالعراق. وكذلك تراهم يقيمون المسابقات بينهم لهذا الغرض.

---

(١) السيرة النبوية ١: ٤٧٨.
(٢) رواه ابن منده فى المعرفة والديلمى عن بكر بن عبدالله الأنصارى مرفوعا.
(٣) تاريخ الرسل والملوك ١٣: ٤٣٩.
(٤) المصدر السابق ١٣: ٤٥٦.

فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص: أن أجر الخيل وسبق بين الجنود[1].

يفعل عمر ذلك ومن قبله الرسول القائد وصاحبهما أبو بكر، لأن الجندى المسلم سيواجه عدوا شرسا مقاتلا من الطراز الأول، وأنه سيخوض المعارك فى أجواء رديئة، وأراض غير متعود عليها، وعليه فقد استوجب التشديد على أهمية التربية البدنية، لرفع حالتهم الصحية والجسدية إلى أعلى المستويات فالإسلام يؤكد على بناء الجسم الصحيح وعلى القوة البدنية، وقد ورد فى الحديث الشريف: (إن لبدنك عليك حقا) وقيل (إن لجسدك عليك حقا) [2].

من هنا كان اهتمام الرسول ﷺ بالتدريب العالى المتواصل، وأنحى باللائمة على من يترك التدريب قال ﷺ: (من ترك الرمى بعد ما علمه فإنما هى نعمة جحدها).[3]

وقال: (من علم الرمى ثم تركه فليس منا)[4]

والذى يحمل السلاح عليه أن يصونه. ويحتاط أن يصيب به أخاه المسلم قال ﷺ:

(من مر فى شىء من مساجدنا أو أسواقنا ومعه نبل فليمسك أو ليقبض على نعالها بكفيه أن يصيب أحدا من المسلمين)[5]

ويرغب عليه السلام فى القتال والجهاد، وإعداد السلاح بقوله:(الجنة تحت ظلال السيوف)[6].

---

(١) راجع حلية الفرسان وشعار الشجعان ص ١٧٣.

(٢) راجع صحيح البخارى ٣:٥١.

(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى الجهاد رقم ٢٥١٣ والترمذى فى الجهاد ١٦٣٧.

(٤) راجع رياض الصالحين ص ٢٨٥

(٥) المصدر السابق ص ١٠٤.

(٦) الحديث رواه البخارى فى الجهاد ١١٢ ومسلم فى الجهاد ٢٠ وأبو داود فى الجهاد ٨٩.

ولاشك أن القائد العام كان يبصر جنوده بطبيعة أرض الأعداء والقوة الضاربة التى ستقابلهم ، والعدد والعدة. وغير ذلك حتى يكونوا على بصيرة من الأمر، يقول عمر بن الخطاب القائد العام لسعد بن أبى وقاص قائد معركة القادسية:"واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاصلة، وبأسهم شديد، وعلى بلد منيع. وإن كان سهلا - كئودًا ببحوره وفيوضه ودأدائه، إلا أن توافقوا غيضا من فيض.

وإذا لقيتم القوم فابدؤهم الشد والضرب، وإياكم المناظرة لجموعهم ولا يَخْدَعَنَّكُمْ، فإنهم خدعة مكره، أمرهم غير أمرهم إلا أن تجالدوهم.

وإذا انتهيت إلى القادسية، والقادسية باب فارس فى الجاهلية وهو أجمع تلك الأبواب لمادتهم، وهو منزل خصيب دونه قناطر، وأنهار ممتعة، تتكون مسالك على أنقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر، على حافات الحجر وحافات المدر[1].

إن هذا الوصف الدقيق لطبيعة أرض المعركة، يدل دلالة واضحة على بصيرة القادة فى ذلك الوقت، ومدى تفهمهم لطبيعة العمران والتمدن، وأخص خصائص البلدان فى ذلك الزمان.

ونتيجة لذلك كان لابد من إعطاء الجندى المحارب جرعة وافية من ثقافة العصر، ومعرفة بتاريخ الشعوب، وطبيعة الأرض، وما فيها من بحار وأنهار وسدود وسهول وجبال، وتعلم لغاتهم وإتقان لهجاتهم.

لذا يقول الرسول القائدﷺ: (من تعلم لغة قوم أمن مكرهم)[2].

---

(١) تاريخ الرسل والملوك للطبرى ١٣: ٤٩٠ - ٤٩١.

(٢) قيل بأنه من الأمثال، وقيل من كلام بعض الصحابة وإن كان الرسول أمر بعض الصحابة بتعلم لغة الفرس.

ويقول أيضاً لمواصلة التعليم: (اطلبوا العلم من المهد الى اللحد) (١).

وللحرص الكبير على التعليم والتعلم جعل الرسولﷺ فداء أسرى بدر تعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة ،الذين هم جنود المستقبل.

كما أنه أمر زيد بن ثابت وبعض الصحابة بتعلم اللغة الفارسية، وقد تعلمها فى مدة شهر ونصف، وقام بالكتابة للرسول ﷺ والترجمة له بين سفراء الدول.

التدريب الرياضى:

المطلع على أساليب التدريب التى كان يقوم بها الجيش الإسلامى يحس للوهلة الأولى عند قراءتها أن التدريب الرياضى كان يجرى وفق منظور علمى متطور، وإن لم تتغير التدريبات والأدوات الحديثة فى عصرنا الراهن عما كان يجرى فى ذلك الوقت. ونقول:

أ. لقد كانت الأسلحة المستخدمة فى الحروب تحتاج إلى سواعد قوية. ومن أجل ذلك كانت تدريبات الجند الرياضية تعمل على تقوية سواعدهم حتى يتمكنوا من حمل السيف أو الرمح أو القسى والقتال بها فترة طويلة، واستخدموا لذلك حمل الصخور، وكتل الحجارة. وأثقال الحديد.(٢)

ب. وحيث إن الخيل عنصر أساسى فى القتال. لذا كانوا يدربون الجند على السير لمسافات طويلة. ليمكنهم ذلك من الموازنة على ظهور الخيل، وتحمل رد فعل الكر والفر فى المعركة.

---

(١) كثيرًا ما كان الرسول عليه السلام يحض أصحابه على تعلم اللغات الأجنبية ليضموا إلى معارفهم معارف غيرهم من الأمم، وكان يقول: (الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها).

(٢) كتاب الفروسية لأبن القيم الجوزية ص ٨.

ولقد كان الرسول القائد يجرى هذه المسابقات على قوة التحمل السير إلى مسافات بعيدة.

ج ـ وبما أن المبارزة الفردية تحتاج إلى قوة بدنية عالية، وقد يلجأ المقاتل إلى اختطاف عدوه من على فرسه، ليلقى به أرضاً، لذا نراهم ركزوا على التدريب على فن المصارعة.

ولا شك أن هذه الرياضية تتطلب من المقاتل قوة جسدية ومعنوية عالية، وقد مارسها الرسولﷺ فى مكة مع المشركين.[1]

التدريب على استعمال السلاح:

هذا المستوى من التدريب كان يتم فى الساحات العريضة، والأرض الفضاء، والتى كان يطلق عليها « المدارب».

وهذه "المدارب" كانت تقوم مقام المؤسسات العسكرية حالياً، وكانت تتقسم إلى قسمين:

أ ـ المدارب لتدريب المقاتلين. وفيها يتدرب أفراد الجيش على أساليب وأنواع القتال والتى تشمل:

١ ـ ركوب الخيل عارية ومسرجة.

٢ ـ القتال والمبارزة على ظهور الخيل وعلى الأرض المبسوطة.

٣ ـ القتال بالرمح، وأشكال الطعن. الموجهة إلى جْسد المقاتل ومعرفة الأماكن القاتلة فى أعضاء الأعداء.

---

(١) من ذلك مصارعته ركانة بن عبد يزيد فصرعه ثلاث مرات فقال يا محمد والله إن هذا العجيب أتصرعنى فقال عليه السلام وأعجب من ذلك إن شئت أن أريكه إن اتقيت الله واتبعت أمرى قال ما هو .. ؟ قال أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتين قال: ادعها فدعاها فأتت حتى وقفت بين الرسول عليه السلام راجع سيرة بن هشام ١:٤٧ ٣٩١.

٤ ـ الرمى بالقسى على الأرض وفوق ظهور الخيل.
٥ ـ الحركات القتالية من الكر والفر والدوران إلى الخلف.
ب ـ المدارب الخاصة بتدريب الخيل:
وكانت هذه المدارب تكون فى الغالب من أرض الحمى. وقد عين عمرين الخطاب ﷺ سلمان بن ربيعة الباهلى كمشرف عام، وحددت واجباته كالآتى:
١ ـ تثبت خواص الخيول والتفريق بين العتيق والهجين.
٢ ـ فحصها طبياً فى دورات متلاحقة. والعمل على عزلها إن كانت مريضة، ومداواتها حتى تشفى تماماً .
٣ ـ ترويضها وفق أساليب القتال، وتعليمها تلقى الأوامر من فارسها، وإطاعته فوراً .
٤ ـ مزج تعليمها الفردى بتعليم جماعى، مع الخيول التى يمكن أن تدخل معركة واحدة، أو عدة معارك.
ولا شك أنه بعد انتهاء فترة التدريب الفردى على كافة الأسلحة، والتى كانت مستعملة فى ذلك الوقت . يجرى التسابق للتأكد من استيعاب المقاتلة، لأساليب القتال. ويبدو ذلك واضحاً أن رسول الله ﷺ مر ببعض الجنود وهم يتدربون على الرمى. فقال:(ارموا بنى إسماعيل، فإن أباكم كان رامياً، وأنا مع بنى فلان. فأمسك أحد الفريقين بأيديهم. فقال ﷺ مالكم لا ترمون..؟ قالوا: كيف نرمى وأنت معهم..؟ قال عليه السلام: أرموا وأنا معكم كلكم)[1]

(١) الحديث رواه البخارى فى كتاب الجهاد ٧٨ وكتاب الأنبياء ١٢ والمناقب ٤.

كما أنهم استخدموا وسيلة صيد الوحوش كوسيلة عملية للتأكد من دقة التدريب وسلامته.(1)

ولقد كانوا يجرون المعارك" المناورات الحربية" للمقاتلين والخيول معاً، حتى يتعودوا على أجواء المعركة فى وقت الحرب بسماعهم أصوات الخيل وقعقعة السلاح، والهجوم على الأعداء، وفتح ثغرة بين صفوفهم ، وكل ما يحدث فى المعارك الحقيقية . حتى يكونوا على بينة من الأمر. مما هم يقدمون عليه فى المعارك مع العدو.

وأيضاً: فقد كانت القوة الضاربة للمسلمين تعمل على التدريب الواقعى وكانوا يسمونه تدريب الشواتى والصوائف.

والهدف من ذلك: تأمين منطقة الحدود، وجمع المعلومات عن العدو ورصد تحركاته، ورفع معنويات روح المقاتلة، وغرس روح التعرض للعدو. وتمرينهم على القتال الفعلى فى كافة الفصول، وعلى العديد من المواقع والأراضى.

ولقد تم ذلك فعلا عندما تحركت حملة إلى أرض العدو تجاه بيزنطة، وكان قائد المعركة خالد بن الوليد ومساعده عياض بن غنم، ثم عادت هذه الحملة محملة بالغنائم وسميت الصائفة(2).

---

(1) الفن الحربى فى صدر الإسلام للأستاذ عبدالرءوف عون دار المعارف مصر سنة ١٩٦١ ص ١٩٥ ـ ١٩٧.

(2) راجع تاريخ الرسل والملوك للطبرى ١٤ ـ ص ٦٦ ـ ٦٧ والفن الحربى فى صدر الإسلام ص ١٠ ـ ٢٠.

تخصيص الأطباء والقضاة والمترجمين لمرافقة الجيش

كان الجيش الإسلامى فى عهد الرسول ﷺ إذا خرج للقتال ووقفت الحرب وسقط القتلى والجرحى، قام من لديه خبرة فى مداواة الجرحى، ويتعاون الجميع على دفن القتلى ومداواة الجرحى. ولم تكن هناك هيئة متخصصة لهذا العمل. وكان النساء يشاركن مشاركة فعالة فى هذا الميدان إذا خرجن فى الغزو مع أزواجهن الجرحى ويداوينهم.

ولقد بوب البخارى فى صحيحه «باب مداواة النساء الجرحى فى الغزو وذكر تحته حديثًا عن الربيع بنت معوذ قالت: كنا مع النبى ﷺ نسقى ونداوى الجرحى ونرد القتلى إلى المدينة. [1]

ولقد روى أنس رضي الله عنه قال: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبى ﷺ قال:

ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر وأم سليم . تنقلان القرب على متونهما ثم تفرغانه فى أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم[2]. واستمر الوضع على ذلك فى حياة أبى بكر الصديق رضي الله عنه أما فى عهد عمر فقد اختلف الوضع . وكانت هناك هيئة طبية متخصصة لهذا العمل.

روى ابن جرير الطبرى فى تاريخه وهو يكتب عن حوادث سنة ١٤ هـ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الأطبة[3]، وجعل على قضاء الناس عبد

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى شرح فتح البارى ٦: ٧٩.

(٢) المصدر السابق ٦: ٧٨.

(٣) جمع طبيب.

الرحمن بن ربيعة الباهى[1] وجعل إليه قسمة الفىء وجعل رائدهم[2] سلمان الفارسى[3].

فعمر قد عين وخصص الأطباء والقضاة والمرشدين فى جملة إعداده لخوض المعركة الفاصلة التى قادها سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه فى موقعة القادسية.

وقد روى أن عمر خصص لهذه المعركة ترجمانًا وهو هلال الهجرى[4] يرافق الجيش فيترجم إن جاء رسول أو رسالة من قادة الفرس أو وقع فى يد المسلمين أسرى أو غير ذلك من المقامات التى تقتضى الترجمة. وبهذا نعلم أن قادة المسلمين كانوا يهتمون بكل صغيرة وكبيرة تساعد على تحقيق النصر والعمل على الدعوة لدين الله.

أنواع الأسلحة والعتاد المستعملة فى المعارك الإسلامية :

قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[5] .

وإعداد القوة يعنى بها إعداد السلاح الذى يقاتل به المحاربون ويواجهون به أعداءهم.

ولقد اهتمت القيادة العسكرية الإسلامية بالغ الاهتمام بهذا الجانب من القوة.

---

(١) لم يسمع من النبى ولم يره استشهد عام ٣٢ هـ الإصابة ٢: ٢٩٠.

(٢) أى يختار لهم الأماكن المناسبة والمأمونة لنزولهم فيها.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٨٨ والبداية والنهاية لابن كثير ٧: ٣٧.

(٤) أشهر مشاهير الإسلام فى الحروب والسياسة ص ٣٤٩.

(٥) سورة الأنفال آية ٦٠ .

ونعنى بها الأسلحة والمعدات والتحصينات، والخيل والإبل، ولم تتعد هذه الوسائل التى استعملها المسلمون فى حروبهم، ما استعمله الأعداء من وسائل تقليدية كانت معروفة فى ذلك العصر.

أولاً: الأسلحة وتقسم إلى: الإفرادية، أى التى لا يتطلب استخدامها أكثر من مقاتل واحد.

ثانيـــا: الأسلحة الإجمالية، أى التى يتطلب استخدامها أكثر من مقاتل واحد.

فمن الأولى: القوس.[1]

وهى فارسية الأصل. ولقد أجاد الفرس استعمالها وكانوا أمهر من العرب فى القتال بها لذا كان النبى ﷺ يحض المسلمين باستمرار على استعمال القوس وإتقان الرمى به، فيقول: (إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة، صانعة المحتسب فى عمله الخير، والرمى به، والمعد به فارموا واركبوا، وإن ترموا أحب إلىَّ من أن تركبوا.[2]

كما كان يفسر قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[3] بقوله: (ألا إن القوة الرمى).[4]

ولقد تمكن العرب فى خلال حروبهم مع الفرس والروم من إتقان الرمى بالقسى حتى فاقوا خصومهم، وامتازوا عليهم، وبلغ من مهارتهم

---

(١) القوس: آلة على هيئة هلال ترمى بها السهام. تذكر وتؤنث. وجمعه أقواس وقسى ويقال: رموا أعداءهم عن قوس واحدة. راجع المعجم الوسيط مادة قوس: ومحيط المحيط.

(٢) سبق تخريج هذا الأثر.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

(٤) راجع صحيح مسلم ٦: ٥٢.

أنهم لو أراد أحدهم أن يرمى عينى الغزال دون الأخرى لرماها، لذا سموا مهرة الرماة (رماة الحدق)[1]

وكان أشهر مكان تقوم فيه صناعتها هو «زعر» بالشام ولهذا اشتهرت الكنائن الزعرية.

وكان الخلفاء والقادة ـ بعد النبى ـ ﷺ يستحثون رجالهم على إتقان الرماية. ولقد شمل القوس تطويرًا فى صناعته، وفى طرق استخدامه، فقد صنع المسلمون آلات مركبة كالمجرة وهى عبارة عن أنبوب من حديد أو خشب فيه شق يوضع السهم فيه، ويقذف قذفًا شديدًا، وهذه صورة لبندقية اليوم، التى توضع فيها الطلقة ويضغط على الزناد فتندفع بشدة إلى الأمام.

ثانيًا: السهم:

وهو ذخيرة القوس، عود من شجر صلب بطول الذراع تقريبًا ينحته الرامى ويسويه، ثم يحز فيه حزوزا دائرية، يركب فيها الريش، ويشده عليها بالجلد، أو يلصقه بالغراء، ثم يركب فى قمته نصلاً مدببًا له سنتان فى عكس اتجاهه يجعلان إخراجه من الجسم الذى يخترقه صعبًا. ويتألف من عدة أجزاء.

القدح: وهو جسم السهم، **والنصل:** جسم حديدى مروس من طرفه الأمامى.

الظبه: الرأس المدبب للنصل، وغير ذلك [2]

(١) كتاب التمدن الإسلامى جرجى زيدان ١: ١٦٩ والعقد الفريد لابن عبد ربه ج ١: ١٨٧.

(٢) كتاب الفن الحربى ص ١٣٧ مصدر سابق.

ولقد انتصر المسلمون على الروم لكفاءتهم فى استخدام السهام ولأن الروم لم يكن يحسنون رميها.

وكان للرمى أثر كبير فى معركة الأنبار بين خالد وجيش الفرس فقد تقدم خالد إلى رماة المسلمين وقال لهم: «إنى أرى قومًا لا علم لهم بالحرب فأرموا عيونهم ولا توخوا غيرها».

فاستجابوا لأمره ورموا رشقًا واحدًا ثم تابعوا، ففقىء لأهل الأنبار ألف عين فتصايحوا «ذهبت عيون الأنبار».

ولم يكد زعيمهم وقائدهم «شراز» يسمع تصايح أصحابه، حتى أوفد إلى خالد يطلب منه الصلح.

ثالثًا: الرمح:

هو عود من شجر صلب مثل النبع أو من القصب الهندى المجفف أحيانًا، يسوى رمحا بعد أن يركب فى رأسه نصل من حديد(1). وقد كان الرسول القائد يحث المسلمين على استعمال الرمح واقتنائه بقوله: (جعل رزقى تحت ظل رمحى).(2)

وتختلف تسمية الرمح باختلاف طوله فالقصير وهو ما دون الأربعة أذرع يسمى:

النيزك، أو الحربة أو المزراقة. والطويل: ما بين الأربعة أذرع والعشرة. تختلف تسميته باختلاف طوله. وقد ورد فى كتاب البيان والتبيين للجاحظ أن هذا النوع من الرماح ذو طبقات هى: المربوع

---

(1) المخصص لابن سيده ج ٦: ص ٥٣ ـ ٦٠ وأيضًا الفن الحربى ص ١٣٨ ـ ١٤٠ وشعر الحرب لأنور الجندى ص ١٣٨ ـ ١٣٩.

(2) كتاب نهاية الأرب للنويرى ٦: ٢١٤.

«أربعة أذرع» ثم المخموس «خمسة أذرع» ثم التام.[1]

وكان الرمح من أسلحة الحرب الهجومية، وكان العرب يتميزون باستخدامها، وكانوا يستوردونها من الهند، وكانت تنسب إلى امرأة تدعى ردية وإلى زوجها ذى يزن الملك.

ووصف الرسول ﷺ الرماح بأنها رسول المنية، إلا أن القيادة العسكرية الإسلامية كانت لا تعتمد كثيرًا على الرماح فى الحرب خوفًا من انكسارها فلا تؤدى وظيفتها.

سأل عمر بن الخطاب عمرو بن معدى كرب: ما تقول فى الرمح..؟

فأجابه: أخوك وربما خانك فانكسر.

رابعًا: السيف:

أشرف الأسلحة عند العرب وآخرها استعمالاً فى المعركة بعد القوس والرمح، إذ يبدأ القتال البعيد برمى السهام بواسطة القسى. حتى إذا ما تقاربت صفوف المتقاتلين ولم يعد مكان فى المعركة لرمى السهام استعملت الرماح، وإذا ازداد التقارب حتى الالتحام سلت السيوف واشتبك المتقاتلون بما نسميه اليوم «القتال بالسلاح الأبيض».

والسيوف، كالرماح تختلف تسميتها باختلاف مصادر صنعها. فهناك السيوف اليمانية نسبة إلى صناعة اليمن، والسيوف الهندية نسبة إلى صناعة الهند، والسيوف المشرفية نسبة إلى مشرف، رجل من ثقيف، والسيوف البصروية نسبة إلى «بصرى» بالشام[2].

---

(٣) كتاب البيان والتبيين ٣: ١٨ - ١٩.

(١) كتاب المخصص لابن سيده، ٦: ٢٩ - ٣٠ ونهاية الأرب للنويرى ٦: ٢٠٦ وشعر الحرب للجندى ص ١٥١.

ولقد كان السيف أشرف الأسلحة عند العرب، وأكثرها مدعاة للاعتزاز والافتخار والمباهاة، ولقد بلغ اعتزاز العربى بسيفه وافتخاره به أن كان يسميه باسم يختاره له، فيشتهر به ومن أسماء السيوف التى اشتهرت عند بعض القادة المسلمين. ذو الفقار، وهو سيف الإمام على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد توارثه آله حتى المهدى العباسى فالهادى فالرشيد، وقيل إن النبى ﷺ قد غنمه فى وقعة بدر من أحد المشركين. والأولق ذو القرط، وهو سيف خالد بن الوليد.

الوشاح: وهو سيف عمر بن الخطاب.

والملاء: وهو سيف سعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم أجمعين.(١)

والسيف سلاح الهجوم والقوة الضاربة فى يد الجند المسلمين يهجمون به على العدو ويوجهون إليه طعنات واثقة قاتلة، ويطعنون به الخيل التى تحمل الأعداء، واستخدمه العرب فى قتل الفيلة التى استخدمها الفرس فى معاركهم ضد المسلمين.

ولقد أدى السيف الإسلامى دورًا كبيرًا فى الفتوحات الإسلامية فى جميع العهود، وكان المسلمون يحملون سيوفهم، وحديث الرسول الكريم فى قلوبهم ووجدانهم: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».(٢)

خامسًا: الدبوس:

وهو عصا قصيرة من الحديد ذات رأس مصنوع من كتلة حديدية مربعة أو مستديرة، وهو سلاح يحتفظ به الفارس فى سرج حصانه

---

(١) كتاب السلاح فى الإسلام: عبد الرحمن زكى ص ٣٤.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الجهاد ٢٣ ومسلم فى الجهاد ٣٠ والإمارة ١٤٦ والترمذى فى الجهاد ٢٣ وأبو داود فى الجهاد ٨٩.

ويستعمله عند الالتحام إذا نبا به سيفه، وقد أكثر الفرس من استعمال هذا السلاح فى جيوشهم.

سادسًا: الخنجر:

وهو معروف، وكان بعض نساء المسلمين يتمنطقن به فى الغزوات بالإضافة إلى الفرسان والمشاة.(١)

ثانيًا: الأسلحة الإجمالية:

أولاً: المنجنيق والعرادة:

فالمنجنيق: آلة ترمى بها الحجارة، مؤنثة وقد تذكر فارسية، وجمعها منجنيقات ومجانق ومجانيق(٢)، وتستخدم لهدم الحصون بالحجارة الضخمة، أو لرمى الأعداء بالنبال، أو لإحراق أماكن العدو بالنفط ونحوه(٣).

والعـــراده: أصغر من المنجنيق ترمى بالحجارة المرمى البعيد، أو منجنيق صغير كان يستعمل لرمى السهام الكبار دفعة واحدة، وإلى مسافات وأهداف بعيدة لا تصل إليها القسى العادية.

وأقرب الأسلحة الحديثة إلى المنجنيق والعرادة هما المدفع بالنسبة إلى الأول، والهاون أو الرشاش بالنسبة إلى الثانى.

ويذكر ابن خلدون أن النبى ﷺ فى حصاره للطائف قد رماهم بالمجـــانيق (٤) ويؤكد ابن هشام ذلك قائلاً: «ورماهم رسول الله ﷺ بالمنجنيق، رمى أهل الطائف» (٥).

---

(١) الفن الحربى: مصدر سابق: عون ص ١٥٤ - ١٥٥.

(٢) راجع مادة «جنق» فى محيط المحيط ١: ٣٠٢.

(٣) المصدر السابق مادة «عود» ٢: ١٣٦٦.

(٤) تاريخ ابن خلدون ٢: ق ٤: ٨١٥.

(٥) سيرة ابن هشام ٤: ٩٨.

وقد شاع استعمال المنجنيق بعد ذلك فى حروب المسلمين كلها، فى العراق والشام، وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب وبعده، وقد أدخلوا عليها الكثير من التعديلات، ويذكر الطبرى: أن المسلمين نصبوا على مدينة «بهرسير» عند حصارهم لها عشرين منجنيقًا(١). كما يذكر أن أبا عبيدة وخالد بن الوليد قد حاصرا أهل دمشق سبعين ليلة حصارًا شديدًا بالزحوف والترس والمجانيق(٢) وأن عمرو بن العاص قد صنع المنجنيق بمصر عند فتحه لها.

وكان عند الحجاج بن يوسف منجنيق اسمه «العروس» كان يمد به خمسمائة رجل، وقد استخدمه محمد بن القاسم فى محاربة ملك الهند وهدم به صنمًا من أصنامهم.

ثانيًا: الدبابة أو الضبر:

هى آلة تتخذ للحروب تدفع فى أصل الحصون التى يقيمها الأعداء فينقب الجنود الحصن وهم فى جوفها.(٣)

فالدبابة إذًا كانت فى ذلك العهد عبارة عن صندوق يصنع من الخشب أشبه ببرج مربع ولا أرض له يسير على أطر أو عجلات ويدخله عدد من الرجال الأقوياء ويدفعونه إلى سور الأعداء كى يعملوا به نقبًا وتهديمًا من خلال فرجات أو كوى توجد خصيصًا لهذا الغرض فى جدار الصندوق الخشبى المتحرك.

---

(١) الطبرى: تاريخ الرسل والملوك ٤: ١٦٨.

(٢) المصدر السابق ٤: ٥٧.

(٣) راجع القاموس المحيط ١: ٦٥.

وهم بهذا كانوا يتقون بالدبابة نيران العدو التى يقذفهم بها فى أثناء مهاجمتهم له إلا إذا صب العدو فوقها، ومن أعلى الأسوار، سبائك الحديد المذاب أو ما شابه ذلك من النيران فتحترق حينئذ بمن فيها.

ولقد طور المسلمون الدبابة، وأدخلوا عليها الكثير من التعديلات والتحسينات فغطوا أخشابها بالجلد المشبع بالخل كى لا تشتعل، كما صار الصندوق أشبه بعمارة ضخمة تسير على عدد من العجلات أكثر وأضخم وتنتهى ببرج مرتفع بارتفاع السور المحصن المهاجم فيتسلقون بواسطتها سور الأعداء ويطردون رماتها.

وفى القرن الثانى للهجرة صار المسلمون يستخدمون فى الدبابة عتادًا خاصًا لنقب الأسوار يدعى «رأس الكبش».

ليس هذا فحسب ولكن المعدات التى استعملها المسلمون فى حروبهم كانت كثيرة منها سلم الحصار الذى يتعلقون بالسور بواسطته. واستخدمه خالد بن الوليد فى فتح دمشق (١)، كما استخدمه الزبير بن العوام فى فتح حصن بابليون بمصر. وأيضًا من المعدات: الحسك الشائك، وهو نبات له شوك صلب ذو ثلاث شعب. ولقد كان المقاتلون يبثون هذا النوع من العتاد الحربى ويزرعونه حول الخنادق، وهذا ما فعله الرسول ﷺ فى حصاره للطائف.

يقول ابن سعد فى طبقاته:

«ونصب الرسول عليهم» «أى على ثقيف» المنجنيق ونثر الحسك حول الحصن».

---

(١) يقول ابن الأثير: واتخذ «خالد» حبالا كهيئة السلالم وأوهاقا فلما وصل وأصحابه إلى السور ألقوا الحبال فعلق بالشرف منها حبلان. راجع الكامل فى التاريخ ٢: ٤٢٨.

الأسطول البحرى :

وفى نهاية الحديث عن السلاح الذى استخدمه المسلمون فى حروبهم يطيب لنا أن نسلط الأضواء على سلاح مهم لم يظهر فى بداية القيادة العسكرية الإسلامية، ولكنه حين ظهر كان له دور مهم، ونعنى به الأسطول البحرى، فالثابت من تاريخ الفتح العربى أن المسلمين فى عهد النبوة لم يركبوا البحر، وكذلك كان شأنهم فى عهد أبى بكر وعمر، وحدث فى عهد عمر أن ركب العلاء بن الحضرمى عامله على البحرين البحر، وكان أول من ركبه من المسلمين وبعث يستأذن الخليفة فرفض قائلاً: «والذى بعث محمدًا بالحق لا أحمل فيه مسلمًا أبدا».

وشدد عمر فى منع المسلمين من ركوب البحر. وفى عهد عثمان أعاد معاوية العرض عليه فوافقه، وكانت هذه الموافقه بداية مجد بحرى فى تاريخ القيادة العسكرية الإسلامية، ونقطة تحول فى تاريخ الحروب الإسلامية، وكانت أول غزوة للمسلمين بقيادة معاوية فى سنة ٢٨ هجرية حين غزا قبرص وصالح أهلها على ٧٢٠٠ دينار يدفعونها كل سنة. وكان النصر فى هذه الغزوة مشجعًا للمسلمين على الإقدام والتوسع فى الحرب البحرية.

ولم يكن للعرب معرفة بشئون الملاحة البحرية، فاستخدموا فى أول الأمر الروم الذين يجيدون هذه المهنة، فعاونوهم على إنشاء السفن، وأطلقوا عليها كلمة الأسطول. وأقاموا دورًا للصناعة «الترسانة» تبنى فيها السفن وتعد كل مستلزماتها.

واهتم المسلمون بتعليم أبنائهم السباحة وشئون البحر، وكيفية قيادة السفن، واستخدام البوصلة وتحديد المواقع ورسم الخرائط، وبلغ عدد

الجند البحرية فى عهد الفاطميين خمسة آلاف، ثم ارتفع عددهم، مما استدعى إنشاء ديوان سمى «ديوان الأسطول» وذلك فى عهد صلاح الدين الأيوبى.

وكان لكل أسطول قائد ورئيس يتولى الأول شئون الحرب، ويدبر الثانى تحرك الأسطول. وكان إذا اجتمعت مجموعة من الأساطيل يتولى قيادتها أمير واحد.

وأنشىء أول أسطول فى مصر الإسلامية فى أواخر القرن الأول للهجرة، على يد عنبسة بن إسحاق أميرها من قبل الخليفة المتوكل العباسى، وفى العهد الفاطمى بذل الفاطميون عنايتهم فى إنشاء الأساطيل فى الإسكندرية ودمياط ومصر، وكان للأسطول عشرة قواد كانت لهم إقطاعيات يسمونها أبواب الغزاة، وكان أحدهم ينتدب قائدًا للأسطول. وبلغت المراكب الحربية فى أيام المعز لدين الله ستمائة قطعة.

ولعب الأسطول دورًا كبيرًا فى اتساع رقعة الدولة الإسلامية، فقد تم فتح جزر الروم كصقلية، وسردينيا، ومالطة وكريت وقبرص، وأصبح المسلمون سادة فى البحر كما كانوا سادة فى البر. وكانت لهم صفحات خالدة مجيدة فى مجال الحرب البحرية، منها على سبيل المثال لا الحصر معركة ذات الصوارى، التى تعتبر أكبر معركة بحرية ذات نتائج من الأهمية بمكان، لأنها ثبتت أقدام العرب فى مصر، وأتاحت الفرصة للأسطول المصرى والشامى لفتح جزيرة قبرص، ومكنتهم من تجريد حملة لغزو بلاد الدولة البيزنطية، ردًا على اعتداءاتها البحرية المتكررة.

ولقـد وصف المقـريزى، والطبـرى وابن عـبـد الحكم والنويرى والبلاذرى وغيرهم من المؤرخين المعركة وصفًا دقيقًا، وكيف انتصر المسلمون وهرب قائدهم قسطنطين فى مركب إلى صقلية.

ونقول: من هذه الأسلحة التى كانت معروفة - فى ذلك العصر، وما حدث فيها من تطوير بعد ذلك، استطاعت العقيدة الإسلامية - فى فترة وجيزة من عمر الزمن أن تصنع من أبناء الجزيرة العربية وما حولها جيش الجهاد، جيش الأبطال والفرسان، وأعدتهم إعدادًا حربيًا وعلمتهم «استراتيچية» المعارك وأسباب النصر. فانطلقوا بعقيدتهم وكتاب ربهم لإشاعة الحق، وإقامة العدل، وإخراج الناس من عبودية العباد إلى عبادة الخالق جل وعلا.

الفصل الرابع

صفات المقاتلين والضبط الذاتى

ويتضمن الآتى:

١ ـ خصائص المقاتلين.

٢ ـ الانضباط فى مفهوم العسكريين.

٣ ـ القيادة فى الاستراتيچية الإسلامية.

٤ ـ خصائص القيادة فى منهج الإسلام.

٥ ـ صفات القيادة فى عالمنا المعاصر.

٦ ـ القيادة ومبدأ الطاعة.

(المؤمن القوى خير وأحب إلى الله
من المؤمن الضعيف)

حديث شريف

خصائص المقاتلين

الحرب تحتاج إلى نوع معين من الرجال يتميز بقدرات خاصة، تأتى نتيجة لإعداد خاص بدنيًا وفنيًا.

ولقد اهتمت الاستراتيچية الإسلامية بتنمية القدرات عند رجالها، وذلك عن طريق إعدادهم إعدادًا يتناسب مع احتياجات المعركة، ويؤهلهم لخوض غمارها، ولعل الانتصارات المتلاحقة التى حققها الجند المسلمون فى مختلف الميادين، وفى شتى المعارك، هى خير دليل على تميزهم بهذه القدرات، وإذا كان الأمر كذلك فما هى الخصائص للجندى المحارب فى تكنيك الاستراتيچية الإسلامية.. ؟

إن الباحث فى تاريخ المعارك والحروب يرى أن هذه الخصائص هى كالآتى:

أولاً: العقيدة الراسخة:

من ذلك أن هؤلاء المحاربين كانوا يعتقدون اعتقادًا جازمًا أنهم ما قاتلوا إلا لنشر دين الله، والرغبة الصادقة فى دخول الناس فى دين الله.

والمعارك التى خاضوها وسلوا السيف على أعداء الله فيها، لم تكن للاستيلاء على الأرض، ولا للاستيلاء على السكان، ولا من أجل البحث عن الخامات لإدارة المصانع، ولا من أجل جمع رءوس الأموال.

إنهم لم يقاتلوا من أجل مجد شخصى، ولا لمجد طبقة معينة، أو دولة قائمة، ولا لمجد أمة متميزة، أو لجنس له خصائص متفوقة. فقط إنما كانوا يقاتلون لإعلاء كلمة الله فى الأرض، ولتمكين شريعته وتحكيمها فى شئون الحياة، مع ترك كل فرد حرًا فى اختيار العقيدة

التى يعتقدها التزامًا بقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١)

وقوله أيضًا: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(٢)

وفى غزوة بدر التقى الآباء بالأبناء والأهل بالأهل، ولكنهم كانوا مختلفين فى معتقداتهم ففصلت السيوف بينهم.

لقد كان أبو بكر الصديق فى صفوف المسلمين، وكان ابنه عبد الرحمن مقاتلاً فى صفوف المشركين، وكان عتبة بن ربيعة مع قريش،وكان حمزة فى صفوف المسلمين.

ولقد قتل عتبة بن ربيعة فى هذه الغزوة فلما وقع نظر ابنه عليه تغير لونه واكتأب فقال له رسول الله: (يا حذيفه لعلك قد دخلك من شأن أبيك شىء.. ؟)

قال حذيفة: لا والله يا رسول الله فما شككت فى أبى ولا فى مصرعه، ولكن كنت أعرف من أبى رأيًا وحلمًا وفضلاً، فكنت أرجو أن يهديه ذلك للإسلام، فلما رأيت ما أصابه، وذكرت ما مات عليه من الكفر، بعد الذى كنت أرجو له أحزننى ذلك وفى غزوة بنى قريظة طلب اليهود حضور أبى لبابة لاستشارته فيما يقدمون عليه. وعند حضوره سألوه: «هل ينزلون على حكم محمد.. ؟»

قال لهم: نعم. وأشار إلى حلقه كأنه ينبههم إلى أن مصيرهم الذبح. ثم رجع ولم يعرف أحد من المسلمين بإشارة أبى لبابة، ولكنه أدرك على الفور أنه خان الله ورسوله بإشارته تلك، فمضى هائمًا على

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

(٢) سورة يونس آية رقم ٩٩.

وجهه، وربط نفسه إلى سارية فى مسجد الرسول ﷺ انتظارًا لقضاء الله فيه. وبقى على حاله هذه حتى تاب الله عليه.(١)

وفى إحدى الغزوات كان أبو عبيدة بن الجراح ملتزمًا أوامر القائد، وكان يرى أن كل المحاربين تحت راية التوحيد هم أهله وعشيرته، وإن بعدت بينهم المسافات، وتباينت فيما بينهم الجنسيات، واختلفت فصائل الدم والنسب، وكل من حارب تحت لواء قريش وانضم إليها فهو من أعدائه، وأعداء عقيدته، حتى ولو كان من أقرب المقربين إليه.

ومن هذا المنطلق لفهم عقيدته ودينه، وطبيعة الدور الذى يقوم به، شاهد والده وهو يحارب بسيفه فى صفوف المشركين، ويقتل جند المؤمنين إخوته فى العقيدة والإيمان، فما كان من أبى عبيدة إلا أن تتبع والده حتى أمكنه الله منه وقتله. إن هذا الوالد كافر يشرك مع ربه غيره.

كافر بالله الذى خلقه وسواه وعدله. ومن يفعل ذلك لا خير فيه.

ومن لا خير فيه لربه، لا خير فيه للناس أجمعين.

إن العقيدة الراسخة التى سيطرت على كيانه، وحركت كل ذرة من ذراته، هى التى دفعته إلى ذلك.

وهذه العقيدة بسمو أهدافها جعلت الجند كل الجند يستميتون فى القتال دفاعًا عن تلك الأهداف، حتى انتصروا على أكبر دولتين فى ذلك التاريخ.

ثانيًا: المعنويات العالية:

يتفق العسكريون على أنه لا قيمة لأى جيش مهما يكن عدده ومعداته، ما لم تكن معنوياته عالية.

---

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٣٨ والآية التى نزلت فى توبته ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾. التوبة آية ١٠٢.

ويؤكدون نتيجتهم هذه بما حدث للجيش الإيطالى فى الحرب العالمية الثانية. فقد كان هذا الجيش مجهزًا بأحدث الأسلحة، وأشدها فتكًا، وكان تنظيمه دقيقًا، وعدده كبيرًا. ولكن معنوياته كانت منهارة، فهو يحارب بلا عقيدة تدفعه إلى الثبات أو القتال، وبلا وطن يدافع عن حياضه وحدوده، فأصبح عبئًا ثقيلاً على حلفائهم الألمان، وكان أعداؤهم يطلقون على المواضع التى يحتلها الإيطاليون تعبير «الفراغ العسكرى» لأنهم كانوا يستسلمون دون قتال كلما حاق بهم الخطر الحقيقى أو الوهمى، من أجل هذا أصبح وجودهم وعدم وجودهم سواء.

ولقد عملت الاستراتيچية الإسلامية على رفع معنويات الجنود وذلك عن طريق إيمانهم الجازم بالقضاء والقدر، أى أن ما قدره الله سيكون حتمًا، وهم فى النهاية سيكون لهم إحدى الحسنيين إما النصر أو الشهادة.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾.(١)

وكانوا يحرصون على الموت حرص غيرهم على الحياة وكان أحدهم يردد وهو فى الرمق الأخير ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾.(٢)

إن المؤمن أمره كله خير. سواء نال النصر أو نال الشهادة، والكافر أمره كله شر، سواء أصابه عذاب الله المباشر أو على أيدى المؤمنين.

ولقد استهدفت الاستراتيچية الإسلامية فى كل حروبها تحطيم معنويات الأعداء، اقتداء بما فعله الرسول القائد ﷺ الذى كان يحرص

(١) سورة التوبة آية رقم ٥٢.

(٢) سورة طه آية رقم ٨٤.

على تحطيم القوة المعنوية عند الأعداء، أكثر مما كان يستهدف تحطيم القوة المادية.

وذلك رغبة فى أن يعود هؤلاء الأعداء إلى الهداية، واتباع الصراط المستقيم، فيصبحوا اخوة وأصحابًا.

وكان دائمًا يردد فى دعائه: (اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون)(٦).

ثالثًا: التدريب:

التدريب من أهم الوسائل التى تحقق كفاءة الجيوش فى القتال، وقد عبر «كلا وزفير» عن هذا المعنى بقوله: «يمكن للقوات العسكرية الماهرة المدربة جيدًا أن تقوم بجميع الأعمال العسكرية».

ويقول اللواء أركان حرب محمد جمال الدين محفوظ:

«للتدريب على القتال آثار ونتائج مادية ومعنوية بالغة الأهمية نذكر أهمها فيما يلى:

أولاً: يوفر الكفاءة القتالية العالية لأفراد الجيش قادة وجنودًا.

ثانيـًا: يجعل الجيش على درجة عالية من الاستعداد للقتال الفورى وبمستوى عال من الكفاءة فى أية لحظة وتحت كل الظروف.

ثالثًا: يقلل خسائر الجيش فى الأرواح والمعدات فى الحرب، ذلك أن الجندى المدرب جيدًا أقل تعرضًا للإصابة من زميله ناقص التدريب، وهذا ما أثبتته التجارب حتى نشأ مبدأ يعرفه العسكريون فى كل مكان يقول: إن العَرَق فى التدريب يوفر الدم فى المعركة.

رابعًا: الضبط:

ما هو الانضباط فى مفهوم العسكريين.. ؟

---

(٦) الحديث رواه البخارى فى الاستتابة ٥ والأنبياء ٥٤ ورواه مسلم فى الجهاد ١٠٤ وابن ماجة فى الفتن ٢٣.

أيكون الانضباط تنفيذ الجند لأوامر قائدهم.. ؟

أيكون الانضباط أم أن الانضباط هو أساس الجندية وبدونه لا يكون الجيش مؤهلاً للقتال..؟ هو الطاعة، والأمانة، والإخلاص، والتنفيذ لكل ما يصدر عن أوامر القيادة بلا توانٍ أو تردد.. ؟

إن بعض القادة يرى أن الضبط: هو الحالة العقلية، ومقدار التدريب اللذان يجعلان الطاعة والسلوك السليم أمورًا غريزية فى جميع الظروف.

ومن هذا المنطلق تكون الطاعة ليست كل محتويات الضبط، ولكنها تمثل جزءًا منه ويرى اللواء محمد محفوظ:

«أن الانضباط الحق لا يكتمل إلا إذا فعل المرء ما يعرف أو يعتقد أنه صحيح حتى فى غيبة الأوامر أو الرقابة. وأن يكون ملتزمًا بالطاعة والسلوك السليم فى جميع الظروف، وفى ظل العوامل والمؤثرات والضغوط المختلفة، وهذا ما يقصد به أن تكون الطاعة والسلوك السليم أمورًا غريزية فى جميع الأحوال[1].

ولا يتأتى تحقيق هذا النوع من الانضباط بمقوماته السليمة إلا على أساس الاقتناع الذى يولد لدى الفرد «الدافع الذاتى» إلى طاعة الأمر والالتزام بالسلوك السليم، بدون رقيب حتى فى أصعب الظروف وأقساها.

فالجندى الذى يحمل رسالة لكى يبلغها إلى جهة معينة فى أثناء المعركة - وهو يعلم - أنه يجتاز طريقًا وعرًا يتعرض فيه لرصاص العدو

---

(١) راجع المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية للواء الركن محمد جمال الدين محفوظ - ص ٢٩١ مصدر سابق.

وكمائنه، إلى غير ذلك من المخاوف، ومع ذلك لا يقعده ذلك عن تنفيذ مهمته، ولو كلفته حياته التى بين جنبيه هو جندى منضبط.

لأنه يفعل ذلك وهو يعلم أنه ليس وراءه من يدفعه قسرًا إلى ذلك أو يراقب عمله. ولهذا يفضل بعض العسكريين أن يسمى الانضباط الذاتى بدلاً من لفظ «الضبط» مجردًا.

الأسس التى يقوم عليها الانضباط.

حرصت الاستراتيچية الإسلامية على أن يقوم الانضباط عند المقاتلين على أسس راسخة وعميقة فى أغوار النفس الإنسانية، ومن هذه الأسس:

أولاً: الحرية والكرامة:

لقد عمل الإسلام جاهدًا على تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى، فلا يساق إلى أسواق النخاسة كما تساق الأنعام، ولا يطأطئ رأسه لغير خالقه الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى.

ذلك أن العبودية طريق إلى الهوان والمذلة، ومن كان كذلك محال أن يصبح مقاتلاً يواجه الأعداء، ويجندل الفرسان. وفاقد الشىء لا يعطيه. أما فى مجال اعتناقه للعقيدة التى يريدها فلا إكراه ولا إجبار لقوله تعالى: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(١)

ونرى أن هذه الآية الكريمة يتجلى تكريم الله للإنسان، وذلك عن طريق منحه الحرية فى الاختيار، وذلك فيما يختص بالهدى والضلال فى مجال الاعتقاد، وعن طريق تحميله تبعة عمله، وحساب نفسه، وهذه هى أخص خصائص التحرر الإنسانى.

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

إن حرية الاعتقاد هى أول حقوق الإنسان التى يثبت له بها وصف إنسان، والذى يسلب إنسانًا حرية الاعتقاد إنما يسلبه إنسانيته ابتداء، ومع حرية الاعتقاد تبرز حرية الدعوة للعقيدة، والأمن من الأذى، والفتنة لمعتنقيها أو الداعين لها.

وكذلك عمل الإسلام على تأصيل مبدأ الحرية فى النفس والمال والعرض، فنفس الإنسان معصومة لا يجوز الاعتداء عليها أو النيل منها، وكذلك المال الذى يملكه الفرد لا يؤخذ منه إلا بحقه، وكذلك عرضه لا يهان ولا يخدش ولا ينال منه. ولهذا يقول الرسول ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه).[1]

ولقد عمل الإسلام على تأصيل مبدأ الحرية في العبادة، والاتصال بالله مباشرة دون وساطة أو كهانة تقف بين العبد وربه قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2]

وقرر الإسلام مبدأ التحرر من الافتخار بالأنساب، وتفاضل الأجناس، فليس هناك شعوب راقية فى دمائها وأجناسها، وأخرى منحطة فى أصولها وأنسابها، فالكل من آدم، وآدم من تراب[3]. وعندها لا يكون للعربى فضل علي الأعجمى، ولا للأعجمى على العربى، إلا بالتقوى أو العمل الصالح. قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4]

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى البر ١٨ وابن ماجة فى الفتن ٢ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٢٧٧، ٣٦٠ (حلبى).

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٦.

(٣) هذا جزء من حديث قال فيه الرسول - صلى الله عليه وسلم: (كلكم بنوآدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفتخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان) أخرجه أبو داود فى الأدب ١١١ والترمذي فى المناقب ٧٣.

(٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

فـاختـلاف الألسنة والألوان، واختـلاف المواهب والاسـتعـدادات، واختلاف الأجناس والأنساب، ليس لها من حساب فى ميزان الله، إنما هناك ميزان واحد تتحدد به القيم ويعرف به فضل الناس هو «التقوى».

يقول الجنرال بيريه:

«إن العنصر الأول للتربية العسكرية هو تطبيق انضباط حازم وعادل ودائم، إذ يتطور هذا التطبيق بعد مدة ليصبح فى أول الأمر عادة ثم يتحول إلى تذوق. ولكن هذا الانضباط يفقد قيمته ويغدو معوقًا مذلاً إذا كانت نتيجته تحطيم إرادة المرءوسين وإذابة شخصيتهم، لأننا لا نحارب مع نفوس ضعيفة أو مع عبيد أو آلات، ولكننا نقاتل مع رجال بكل ما فى هذه الكلمة من معان نبيلة، وكلما صعدنا على سلم التسلسل، تزايد ضرر وخطر الانضباط الرامى إلى قتل كل فكرة مستقلة، ودفن كل مبادرة»[1].

٢ ـ الرقابة الداخلية أو تنمية الضمير الذاتى:

اهتم الإسلام بإيجاد الرقابة الداخلية عند الأفراد وهى التي تحول بينهم وبين الانحراف أو التردى، وتدفعهم إلى تجويد العمل وإتقانه، وذلك لأن الرقابة الخارجية قد تغفل وقد تنام أما هذه الرقابة: فهى دائمًا يقظة تخاف الله وتشعر أنه معها فى كل وقت وحين ـ ويعتبر هذا أرقى مراتب الانضباط العسكرى، والذى يسمى الانضباط الذاتى.

(١) الذكاء والقيم المعنوية فى الحرب للجنرال جان بيريه نقلاً من المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية للواء محمد محفوظ ـ مصدر سابق ص ٢٩٦.

منذ أن أوجد الله الخليقة، ونشرهم على وجه البسيطة شعوبًا متجانسة، وقبائل متعارفة، والقيادة مطلب أساسى لها، وعنصر مهم فى تنظيم حياتها.

والقيادة: ركيزة مهمة فى أية دولة من الدول لها سياستها وقوانينها، وفى كل مجتمع من المجتمعات له تعاونياته ومصالحه.

والإسلام يوجب على أتباعه نصب القيادة فى كل جماعة ذات هدف مشترك، أيًا كان حجمها، حفاظًا عليهما من التفرق، وتحقيقًا لمصالحها أن تعطلها نزعة الاختلاف. وحرصًا على إقامة العدل بينهم.

ولهذا يقول الرسول ﷺ:

(لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمَّروا عليهم أحدهم).[1]

ويتضح من هذا أن القيادة أمر لازم مهما كان حجم الجماعة، حتى ولو كانت هذه الجماعة تعيش فى أرض فضاء، خالية من العمران، ومن أسباب التحضر والاستقرار.

وفى عصرنا الراهن طرح العلماء ورجال الفكر فى المجال السياسى والحربى العديد من النظريات المختلفة، والآراء المتباينة فى الصفات، التى يجب توافرها فيمن يتولى منصب القيادة، القيادة بكل صورها وأنواعها.

ويطيب لنا فى هذه الأطروحة أن نتعرض لآراء قادة الفكر من

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد رقم ٢٦٠٨ عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله - ﷺ قال: وذكره.

عسكريين وإداريين وسياسيين لعرض تصوراتهم عن صفات القائد.

الصفات التى يجب تحققها فى تولى منصب القيادة

يرى «رالف ستوجديل» أن الصفات التى يجب أن يتصف بها القائد يمكن تلخيصها فيما يأتى:

أ ـ المقدرة: وتتضمن الذكاء، وطلاقة اللسان والعدالة.

ب ـ مهارة الإنجاز: وتتضمن المعرفة الواسعة، والبراعة والحزم وهى تعنى أن يكون القائد حازمًا وأوامره قاطعة.

جـ ـ تحمل المسئولية: وهى تعنى كما يقول «بارنارد» شعور القائد بعدم الرضا عن الفشل فى تحقيق ما عزم على تحقيقه.

د ـ المكانة الاجتماعية: وتعنى أن يكون القائد محبوبًا، وأن يكون له مركز اجتماعى ومالى ممتاز.

هـ ـ القدرة على تفهم الموقف، والمهمة التى توكل إليه، والقدرة على تحقيق الهدف المراد الوصول إليه.[1]

هذه أهم الصفات التى توصل إليها «رالف ستوجديل» فى القائد، نتيجة للاستبيانات الكثيرة، التى قام بها أو اقتبسها من الباحثين السابقين عليه فى هذا المضمار.

أما عالم الإدارة الهندى «تاجى» فنراه يصنف الصفات التى يجب أن يتصف بها القائد فى ثلاث مجموعات:

---

(١) راجع كتاب القيادة للدكتور نواف كنعان ص ٢٠٧ وقد رأى الدكتور نواف بعد عرضه للصفات التى قالها «تاجى» أن يقسمها إلى أربع مجموعات:

أ ـ المهارات الذاتية، ب ـ المهارات الفنية، جـ المهارات الإنسانية، د ـ المهارات الذهنية. المصدر السابق ص ٣١١.

أ ـ صفات شخصية: تتمثل فى الصحة الجيدة، والقدرة على التحمل، وإدراك القائد لرسالته، والفهم العميق والشامل لمتطلبات القيادة، والأمانة والاستقامة.

ب ـ صفات سياسية: وتتمثل فى قدرة القائد على الاستجابة للسياسة العامة للدولة، وإدراكه للأهداف السياسية والمثل العليا، التى يتطلع إليها الموطنوان، والعمل على تحقيقها.

جـ ـ صفات نظامية: وهى تعنى قدرة القائد على الالتزام بالأنظمة، ومراعاة تطبيقها بشكل جيد ومثمر، وتفويض بعض سلطاته، ومعرفة الحدود التى يجب أن يلتزمها فى إعطاء التفويض.

وإذا تركنا ما قاله العالم الهندى «تاجى» وأردنا أن نتعرف على آراء قائد عسكرى هو المشير «مونتكومرى[1]» فى هذه القضية فنراه يقول:

«يجب أن يكون القائد خادمًا للحقيقة، وأن يجعل هذه الحقيقة لغرض عام، ثم يجب أن تكون لدى القائد قوة السجية، التى من شأنها أن توحى إلى الآخرين بأن يتبعوه عن ثقة، إن كلاً من الحقيقة والسجية ضرورى للقائد، ويجب أن تشتمل السجية على قوة الإرادة.

ويجب أن يكون القائد متفائلاً يسرى تأثيره فى مرءوسية، وأن يكون لديه العزم على الثبات فى وجه المصاعب، وأن يبعث الثقة فى النفوس، معتمدًا على المبادئ والموارد المعنوية فى إنجاز عمله بصورة صحيحة حتى عندما لا يكون هو نفسه واثقًا وثوقًا تامًا بالنتيجة المادية».[1]

(١) شغل القائد مونتكومرى أعلى الرتب العسكرية، وشغل المناصب القيادية وواجبات الأركان فى الحرب العالمية الثانية، وأصبح رئيسًا لأركان حرب إنجلترا، ونائبًا للقائد الأعلى لحلف الأطلسى، كما أصبحت له شهرة عالمية بعد انتصاره فى معركة العلمين على قوات المحور التى كانت بقيادة المشير «رومل» وفى الإنزال فى نورماندى وغيرها.

ويقـول المشـيـر «ويفل»[٢] وهو من القـادة البـريطانيـين البـارزين فى الحرب العالمية الثانية:

«يجب أن يكون القائد عفيفًا، وقورًا، يتحمل المشاق وأن يكون مؤدبًا، ودودًا سهل الاقتراب رزين الطبع»[٣]

وقد جـاء فى كتب التدريب الفنية للجـيش البـريطانى عن صـفـات القائد ما نصه:

أ ـ ينحصر أهم واجب للقائد فى إصدار القرارات

ولكى تكون قـراراته صـحيحة، لا تكفيه الشجاعة الشخصية، ولا الإرادة القوية الثابتة، ولا تحمل المسئولية بلا تردد، بل فضلاً عن ذلك عليه أن يكون واقفًا وقوفًا تامًا على مبادئ الحب، وقادرًا على الحكم السريع الواضح، وذا مخيلة مقرونة بمزاج لا تأخذه نشوة الفوز، ولا تثبط عزيمته كارثة الخيبة، وأن يكون سابرًا لغور الطبع البشرى».[٤]

أمـا الأمـريكيـون: فـيـرون أن القـائد هـو عنوان قـواته، فـقـد ثبت بالبـرهان القـاطع أن القـوات تتـأثر تأثرًا كبيـرًا بسلوك القـائد، وبالمثل الذى يضـربه لهـا، لذلك يجب أن يتـحلى بخـصلة نكران الذات، إن الإخـلاص للعـقـيدة كـالحـمـاسـة يسـرى بين أفـراد القـوات العسكرية كـالبـرق، والعدالة والاسـتـقـامـة وعدم المحاباة مـن أهم صـفـات القـائد

(١) السبيل إلى القيادة الباب الأول ص ١٤ نقلاً عن كتاب بين العقيدة والقيادة: محمود شيت خطاب مصدر سابق ص ٥١.

(٢) من أعماله: ألقى محاضرات فى جماعة كمبردج فى موضوع القيادة وفن القيادة عام ١٩٣٩ وتوفى سنة ١٩٤٧م بالسرطان، انظر ما جاء عنه فى السبيل إلى القيادة ص٥٦.

(٣) راجع السبيل إلى القيادة ١: ٥٦ ـ ٦١ المصدر السابق.

(٤) انظر التفاصيل فى مصادر كتب التدريب العسكرى البريطانى ـ نظامات الخدمة السفرية وإدارة الحرب، والفرقة فى المعركة، وفوج مشاة فى المعركة

المؤثرة فى قواته، والاستقامة فى حياة القائد العامة والخاصة تؤدى إلى ثقة رجاله به وتسرى فيهم خصاله الرفيعة.

والصدق ثقة، والصادق موثوق به، والثقة المتبادلة بين القائد والمقود ضرورية إلى أبعد الحدود فى الخدمة العسكرية.

والشجاع يقود رجاله إلى النصر، والجبان يقودهم إلى الهزيمة، والقائد الشجاع لا تهرب رجاله ما ثبت، والقائد الرعديد تهرب رجاله.(1)

أما الفرنسيون: فيرون أن مزايا القائد الخلقية لا تتعلق بحرفته وحسب بل بحياته كإنسان، هل يستطيع رجل يحترم مبادئ الصدق والاستقامة والصراحة احترامًا جديًا فى الثكنة أو المكتب، حتى إذا غيّر محيطه أو هندامه بعد ساعات تخلى عن هذه المبادئ وتنكر لها..؟

وأى قوة إقناع يمكن أن تكون لمربٍ يخرق اليوم المبادئ التى علّمها بالأمس..؟ وبأى شعور يصغى إلى درسه مستمعون لا يجهلون شيئًا من سقطاته..؟

قال «دوبراك»:

«غبى هو القائد الذى يحسب نفسه قادرًا على كتمان أخبار سقطاته، فالجندى يعرف عنه أكثر مما يعرف عن نفسه».

فالأفضل له أن يجتهد بتقويم اعوجاجه، وكبح جماح نزواته، بدلاً من أن يحاول عبثًا إخفاء ما لا يمكن إخفاؤه.

---

(1) راجع كتاب: أصول المدفعية للجيش الأمريكى نقلاً عن كتاب بين العقيدة والقيادة ص٧٤.

ويقول اللواء الفرنسى «ويغان» الجندى الفرنسى يتعشق النقد، وهو لا يرحم رؤساءه الذى يكتشف فيهم نقاط الضعف بسرعة ويجعل منها موضوعًا للتندر.[1]

هذه هى أقوال المفكرين من القادة الإداريين، والسياسيين والعسكريين فى الصفات التى يجب توافرها فى القادة.

وإذا كان الأمر كذلك فما هى الصفات التى تتطلبها الاستراتيجية الإسلامية فيمن يتولى قيادة الجيوش، وإدارة المعارك..؟

خصائص القيادة فى منهج الإسلام

إن منهج الإسلام فى اختيار القادة ينبثق من مبدأين أساسيين هما القوة والأمانة، هذا بالإضافة إلى المواصفات الأخرى التى يتصف بها القائد لاعتناقه الإسلام وهى:

أ - التقوى.

ب - العدل.

جـ - القدوة الحسنة.

د - الرفق فى كل صوره وأشكاله.

هـ - القناعة بمبدأ الشورى.

أولاً: لا يجوز فى منهج الإسلام أن يتولى القيادة السياسية، أوالعسكرية فى الدولة إلا القوى الأمين، ويعزل عنها الضعيف الخئون.

ومرد القوة إلى القدرة على ما يتولاه من عمل، وهى تقدر فى كل أمر بحسبه، فالقوة فى قيادة الحرب، ترجع إلى شجاعة القلب، وإلى

---

(١) نقلاً عن كتاب العقيدة والقيادة - مصدر سابق ص ٨٧.

الخبرة، بأساليب القتال، والمخادعة فيها، كما قال الرسول القائد ﷺ (الحرب خدعة).[1]

وأيضًا إلى القدرة على القتال، والخبرة بمعداته وأدواته، التى قال الله تعالى عنها:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]

والقوة فى الحكم: ترجع إلى الفقه بتقنين الشريعة، وأساليب التقاضى، والعدل الذى أمر الله تعالى به فى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[3]

وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام على القوى قبل الضعيف فى الرعية. أما الأمانة: فمردها إلى عدم التفريط فى شئون ما ولى عليه، ومراقبة الله تعالى وخشيته، والخضوع لشريعته، قال تعالى: ﴿فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.[4]

وتأكيدًا لمدى أهمية توافر القوى الأمين عند اختيار القائد فى الدولة الإسلامية نذكر ما روى عن الرسول القائد ﷺ عندما طلب منه أبو ذر الصحابى الجليل أن يوليه على ولاية فقال:

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى الجهاد باب: الحرب خدعة رقم ١٥٧ ومسلم فى كتاب الجهاد رقم ١٧٤٠ باب جواز الخداع فى الحرب، وأبو داود فى الجهاد باب المكر فى الحرب رقم ٢٦٣٦.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

(٣) سورة النحل آية رقم ٩٠.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٤.

(يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها ووفى الذى عليه لها).[1]

وقد اعتبر اختيار من يلى عملاً لجماعة المسلمين من باب أداء الأمانات، بحيث يجب على ولى الأمر أن يولى على كل عمل أصلح من يجده، فإن عدل عن الأصلح إلى غيره مع عدم وجود ما يبرر ذلك يكون قد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين. وقد قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.[2]

يقول الرسول ﷺ (من ولى من أمر المسلمين شيئًا فولى عليهم رجلاً، وهو يجد من هو أصلح منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين).[3]

ثانيًا: التقوى. أساس المفاضلة عند الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[4]

والقائد إذا تحلى بصفة التقوى، وكانت له سلوكًا ومنهجًا كان فى رعاية الله وعنايته يحقق على يديه النصر إن كان فى مجال الحرب، ويجرى فى ركابه الفوز، ويلهمه التوفيق والسداد فى عمله كله. قال تعالى:

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب الإمارة باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ١٦ (١٨٢٥) بسنده عن أبى ذر قال رسول الله ﷺ وذكره.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٧.

(٣) سبق تخريج هذا الحديث. وراجع البخارى فى الجمعة ٢٩ ومسلم فى الإمارة ١٩.

(٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.(١)

والتقوى طريق إلى الهداية وسلم إلى الفلاح قال تعالى: **﴿أولـئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾**(٢)

والتقوى طريق إلى إذكاء العقل، وكشف البصيرة، ومعرفة خفايا الأمور، وحسن الاستنتاج والتنبؤ بنتائج الأمور، قال عليه السلام: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)(٣)

ثالثًا: العدالة:

العدل الذى يتطلبه منهج الإسلام فى القائد، هو العدل الشامل العام، الذى يشمل الناس جميعًا من خلق الله، فالعدل حق لكل إنسان بوصفه إنسانًا بغض النظر عن معتقده وهويته، وهذه الصفة صفة الإنسانية، يلتقى عليها البشر جميعًا مؤمنون وكفار، أصدقاء وأعداء، سود وبيض، عرب وعجم، هذا العدل الذى لم تعرفه البشرية قط على هذه الصورة إلا عندما جاء خاتم الأديان السماوية، وطبقه المسلمون إبان حكمهم وقوتهم، ثم افتقدته البشرية مرة أخرى عندما افتقد العالم هذه القيادة.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٤٠ ـ ٤١.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢.

(٣) الحديث رواه الطبرانى والترمذى من حديث أبى أمامة، ورواه العسكرى عن أبى الدرداء موقوفًا.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾(١)

ويأمر الله سبحانه وتعالى الحاكم والمحكوم بالالتزام بالعدل، ولو كان ذلك على أقرب الناس إليه. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا ﴾.(٢)

ويقول الرسول ﷺ: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها).(٣)

ويقال: إن عمر بن الخطاب ـ الخليفة الثانى للرسول ـ دخل عليه ـ وهو يقسم الغنائم على الجنود العائدين من ميدان القتال ـ قاتل أخيه زيد بن الخطاب، ولكن هذا القاتل ـ أسلم وحسن إسلامه ـ وأصبح جنديًا فى القوة الضاربة للمسلمين. فلما رآه عمر أشاح عنه بوجهه.

فقال له القاتل: أتكرهنى يا عمر..؟

قال الخليفة: نعم أكرهك لأنك قتلت أخى، أكرهك كما تكره الأرض الدم..؟

فقال القاتل: أمانعى حقى إذًا..؟

قال الخليفة: أما هذه فلا، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.(٤)

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٨.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٣٥.

(٣) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الحدود، وأبو داود فى الحدود حديث ٤٣٧٣ والترمذى فى الحدود باب ما جاء فى كراهة أن يشفع فى الحدود حديث ١٤٣٠.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٨.

فقال الرجل الذى لا يخاف أحدًا إلا الله: إذًا لا أعبأ بحبك ولا بكرهك فهذا شىء تعبأ به النساء.(١)

رابعًا: القدوة الحسنة:

القائد ذو القدوة الحسنة، يجعل أتباعه ومرءوسيه يقتدون به، وبذلك يكون العمل الذى يقومون به عملاً ناجحًا متميزًا فى كل شىء، ولقد كان الرسول القائد ﷺ قدوة حسنة ولذلك جاء القادة من بعده على شاكلته قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾.(٢)

ومن القدوة الحسنة ما كان من أمر القائد خالد بن الوليد فى معركة اليرموك لقد بهرت عبقريته قواد الروم، وأمراء جيوشهم مما حمل أحدهم وهو «جرجه» على أن يدعو خالدًا للبروز إليه فى إحدى فترات الراحة بين القتال. وعندما التقيا وجَّه القائد الرومانى حديثه إلى خالد قائلاً:

يا خالد أصدقنى ولا تكذبنى فإن الحر لا يكذب..؟

هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاه إياك فلا تسله على أحد إلا هزمته..؟ قال خالد: لا. قال الرجل: فبم سميت سيف الله؟ قال خالد: إن الله بعث فينا رسولاً منا فمنا من صدقه ومنا من كذبه، وكنت فيمن كذبه، حتى أخذ الله قلوبنا إلى الإسلام وهدانا برسوله فبايعناه، فدعا لى الرسول وقال لى: أنت سيف من سيوف الله فهذا سبب التسمية.. قال القائد الرومانى: وإلام تدعون..؟

(١) راجع الإدارة فى عهد عمر بن الخطاب للدكتور سليمان الطماوى ص ٢١٣.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٢١.

قال خالد: إلى توحيد الله وإلى الإسلام.

قال: هل من يدخل فى الإسلام اليوم يكون له مثل ما لكم من الأجر والمثوبة؟

قال خالد: نعم وأفضل. قال الرجل: كيف وقد سبقتموه؟

قال خالد: لقد عشنا مع رسول الله، ورأينا آياته ومعجزاته، وحق لمن رأى ما رأيناه وسمع ما سمعناه أن يسلم فى يسر، أما أنتم يا من لم تروه، ولم تسمعوه ثم آمنتم بالغيب، فإن أجركم أكبر، إذا صدقتم الله نواياكم.

عندها صاح القائد الرومانى، وقد دفع جواده إلى ناحية معسكر المسلمين، ووقف بجوار خالد: علمنى الإسلام يا خالد.(1)

إن هذا القائد لا يبهره الإسلام لأنه لا يعرف شيئًا عنه، ولم تقنعه تعاليمه، لأنه لم يحدثه أحد عنها، ولكن الذى بهره شخصية خالد القدوة الحسنة مع جنوده، فاتخذه قدوة له.

وكان من جراء هذه القدوة أن حقنت الدماء، ودخل جنود القائد الرومانى فى ما دخل فيه قائدهم وهو ساحة الإسلام، فكانوا لهذا الدين عضدًا وسندًا وساروا جميعًا فى أنحاء الأرض يعلنون كلمة التوحيد والإيمان ويدعون الناس إليهما وصدق الله العظيم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾(2)

---

(1) راجع كتاب: هذا هو الطريق للدكتور عبدالرحمن عميرة. ص ٢٨، ٢٩ دار اللواء ـ الرياض.

(2) سورة النصر كاملة الآيات من ١ ـ ٣.

خامسًا الشورى:

إن خير وسيلة لتربية القيادة الرشيدة، هو مبدأ الشورى؛ لأنها تدريب عملى على حمل التبعة، وقد تخطئ المشورة فى تقديراتها، ولكن عن طريقها قد تصحح الأخطاء، وتتعلم القيادة كيف تتحمل تبعات رأيها، ومن شاركها فيه، فهى لا تتعلم الصواب بالكامل إلا إذا زاولت الخطأ.

وقد تكون هناك خسائر نتيجة لذلك ولكن المحصلة فى النهاية هى إنشاء جيل من القادة المدركة المدربة، المقدرة للتبعة، وهو تنفيذ لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.(١)

وعندما تقدم القيادة على استعمال مبدأ الشورى يكون ذلك استجابة لأمر الله تعالى الذى جعل الشورى فى درجة واحدة مع أركان الإسلام. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.(٢)

والرسول ﷺ يقول: (ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار).(٣)

وقال الصحابى الجليل أبو هريرة: ما رأيت أحدًا قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ.

من ذلك عندما علم الرسول ﷺ بقوة القرشيين وكثرة عددهم فى غزوة بدر قال لجنوده: (أشيروا علينا أيها الناس..؟).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٣٨.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير.

فقال المقداد بن عمرو من أركان الجيش الإسلامى:

«يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[1]

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون».

وقال سعد بن معاذ قائد الخزرج: يا رسول الله كأنك تريدنا معشر الأنصار؟

فقال الرسول القائد: أجل.

فقال: إنا قد آمنا بك واتبعناك فامض لما أمرك الله فو الذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد. عندها قال الرسول ﷺ:

«امضوا على بركة الله فكأنى أنظر إلى مصارع القوم».[2]

وتحرك الجيش الإسلامى إلى بدر، حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به، فقام الحباب بن المنذر أحد رجال الجيش ومن صحابة رسول الله. فقال: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والمشورة والمكيدة..؟

قال: بل هو الرأى والحرب والمكيدة؟ فقال: يا رسول الله؛ فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماءً من القوم، فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبنى عليه حوضًا، فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

(٢) راجع تفسير القرطبى ٧: ٣٧٤، وسيرة ابن هشام ٢: ٦١٥ وفيه زيادة عما هنا.

فقال الرسول القائد: لقد أشرت بالرأى.(١)

ثم ماذا..؟ كان النصر الكبير، وفرت القوة الضاربة لقريش فى الصحراء الممتدة لا توقفها حدود، ولا يحول بين فرارها سدود.

من هنا نرى أن الشورى، من الصفات المهمة التى يجب أن تكون سمة من سمات القيادة اليقظة الناجحة.

سادسًا: الرفق والرحمة بالجنود:

الناس دائمًا فى حاجة إلى كنف رحيم، وإلى رعاية فائقة، وإلى ود يسعهم وحلم لا يضيق بجهلهم وضعفهم ونقصهم.

الناس دائمًا بحاجة إلى قلب كبير يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، ويحمل همومهم، ولا يعنيهم بهمه، ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والود والرضا.

والقيادة كانت فى الاستراتيجية الإسلامية تعطى جنودها كل ما يطلبون، تعطى ولا تأخذ، وتسهر ولاتنام، وتبذل قصارى جهدها فى راحة المقودين لها، ولذلك خاطب الله تعالى الرسول القائد بقوله:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾.(٢)

وإذا كان الأمر كذلك فماذا يقول رجال السياسة والحرب فى عصرنا الراهن فى الصفات التى تتطلب فى القيادة الناجحة..؟

(١) سيرة ابن هشام ـ مصدر سابق ٢: ٦٢٠.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

إن كتاب «نظامات الخدمة السفرية»[1] وهو من أوثق المصادر العسكرية الحديثة يكاد يحصر الصفات التى تتطلبها القيادة فيما يأتى:

١ - قرار سريع صحيح:

إن إصدار القرار السريع الصحيح صفة تؤهل صاحبها ليعتلى منصب القيادة، وإصدار القرار يعتمد على دعامتين:

أ - القابلية العقلية للقائد.

ب - الحصول على المعلومات عن العدو، وعن طبيعة الأرض التى ستدور عليها المعركة.

ولا شك أن قادة الاستراتيجية الإسلامية اتصف الكثير منهم بإصدار القرار السريع الصحيح، ومن هؤلاء القائد خالد بن الوليد الذى اتصف فى كثير من معاركه بالقرار السريع الصحيح، من ذلك قراره الصحيح والسرعة فى تحركه من عين التمر إلى دومة الجندل، والسرعة فى تحركه من العراق إلى بصرى فى الشام، ومن بصرى إلى أجنادين، ثم السرعة فى لحاقه بـ «توذر» على أسوار دمشق، والسرعة فى الانقضاض على «ميناس» قبل أن ينقض هو عليه فى معركة قنسرين».[2]

وتتويج هذه التحركات السريعة بالنصر، إنما هو دليل على اتصاف القائد بصفة القرار الصحيح السريع، فى الكثير من المعارك التى خاضها.

---

(١) نقلاً من كتاب الرسول القائد - مصدر سابق للواء الركن محمود شيت خطاب.

(٢) معارك خالد بن الوليد للعميد الركن د. ياسين سويد ص ٢١٧ ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٢ - الشجاعة الشخصية:

وتتمثل هذه الصفة بكل خصائصها فى الرسول القائد - صلوات الله وسلامه عليه - من ذلك لقد فزع أهل المدينة ليلة إذ سمعوا صوتًا قويًا مدويًا هز أرجاء المدينة، فانطلق بعض الناس جهة الصوت، فتلقاهم الرسول القائد - راجعًا وقد تقلد الرسول ﷺ المناصب القيادية حتى وصل إلى أعلى قيادة فى الدولة، واستقر فيها لمدة ثلاث عشرة سنة، وكان لتدرجه هذا ومعاناته أهوال الحروب وصعابها نتيجة مهمة هى تكوين إرادته القوية الثابتة. التى كان لها أعمق الأثر فى إنجاح قيادته طوال هذه المدة من ذلك:

أ - إنه كان لا يستبد برأيه بل كان يستشير رجاله المقربين فى كل صغيرة وكبيرة قبل أن يقدم على تنفيذ أى عمل عسكرى.

ب - إنه كانت له موهبة فذة فى اختيار الرجال المناسبين للعمل المناسب، فكان يحيط نفسه دائمًا بجماعة من ذوى القابليات الممتازة فى القيادة والرأى، ينصحونه ويسددون خطواته، ويعاونونه فى تحمل أعباء مهمته.

جـ - إنه كان يبذل جهوده السلمية قبل خوض كل معركة، وحتى فى أثنائها لتجنب ويلات الحرب - خاصة إذا حارب بنى قومه العرب وبنى دينه المسلمين.

د - إنه كان يحاول بكل طاقاته، استمالة رجال خصمه، باذلاً لهم الوعود السخية والمناصب المرموقة، والمال الكثير.

هـ - إنه كان يولى ثقته الكاملة لرجاله، ويتجنب أمر تبديل رأيه فيهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا[1].

---

(١) قادة الفتح الإسلامى ٢: ١٤٩ اللواء الركن محمود شيت خطاب.

٤ - تحمل المسئولية:

إن القائد الملهم: هو الذى يتحمل المسئولية كاملة، يتحملها فى الصغير والكبير ويقود جنوده، وهو حريص على سلامتهم، ولقد تحمل الرسول القائد - صلوات الله عليه - مسئولية كاملة. ولقد أوذى فى نفسه وماله، وتربص به الأعداء أعداء الدين يريدون قتله حتى قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1].

وبعدها أخذوا فى محاصرته اقتصاديًا، ومنعت قريش التعامل مع قبيلته بنى هاشم، فما لانت قناته، ولا ضعفت إرادته. فأرادوا إغراءه بالمال أو تنصيبه ملكًا على أن يترك هذا الدين ويتخلى عن مسئولية تبليغه إلى الناس، فقال كلمته المشهودة: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه»[2].

٥ - نفسية لا تتبدل:

من القادة الذين تخرجوا فى مدرسة الإسلام عبدالله بن الزبير[3] «قاتل جرجير» ومزعزع معنويات العدو، وصاحب الخطة الدقيقة المدروسة بمباغتة الروم، وقتالهم بعد رجوعهم إلى خيامهم بقوات ضاربة من المسلمين، لم تشترك فى المعركة الأولى. هذا القائد كانت له نفسية لم تتبدل. مر به عمر بن الخطاب وهو صبى يلعب مع الصبيان ففروا ووقف، فقال له: ما لك لم تفر مع أصحابك؟

(١) سورة المائدة آية رقم ٦٧.

(٢) سيرة ابن هشام مصدر سابق. ١:٢٢٦ وفيه قوله أبى طالب: قل ما احببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدا.

(٣) هو عبدالله بن الزبير، ولد فى العام الأول للهجرة وتوفى عام ٧٣ هـ.

فقال: يا أمير المؤمنين، لم أذنب فأخافك، ولم تكن الطريق ضيقة فأوسع لك»[1] لقد كانت له قابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح، كان شجاعًا مقدامًا فارسًا ذا إرادة قوية ثابتة، يتحمل المسئولية بلا تردد يعرف مبادئ الحرب، نفسيته لا تتبدل فى حالتى النصر والاندحار خبير بنفسيات رجاله، يثق بجنوده ويحبهم ويبادلونه ثقة بثقة، وحبًا بحب، مفتاح شخصيته الشجاعة الخارقة والإقدام النادر. قالت له أمه وقد حاق به الخطر من كل مكان، وهو محاصر فى الكعبة: يا بنى لا تقبل منهم خطة عليك فيها الذل، فوالله لضربة سيف فى عز خير من ضربة سوط فى مذلة».[2]

ثم ماذا..؟

عرف رجال ابن الزبير أن نتائج المعركة الدائرة لن تكون فى صالحهم. فقال له أصحابه: «لو لحقت بموضع كذا» فقال: «بئس الشيخ أنا إذًا فى الإسلام، لئن حشدت قومًا فقتلوا ثم فررت عن مثل مصارعهم».[3]

فقاتل فى معركة يائسة دفاعًا عن دينه وحقه، واستقبل مصيره المحتوم صابرًا محتسبًا.

٦ - بُعد النظر أو سبق النظر:

العقلية المنظمة التى تحسب حساب كل شىء، وتفكير القائد فى كل الاحتمالات القريبة والبعيدة، وإدخال أسوأ الاحتمالات فى حسابه، وإعداد الخطط لكل موقف محتمل، حتى يمكن تطبيق تلك الخطط

(١) تهذيب ابن عساكر. مصدر سابق ٧: ٢٩٩.

(٢) فوات الوفيات ١: ٤٤٨.

(٣) ابن الأثير ٣: ١٣٧، وتاريخ ابن خلدون ٣: ٣٩.

عند الحاجة دون تردد أو ارتباك، هو ما يطلق عليه بعد النظر أو سبق النظر.

ولقد كان من القادة الذين تربوا فى مدرسة الإسلام وعرفوا ببعد النظر أبو المهاجر[1] دينار: فاتح المغرب الأوسط.

ولعل خير دليل على بعد نظره، وعزمه الأكيد على جعل الفتح الإسلامى فى إفريقيا ليس مجرد غارات تستهدف جمع الأموال والغنائم، أن عمل على مصالحة أهل (قرطاجنة) بشرط إخلاء جزيرة (شريك) التى يتخذها الروم قاعدة متقدمة لحركاتهم ضد المسلمين، حتى يحرم الروم من تلك القاعدة الحيوية، وحتى يستفيد منها المسلمون كقاعدة متقدمة لهم فى حركاتهم ضد الروم.[2]

لقد فضل أبو المهاجر جزيرة (شريك) الموقع (الاستراتيجى) على المال والغنائم وهذا دون شك قرار عسكرى فى منتهى الأهمية وله دلالته الواضحة على ما كان يتمتع به أبو المهاجر من بعد نظر وتفكير عسكرى سليم.

٧ - المحبة المتبادلة بين القائد وجنوده:

لقد كانت المحبة قائمة بين القائد الرسول ﷺ وبين صحابته، وهناك أمثلة كثيرة تدل على ذلك. منها موقف الصحابة فى معركة أحد من الرسول عليه الصلاة والسلام عندما أحدق به الأعداء من كل جانب، وصوبوا عليه نبالهم وسهامهم، فأخذ المسلمون يصدون عنه،

(١) أبو المهاجر دينار. هو مولى مسلمة بن مخلد الأنصارى فهو مولى الأنصار، وكان من التابعين، ولاه مسلمة بن مخلد الأنصارى إفريقيا بعد عقبة بن نافع الفهرى وذلك سنة ٥٥ هـ ٦٧٤م راجع فتوح مصر والمغرب ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) قادة الفتح الإسلامى ١ : ١٤٦.

ويستقبلون السهام بأجسادهم، ولم يقتصر ذلك على الرجال، بل شمل النساء أيضًا فلقد ألقت امرأة تسمى نسيبة الخزرجية ما بيدها من سقاء للجنود، واستلت سيفًا وأخذت تدافع عن الرسول القائد حتى وصل الأعداء إليها، وأصابوها بالعديد من الجراح فأغمى عليها، فلما أفاقت لم تسأل عن زوجها الذى شهد أحد ولا عن ولديها اللذين كانا يقاتلان مع الرسول ﷺ، بل سألت أول ما سألت بعد أن عاد إليها وعيها: كيف حال الرسول..؟[1]

وهذا سعد بن الربيع[2] أحد المقاتلين فى غزوة أحد يقول - وهو فى نزع الموت بعد أن أصيب بجروح قاتلة - لرجل بعثه الرسول بعد المعركة لينظر أهو فى الأحياء أم فى الأموات. فقال: أبلغ رسول الله عنى السلام وقل له:

إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إذا خلص إلى نبيكم (أى العدو) وفيكم عين تطرف[3].

ومن ذلك أن بسر بن أرطاة كان على مفازة بأرض الروم، ووافق ذلك يوم عيد الأضحى فالتمس الجنود الضحايا فلم يجدوها. فقام القائد فى جنوده خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس إنا قد التمسنا الضحايا اليوم فلم نقدر منها على شىء، وكانت معه نجيبة من خيار الإبل، ولم يجد شيئًا يضحى به إلا هذه النجيبة، فقال: أنا مضح بها عنى وعنكم، فإن القائد أب ووالد».

---

(1) سيرة ابن هشام مصدر سابق ٣: ٨١ - ٨٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٤: ٣٤ - ٣٥.

(2) هو سعد بن الربيع بن عمرو صحابى من كبارهم كان أحد النقباء يوم العقبة، وشهد موقعة بدر، واستشهد يوم أحد عام ٣ هـ راجع صفة الصفوة ١: ١٩١.

(3) سيرة ابن هشام ٣: ٩٤ - ٩٥ ، والبداية والنهاية لابن كثير ٤: ٤٠.

ثم قام فنحرها ثم قال : «اللهم من بسر ومن يليه، ثم قسموا لحمها بين الجنود وصار للقائد جزء من الأجزاء مثل الناس»(١).

قائد هذا شأنه، يرعى رجاله حق الرعاية، ويستأثر دونهم بالخطر، ويحرص على أرواحهم، ويستغفر لهم قبل أن تزل أقدامهم، لابد أن يكون موضع ثقة رجاله، ولابد أن يكون محبوبًا عندهم، أثيرًا لديهم.

٨ - الشخصية :

يقول علماء النفس : إن الذين يعملون على إفادة أكبر جزء ممكن من المجتمع الإنسانى، يعتبرون أرقى الشخصيات جميعًا، وهم فى الغالب أقربها إلى درجات التكامل.

«إن درجة تكامل الشخصية تتناسب تناسبًا طرديًا مع اتساع دائرة المجتمع الذى يرمى الفرد إلى إسعاده، وأقلها تكاملاً التى يسعى صاحبها فقط لإسعاد ذاته، إذ لابد أن تتعارض نزعاته الذاتية مع نزعاته الاجتماعية فى تحقيق غايته الذاتية، ويليها من يسعى صاحبها لإسعاد أسرته وأولاده، ثم يليها من يعمل صاحبها لإسعاد أقاربه، ويليها من يعمل على إسعاد هؤلاء وأصدقائه، ويليها من يعمل لإسعاد أهل بلده أجمعين، وهكذا إلى أن تصل إلى من يكون همه الأول والأخير إسعاد المجتمع بأوسع معانيه»(٢).

---

(١) تهذيب ابن عساكر ٣: ٢٢١ ـ ٢٢٢.

(٢) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية مصدر سابق ٣٥٨ ـ ٣٥٩.

إن علمـاء النفس يسـتبـعدون أن يوجـد الإنسـان الذى كـان يعـمل لإسـعاد البشرية قاطبة، والحق أن الرسول القائد، كان يعمل لإسعاد البشرية كلها ولهذا كان يقول : «بعثت إلى الناس كافة»(١).

ويخاطب أتباعه بقوله : «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه»(٢) ولهذا بادله أصحابه رضوان الله عليهم حبًا بحب وثقة بثقة. حتى قال عروة بن مسعود الثقفى رسول قريش لمفاوضة الرسول القائد، عندما عاد إليهم : يامعشر قريش، إنى جئت كسرى فى ملكه، وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه، وإنى والله مارأيت ملكًا فى قوم قط مثل محمد، لايتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يسقط من شعره شىء إلا أخذوه، وإنهم لن يسلموه لشىء أبدًا(٣).

بهذا الوصف الرائع يصف عدو من أعداء الرسول القائد شخصية النبى الكريم.

ومن القادة الذين تخرجوا فى مدرسة الإسلام عبدالله بن سعد بن أبى السـرح(٤) الذى كان يمتاز بشخصية رصينة قوية، لاتؤثر عليها تقولات الناس ولا يؤثر فيها مديحهم، ولقد ساعدته شخصيته هذه على أن يكون قائدًا حكيمًا، يستمع إلى ذوى الرأى ويستشيرهم قبل بدء القتال، وفى أثنائه ولا يأنف أبدًا من الاستماع إلى الرأى الصائب، والأخذ به.

---

(١) الحديث أخرجه البخارى فى التيمم والصلاة ٥٦ والنسائى فى الغسل ٣٦.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى كتاب الإيمان ٧.

(٣) المدخل إلى العقيدة ص ٣٥٨.

(٤) هو عبدالله بن سعد بن أبى سرح فاتح إفريقيا وفارس بنى عامر وكان على ميمنه عمرو بن العاص حين افتتح مصر، وغزا الروم بحرًا وظفر بهم فى معركة ذات الصوارى توفى ٣٧هـ ٦٥٧. راجع أد القابة ٣:١٧٣.

والظاهر من شخصيته، ومن تاريخ المعارك التى خاضها أنه كان يفضل أن يكون فى ساحات القتال غازيًا، على أن يكون فى القصور (واليًا) وتلك أيضًا سمة من سمات الشخصية القوية.

لقد شهد فتح أرض الشام ومصر قبل أن يكون واليًا على مصر، فلما أصبح واليًا عليها أمضى سنتى ٢٦هـ و٢٧هـ فى فتح إفريقيا وأمضى سنة ٢٨هـ فى فتح قبرص،وأمضى سنة ٣١ هـ فى النوبة، وأمضى سنة ٣٣ فى استعادة فتح إفريقيا، وأمضى سنة ٣٤ هـ فى معركة «ذات الصوارى»[١].

إن حرص القائد عبدالله على قيادة رجاله بنفسه، ورغبته مشاركتهم فى تحمل أعباء القتال، وقضائه أكثر مدة حكمه بعيدًا عن أهله وعن مأمنه غازيًا، كل ذلك يدل على أنه طراز نادر من القادة الممتازين فى شخصياتهم.

٩ - القوة البدنية أو اللياقة البدنية.:

إن القوة البدنية : مهمة للمقاتل سواء أكان جنديًا أم قائدًا، لما لها من تأثير على روحه المعنوية، وتزيد من يقظته الفكرية، وبذا يهيأ المقاتل جسديًا وفكريًا لما يواجهه خلال المعركة.

ولقد حث الإسلام على تعلم السباحة وركوب الخيل (مسرجة ومعراة) ولقد كانت الاستراتيچية فى صدر الإسلام حريصة على أن يزاول المقاتلون السباق فى الجرى والسباق بين الفرسان على الخيل أو الإبل، والمصارعة ورفع الأثقال، إلى غير ذلك من ألوان التدريب

(١) تهذيب ابن عساكر - مصدر سابق ٧ : ٤٣٣.

والرياضة التى تبنى الجسم القوى وتوجد اللياقة البدنية. ولذا يقول الرسول القائد : «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[1].

ويقول أيضًا : «إن لبدنك عليك حقًا»[2].

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتمتع بلياقة بدنية قوية، فكان يصرع الرجل القوى : من ذلك أن ركانة رجل من قريش كان من أشدهم وأقواهم، خلا بالرسول القائد فى بعض شعاب مكة فقال له الرسول القائد : ياركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك إليه..؟ قال: إنى لو أعلم أن الذى تقول حق لاتبعتك؟؟ فقال له: أفرأيت إن صرعتك أتعلم أن ما أقول حق..؟ قال : نعم. قال : فقم حتى أصارعك، قال : فقام إليه ركانة يصارعه فصرعه، ثم قال ركانة: عد يامحمد فعاد فصرعه، وكان الرسول القائد يركب الفرس عارية يدربها على السير[3].

تلك أهم الصفات التى يجب أن يتصف ببعضها قادة المعارك والحروب فى القديم والحديث، وبعض هذه الصفات فطرى فى طبيعة الإنسان، والبعض الآخر يأتى عن طريق الاكتساب والمران، والتجربة العملية فى ميدان القتال.

القيادة ومبدأ الطاعة

تحرص الاستراتيجية الإسلامية على تحقيق مبدأ الطاعة للقيادة، الطاعة لصالح الجماعة،ولتحقيق المصلحة العامة؛ لأن القائد يقود

(١) الحديث أخرجه مسلم فى كتاب القدر ٣٤، وابن ماجه فى المقدمة. والزهد ١٤ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٣٦٦ - ٣٧٠.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث قريبًا من هذا.

(٣) سيرة ابن هشام مصدر سابق ١: ٣٩٠ - ٣٩١.

قوته الضاربة لتحقيق أهداف الأمة، من حماية الثغور، وسلامة الحدود، ورد العدوان وتحقيق الأمن والأمان لأفراد المجتمع، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الطاعة وتنفيذ أوامر القيادة بكل دقة، تنفيذها وإنجازها بالطريقة التكتيكية التى يطلبها القائد، وحق الطاعة قرره القرآن الكريم، الدستور الخالد لأمة الإسلام قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾(١).

وقال أيضًا : ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾(٢).

والرسول القائد يقول : «اسمعوا وأطيعوا وإن ولى عليكم عبدحبشى»(٣).

وقال أيضًا : «إنما الطاعة فى المعروف»(٤).

وقال : «من أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير فقد عصانى»(٥).

ولقد كانت طاعة الجند لقادتهم فى المعارك الإسلامية مضرب المثل ولم يحدث أن خالف الجنود أمر قائدهم إلا فى معركة أحد. من

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٤.

(٣) الحديث فى البخارى فى الاعتصام والأحكام ٤٣ وأبو داود فى السنة ٥ والترمذى فى العلم ١٦.

(٤) الحديث أخرجه البخارى فى الأحكام ٤، ومسلم فى الإمارة ٣٩ وأبو داود فى الجهاد ٨٧.

(٥) الحديث أخرجه البخارى فى الجهاد ١٠٩ والاعتصام ٢، ومسلم فى الإمارة ٣٢، ٣٣، وابن ماجه فى المقدمة أو الجهاد ٣٩ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٩٣، ٢٤٤.

ذلك أن الرسول القائد أمر كوكبة من الفرسان بقيادة عبدالله بن جبير بأن تحمى ظهور المسلمين على الجبل، وأمرهم الرسول القائد ألا يغادروا أماكنهم من على الجبل سواء انتصر المسلمون أو انهزموا، ولكن هؤلاء الرماة ماكادوا يرون المسلمين قد انتصروا فى الجولة الأولى على القوة الضاربة لقريش، حتى تركوا أماكنهم فوق الجبل، ليشاركوا إخوانهم فى جمع الغنائم، فانكشف ظهر المسلمين للأعداء، فكانت ثغرة، نفذ منها الأعداء، وأوقعوا الهزيمة بالمسلمين(1).

ولا يذكر التاريخ حادثة أخرى خالف فيها الجنود أمر قائدهم. من هنا نرى أن الطاعة للقائد أساس الانتصار، وعامل أساسى فى هزيمة الأعداء.

ويطيب لنا أن نضع فى نهاية هذا المبحث ما قاله الرئيس البريطانى «ونستون تشرشل» : إن شخصية القائد فى نظرى هى كل شىء فى الحرب، هى الروح التى تحارب بها الجنود، وهى السلاح الذى يضربون به، وهى المنبع الذى يستمدون منه قوتهم وإيمانهم بالنصر.

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير مصدر سابق ٤ : ٢٤، وسيرة ابن هشام. مصدر سابق ٣: ٧٨.

●● الباب الثانى

الاكتشافات وإرسال الطلائع
والاستخبارات

الفصل الأول

الاستخبارات ودورها فى الاستراتيچية الإسلامية

ويتضمن الآتى :

١ - وسائل الاستخبارات فى الجيش الإسلامى.

٢ - أهداف الاستخبارات فى الاستراتيچية الإسلامية.

٣ - الصفات التى يجب توافرها فى القائمين بالاستخبار.

٤ - الاستخبارات والشفرة.

٥ - نماذج عن دور الاستخبارات فى الحروب الإسلامية.

«قدم أمامك الطلائع ترتد لك المنازل وسر فى أصحابك على تعبئة جيدة، واحرص على الموت توهب لك الحياة، ولا تقاتل بجريح فإن بعضه ليس منه، واحترس من البيات فإن فى العرب غرة، وأقلل من الكلام».

من رسالة أبى بكر الصديق

إلى خالد بن الوليد قائد الجيش

«إن السعى للحصول على المعلومات عن العدو يرتبط ارتباطًا وثيقًا بإجراءات الوقاية من نشاط المخابرات المعادية، ويعتمد نجاح كل من المهتمين بدرجة كبيرة على الأخرى».

اللواء أركان حرب جمال الدين محفوظ

الاستخبارات ودورها فى الاستراتيجية الإسلامية

يرى بعض القادة : أن مستقبل الأمم والشعوب يتوقف على دقة المعلومات التى تصل إليها عن طريق مخابراتها، ووسائل الاستطلاع فيها، وأيضًا على القدرة والتوفيق فى تفسير هذه المعلومات، واستخلاص مدلولاتها وتقديمها إلى صناع القرارات من رجال السياسة، وقادة الحروب فى الوقت المبكر والمناسب.

والتاريخ خير شاهد على أهمية حصول دولة على معلومات عن دولة معادية لها، واستغلال هذه المعلومات فى مباغتتها، أو مفاجأتها بالضربة الأولى.

ويقال : إن النجاح الساحق لهجوم اليابان على «بيرل هاربر» وتدمير جانب كبير من الأسطول الأمريكى، لم يكن له من سبب سوى القصور فى المعرفة المبكرة، لنوايا اليابان الحقيقية، ويحتوى تقرير اللجنة التى شكلتها الحكومة الأمريكية عام ١٩٥٥م لدراسة، وتقييم نشاط المخابرات الأمريكية، والتى عرفت بلجنة «هوفر» على كثير من العبر والدروس فى هذا المجال. من ذلك :

«لقد كان الهجوم المفاجئ على «بيرل هاربر» الذى خلق إدارة المخابرات، كما أن التحقيق الذى جاء بعد الحرب أثبت أن انعدام وجود مخابرات قوية، كان هو سبب الفشل الذى منيت به القوات العسكرية، من حيث عدم حصولها على إنذار مبكر تستطيع به عرقلة الهجوم اليابانى».

وقال الجنرال «أيزنهاور» عام ١٩٥٩م : إنه ليس هناك فى سياسة الولايات المتحدة، ماهو أهم من جمع المعلومات بواسطة المخابرات».

وإذا كان الأمر كذلك فإن القيادات الناجحة هى التى تدرس ظروف المعركة قبل أن تخوضها من وجهة النظر العسكرية.

والقائد الذى يحرص على النصر، يجب أن تكون لديه معلومات وافية عن عدوه، وعن طبيعة الأرض التى ستدور فوقها المعركة، وعن الظروف الجوية، والتخطيطات التكتيكية التى يمكن أن تسيطر على إمكانيات القتال. لذا يرى خبراء الحرب أنه يجب أن تتوفر لدى القيادة العسكرية معلومات عن أعداد القوة الضاربة للعدو، ونوعية السلاح، وتكتيكاته فى القتال، وحلفائه الذين يمكنهم الانضمام إليه خلال المعركة، أو يمدونه بالسلاح والعتاد، وأيضًا طبيعة الأرض التى سيلتقى فوقها بعدوه، ولقد كان العرب يعرفون أرضهم تفصيليًا، سواء أماكن وجود قبائلها وتضاريسها وطرقها، ومواقع الماء والكلأ فيها، وكانوا خبراء بكل مايحيط بهم، بالإضافة إلى معرفتهم الخاصة بعلم الفراسة، واقتفاء الآثار.

وسائل الاستخبارات فى الجيش الإسلامى

أما عن موضوع الاستخبارات والحصول على المعلومات فكانت تتقسم عندهم إلى قسمين :

الأول : معلومات تخص الوطن العربى، سكانه وأرضه، وطبيعة العدو المحتمل الصدام معه. أو الدخول فى معركة تفرض على الطرفين.

الثانى : معلومات تعبوية وكانت تهيأ وترتب قبل مسير الجيش وأثناء التحرك، وقبل المعركة، وبعد الانتهاء منها.

أهداف الاستخبارات فى الاستراتيجية الإسلامية

أولاً : لاجدال فى أن الاستخبارات من الضرورات الحيوية فى وقت السلم، وقبل إشعال الحروب، وعند قيام المعارك؛ لأن الجيش أى جيش يجب أن يعرف قدرًا معينًا من المعلومات عن عدوه الذى يحاربه حتى يدخل رجاله المعركة بخطى واثقة، وقلوب ثابتة.

أما إذا التقى الجيش بخصمه وحارب فى موقف يلفه الغموض والجهل، فسوف تهتز كفاءته القتالية إلى حد كبير، فضلاً عن تعرضه للمفاجأة والخسائر الكثيرة، أو الهزيمة فى النهاية.

ثانيًا : الاستخبارات من عوامل القوة؛ لأن المعلومات التى نتقدم بها عن الأعداء تجعل الجيش المحارب، يقدم على خوض المعركة، وهو بعيد عن المفاجآت أو المباغتة - التى يمكن أن تكون كامنة له دون أن يدرى.

ثالثًا : الاستخبارات، هى أساس الرباط الذى أمر الإسلام به أتباعه بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٢٠٠.

والمرابطة : الإقامة فى مواقع الجهاد، وفى الثغور المعرضة لهجوم الأعداء.

والـربـاط : حراسة ويقظة وتأهب لرد العدوان، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة مايدور على الجانب الآخر من جهة العدو.

رابعًا : الاستخبارات من مظاهر الحذر واليقظة حتى لا يأخذنا العدو على غرة قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾(١).

وقال أيضًا : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾(٢).

خامسًا: الاستخبارات وقاية من الضرر والهلاك. وذلك بسبب ماتؤديه من دور مزدوج عن طريق توفير المعرفة عن العدو، ومقاومة أعمال المخابرات المعادية، والتصدى لأساليبها، فهى بذلك تحقق الوقاية للأمة، وحماية الجيش من الهزيمة أو التعرض للهلاك، وهو ما أمرنا الله تعالى بالابتعاد عنه والحذر منه بقوله تعالى : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(٣).

وقد صور القرآن الكريم عواقب الغفلة، والأضرار البالغة التى تتعرض لها القوة الضاربة للمسلمين بقوله : ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾(٤).

الصفات التى يجب توافرها فى القائمين بالاستخبار

لقد وضع الرسول القائد ﷺ أسسًا وقواعد دقيقة لمن يختارون لهذه المهمة الصعبة، ومن الوصايا العامة لهم : ألا يحدث أحدهم حدثًا

---

(١) سورة النساء آية رقم ٧١. (٢) سورة المائدة آية رقم ٩٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٩٥. (٤) سورة النساء آية رقم ١٠٢.

حتى لايلفت نظر الأعداء إليه، وكانت تجزل لهم العطايا والمكافآت عند مجيئهم بالأخبار عن الأعداء - حتى وإن كانت فى غير صالح المسلمين - فالدقة والصدق كانا أهم مايلتزم به رجال الاستخبارات عند جمعهم للمعلومات.

وإذا كان الأمر كذلك فمن أهم الصفات التى يتحلى بها ضباط الاستطلاع والمخابرات هى كالآتى :

١ - الذكاء : ويعبر به عن سرعة الإدراك، وحدة الفهم، وذكى الرجل إذا أسن، وحظى بالذكاء، لكثرة رياضته وتجاربه، ولما كانت التجارب والرياضات، قلما توجد إلا فى الشيوخ لطول عمرهم : استعمل الذكاء فيهم.

٢ - الفهم العميق : والفهم هيئة للإنسان، بها يتحقق معانى مايحسن قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾(١).

وذلك إما بأن جعل الله له من الفضل وقوة الفهم ما أدرك به ذلك، وإما بأن أوحى إليه وخصه به.

٣ - القدرة على التعرف، وإصدار القرار السليم.

٤ - المرونة، وسرعة التحول من حال إلى حال.

٥ - الثبات والاتزان فى مواجهة الخطر، أو المواقف الحرجة، والثبات ضد الخفة والطيش قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

ويقال رجل ثبت فى الحرب، أى لا ترهبه قوة الأعداء.

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٧٩.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤٥.

٦ – التكتم : وهو أهم مبدأ من مبادئ الحرب، وقد سبق المسلمون غيرهم فى ابتكار هذا الأسلوب الدقيق «الكتمان» قبل أن يفطن إليه الألمان ويستعملوه فى الحرب العالمية الثانية.

ولقد كان للقيادة الإسلامية مجموعة من رجالات الاستخبارات والعيون، وكان الذى رشحهم لهذه المهمة اتصافهم بالكثير من الصفات السابقة، ومن هؤلاء الرجال : حذيفة بن اليمان العبسى رضى الله عنه الذى اختاره الرسول ﷺ دون غيره ليكون عينًا له فى المنافقين فى المدينة، وذلك لتمتعه بمزايا الكتمان الشديد، فلا يفشى سره لأحد، وأيضًا بحضور البديهة فلا يرتبك فى المواقف الحرجة.

روى حذيفة أن الرسول ﷺ كلفه بمهمة الدخول فى صفوف العدو يوم الخندق لمعرفة أخبارهم.

قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ماتفعل، لاتقر لهم قدرًا، ولا نارًا ولابناء، فقام أبو سفيان قائد جيش المشركين فقال : يامعشر قريش لينظر كل امرئ جليسه..؟

قال حذيفة : فضربت بيدى على الذى عن يمينى فأخذت بيده، فقلت: من أنت..؟ فقال : معاوية بن أبى سفيان، ثم ضربت بيدى على يد الذى عن شمالى فقلت: من أنت..؟ قال : عمرو بن العاص.

هذه الواقعة توضح ماكان يتمتع به رجل المخابرات فى عهد الرسول القائد من سرعة البديهة، وعدم الارتباك، والتصرف السريع فى المواقف المفاجئة، بحيث لاينكشف أمره، وهو فى صفوف الأعداء.

فلو لم يبادر حذيفة بالسؤال. لبادره كل منهما، وتعرض حينئذ للارتباك الذى قد يكشف أمره، ولضاع على القوة الضاربة للمسلمين، الهدف الذى قد أرسلوه من أجله.

يقول اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ : وليس أدل على توفر صفات رجل المخابرات فيمن اختارهم النبى ﷺ ليعملوا فى هذا المجال مما يلى :

أولاً : لم ترد فى تاريخ الحروب الإسلامية الأولى، حادثة واحدة انكشف فيها واحد من رجال مخابراتهم.

ثانيًا : كانت تخطيطات الأعداء للعدوان تصل إلى الرسول القائد فى وقت مبكر، مما مكنه من اتخاذ الإجراءات والحيطة حسبما يقتضى الموقف.

ثالثًا : لم يضع الرسول القائد خطة لغزوة أو سرية دون أن تكون لديه المعلومات اللازمة للتخطيط الناجح عن مهاجمة العدو، وعن طبيعة الأرض والظروف المحيطة به.

رجال الاستخبارات واقتحامهم الأخطار

كثيرًا مايتعرض رجال الاستخبارات لمواقف قد تقضى على حياتهم، أو تقذف بهم فى أقبية السجون لفترات طويلة، وقد ينجو البعض منهم - من قبضة العدو بأعجوبة. من ذلك، مافعله القائد الإسلامى عمرو بن العاص قبل استيلائه على فلسطين. فقد اهتم هذا القائد بجمع المعلومات عن عدوه - حتى أنه سعى بنفسه إلى مواطن العدو ليحصل على المعلومات التى يريدها، معرضًا نفسه لخطر الأسر أو القتل. فقد دخل حصن عدوه على أنه جندى عربى يحمل رسالة إلى أرطبون الروم، ودرس الحصن وعرف أسراره وطرقه، ومواطن الضعف فيه، ثم وضع خطة احتلال الحصن بناء على هذه المعلومات التى حصل عليها، حتى أن أرطبون عندما علم أن الذى كان يقف أمامه منذ برهة ليس جنديًا عاديًا ولكنه قائد الجيش المغير قال:

«خدعنى الرجل؟؟ إنه أدهى الخلق جميعًا».

وكان قول أرطبون أبلغ إجابة على ماقاله عمر لأصحابه : قد رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب فانظروا عم تتفرج.

ولاشك أن حضور عمرو بن العاص إلى مصر فى جاهليته كان له أثر كبير فى معرفته بأحوال تلك البلاد وأخبارها ومسالكها - وكانت المعلومات التى تجمعت لديه ذات فائدة كبيرة عند عودته إلى مصر على رأس الجيش الإسلامى.

وقد أجمع المؤرخون وثبت فى كتب التاريخ، أن جيش عمرو دخل مصر من ذات الطريق الذى قطعه عمرو مع الشماس الذى رافقه فى زيارة مصر.

وما فعله عمرو بن العاص فعله المثنى بن حارثة الشيبانى، قائد جيش المسلمين لأحوال العراق. فقد كان يقود بنفسه كوكبة من الفرسان، ويتوغل بهم فى أجواء البلاد باحثًا ومنقبًا عن نقاط الضعف التى يمكن استغلالها، فى احتلال البلاد وهزيمة جيش الأعداء، واستطاع من مغامراته تلك أن يعرف مواطن الضعف، وأن يدرك سوء الحالة الاجتماعية فى داخل العراق، وأن يقف على المنازعات الحامية المستمرة بين ملوك الحيرة طمعًا فى الملك، ورغبة فى الرياسة، وكانت هذه الدراسة من أهم العوامل التى عقدت له لواء النصر.

وهكذا تكون القيادة العسكرية الإسلامية سباقة فى إقرار مبدأ مهم وقاعدة رئيسية قبل الدخول فى المعركة، ولكنها فى ذات الوقت لم تنس شيئًا مهمًا؛ فإنها قد قدرت أن العدو الذى تجمع عنه المعلومات قد يتخذ هو الآخر مثل هذه الخطوات فيسعى هو الآخر إلى جمع المعلومات عن جيش المسلمين، ولهذا فرضت السرية على جميع أعمال

المسلمين، وفى مقدمتها الحرب، وأصبح قول النبى ﷺ استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان»[1]. شعارًا للمسلمين فى كل مايأتون من أعمال.

ولقد نبه الرسول الكريم إلى ضرورة اتخاذ السرية فى التجمع والتحرك حتى لا تكون لدى العدو فرصة يجمع فيها معلومات عن الجيش الإسلامى يستخدمها ضدهم.

وإذا كان جمع المعلومات سلاحًا ذا حدين فإن المسلمين قد أبطلوا أحد حديه وأفسدوه باتباعهم السرية فى تحركاتهم العسكرية.

ففى غزوة الفتح دعا الرسول عليه السلام أن يأخذ العيون والأخبار عن قريش، حتى لاتقف من سيرهم على نبأ : «اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش»[2].

وأمر عليه السلام بحراسة الطرق إلى مكة، والقبض على كل من يستراب فيه وكلف عمر بن الخطاب بأن يشرف على الحراسة قائلاً له: «لاتدعوا أحدًا يمر بكم إلا رددتموه».

وفى هذه الغزوة فشلت محاولة حاطب بن أبى بلتعة، حين أراد أن يبلغ قريشًا بتحرك الرسول إليهم فقد بعث بكتاب مع امرأة تسمى سارة استأجرها، وقال لها : «اخفيه ما استطعت ولا تمرى على الطريق، فإن عليه حرسًا». وعلم الرسول بأمر الكتاب وكان فيه : «إن الرسول قد أذن فى الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم فبعث عليًا

---

(١) الحديث رواه الطبرانى وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رفعه وكذا البيهقى وابن أبى الدنيا.

(٢) سيرة ابن هشام ـ مصدر سابق ـ ٢ : ١٥٧.

والزبير والمقداد خلف المرأة فانطلقوا وراءها وأخذوا منها الكتاب، وكانت قد أخفته فى شعرها»[1].

ونهج القادة المسلمون منهج الرسول الكريم.

روى ابن حبان أن جند عمرو بن العاص فى غزوة ذات السلاسل طلبوا منه أن يأذن لهم فى إيقاد النار ليستدفئوا عليها من البرد فمنعهم، وأنكر عليه ذلك عمر بن الخطاب، وكان أحد جنده، فتشاور مع أبى بكر فقال له : «دعه إن رسول الله ﷺ لم يبعثه علينا إلا لعلمه بالحرب».

واعترض عليه بعض المسلمين فقال لهم :

«لايوقد أحد نارًا إلا قذفته فيها».

وشكاه المسلمون إلى رسول الله فقال : «خفت أن يمتد الضوء فينكشف المسلمون لأعدائهم وهم قلة فينقضوا عليهم».

وكان من أهم وسائل حجز المعلومات عن العدو وحرص القادة المسلمين على أن يكون تحرك قواتهم ليلاً إمعانًا فى إخفاء تحركاتهم عن العدو، فلا يعرف شيئًا عنهم، ولا تتجمع لديه من المعلومات مايكون ثغرة لاختراق صفوفهم، أو تعجيل هزيمتهم.

تعلم رجال المخابرات لغة الأعداء

من الضرورات الحيوية عند رجال المخابرات، لإشاعة الحرب النفسية بين قوات الأعداء والحصول على المعلومات منهم، معرفة لغة العدو وإجادتها، سواء من حيث التحدث بها أو الكتابة، ولقد عنى النبى

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ـ مصدر سابق ٤ : ٢٨٣، وسيرة ابن هشام ٤ : ٣٩٧، وفيه زيادة (حتى نبغتها فى بلادها).

القائد ﷺ بذلك كثيرًا فأمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود، وفى هذا يقول زيد : أمرنى رسول الله ﷺ فتعلمت له كتاب اليهود بالسريانية وقال : «إنى والله ما آمن يهود على كتابى».

ثم يقول زيد : فوالله ما مر بى نصف شهر حتى تعلمته وسلكت فيه، فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم إليه.

وهكذا كان رجال الاستخبارات فى الجيوش الإسلامية يعرفون لغة أعدائهم ويخاطبونهم بها ويندسون بين صفوفهم لتصيد أخبارهم ولقد صدق المثل القائل : من تعلم لغة قوم أمن مكرهم.

رجال الاستخبارات واستعمال الشفرة

فى مجال الاستخبارات سواء منها العسكرية أو السياسية - تتحول لغة الرسائل سواء منها الشفوية أو المكتوبة إلى لغة أخرى، تستخدم فيها الرموز بحيث لايستطيع معرفة مضمونها سوى مرسلها والمرسلة إليه - وهو مايعرف فى عالمنا المعاصر باسم لغة الشفرة.

واستخدام الشفرة أمر حيوى لإخفاء محتويات الرسائل عن الأعداء، ومن المعروف أن كل طرف من الأطراف المتحاربة يضع لنفسه شفرة خاصة، وفى الوقت نفسه يسعى جاهدًا بكل الوسائل لكشف سر الشفرة التى يستخدمها الطرف الآخر (أى حل رموزها)، ومن أجل ذلك فإن الجيوش فى العصر الحديث لا تستخدم شكلاً واحدًا من أشكال الشفرة لمدة طويلة، بل تقوم بتغيرها من حين لآخر، حتى لاتعطى الفرصة الكافية لأعدائها لكى يكشفوا رموزها، حتى لقد يصل الأمر إلى تغيير الشفرة عدة مرات فى اليوم الواحد.

ولقد عنى النبى القائد - بهذا الأسلوب الذى تبدو فكرته واضحة تمامًا فى الواقعة التالية.

ففى غزوة الخندق علم النبى ﷺ أن يهود بنى قريظة قد نكثوا عهدهم الذى كان بينهم وبين المسلمين، وذلك بعد أن أحاط بالمدينة عشرة آلاف مقاتل من قريش والقبائل الأخرى.

وتحرج موقف المسلمين كثيرًا - وكان عدد مقاتليهم ثلاثة آلاف مقاتل، بعد أن نكث بنو قريظة عهدهم (وهم داخل المدينة) فأصبح الخطر يهدد المسلمين من داخل المدينة ومن خارجها، فبعث النبى ﷺ سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة، وعبدالله بن رواحة، وخوات بن جبير إلى بنى قريظة ليقفوا على جلية الأمر، وأمرهم بأن (يلحنوا)[١] بالقول حين يعودون ولا يفصحون فى حالة تأكدهم من خبر نكث بنى قريظة للعهد[٢].

ولقد كان سبب حرص الرسول على استخدام هذا الأسلوب من أساليب الشفرة هو خوفه على معنويات المسلمين من الانهيار، وحرصه على كتمانه، حتى يستكملوا إعداد الخندق وسائر استعداداتهم العسكرية قبل أن يعلمهم به.

ولو أن النبى القائد سمح بإذاعة هذا النبأ الخطير قبل أن يعد المسلمون كل متطلبات القتال لانهارت معنويات المسلمين.

ولهذا يطيب لنا أن نقدم فى هذه الأطروحة بعضًا من النماذج والمواقف التى خاضتها الاستخبارات العربية، سواء ماكان منها داخل الجزيرة العربية، أو خارجها فى عمق أرض فارس وبين دهاليزها، أو على مشارف أرض الروم.

---

(١) فى قاموس اللغة (لحن له) قال له قولاً يفهمه عنه لا يخفى على غيره.

(٢) البداية والنهاية مصدر سابق ٤: ٩٤، وسيرة ابن هشام ٢: ٦١٧.

دور الاستخبارات فى غزوة بدر

عندما علم الرسول القائد بقافلة أبى سفيان قائد جيش المكيين التى تحمل تجارة قريش إلى الشام، أمر سرية من جيش المسلمين بالخروج إليها لعلهم يحوزونها غنيمة.

فلما اقتربوا من مكان يسمى «الصفراء» بعثوا جنديين هما بسيس ابن عمرو، وعدى بن الرعباء إلى «ماء بدر» يستطلعان أخبار القافلة، وبينما هما اكذلك إذ بجارية تطالب أخرى بدين عليها، فتجيبها صاحبتها، أن سوف تعطيها الذى لها عندما تأتى القافلة فى الغد، أو بعد الغد، فتعمل لهم وتؤجر منهم.

فيسرع الجنديان إلى الرسول القائد ويخبرانه بيوم قدوم القافلة، وعندما قارب الجمعان بدرًا وتسابقا إلى الماء، بعث الرسول القائد عليًا ابن أبى طالب، وسعدًا، والزبير إلى بدر يتجسسون، فجاءوا بعبدين لقريش فسألهما عن مكان الجيش.

فقالا : وراء هذا الكثيب، ثم قال لهما : كم القوم..؟

فقالا : لا علم لنا.

فقال : كم يذبحون كل يوم من الإبل.

فقالا : يومًا عشرًا، ويومًا تسعًا.

فقال الرسول القائد : جيش الأعداء مابين تسعمائة وألف.

ثم قال لهما: فمن فيهم من رجالات قريش. فذكروا له مجموعة من الرجال الأشداء(١).

(١) قالا فيهم: عتبة بن ربيعة، وأبو البخترى بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد والحرث بن عامر بن نوفل، والنضر بن الحرث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وسهل بن عمرو. وعمرو بن ود.

فقال الرسول القائد : رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها[1].

ولقد ظهرت فائدة استنطاق الأسرى قبل المعركة فى معرفة عدد قوات قريش، كما كان استنتاج أبو سفيان بن حرب من فحصه روث ركائب المسلمين اللذين استطلعا موقع بدر، ومعرفة هويتهما رائعًا حقًا: إن تشبث الطرفين المتحاربين فى الحصول على المعلومات - حرم الطرفين من مبدأ المباغتة فى الزمان والمكان، فلم يستفد أحد الطرفين من هذا المبدأ الحيوى فى هاتين الناحيتين، أو فى إحدهما على الأقل فى هذه المعركة.

ولقد استفاد المسلمون من المعلومات التى حصلوا عليها بالإسراع إلى ماء بدر وحوزته خلفهم، الأمر الذى جعل القوة الضاربة لقريش محرومة من الماء يوم القتال، وبذلك عجلت هزيمتهم.

ونستطيع أن نقول : إن القوة الضاربة للمسلمين، هددت أهم الطرق التجارية بين مكة والشام، فأصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذا الطريق، مما كان له أسوأ الأثر على تجارة قريش التى تعيش عليها، وهددت مكة بالحصار الاقتصادى بمحاولة حرمانها من سلوك طريق مكة - الشام بأمان.

غزوة أحد

قبل هذه الغزوة أرسل العباس عم النبى ﷺ وكان من عيونه فى مكة إليه رسالة يخبره فيها عن وقت خروج قريش لقتاله وعن عدد

---

(١) البداية والنهاية: مصدر سابق، وتاريخ الطبرى: مصدر سابق، وابن الأثير: مصدر سابق.

قوات قريش، فأسرع حامل رسالة العباس رضي الله عنه بإيصال تلك الرسالة إلى النبى ﷺ.

فلما قرأ أبى بن كعب الرسالة على النبى ﷺ طلب ألا يبوح بمضمونها لأحد، ثم بعث الرسول أنسًا ومؤنسًا ابنى فضالة يلتمسان قريشًا، فعلما أن القوة الضاربة لقريش قاربت المدينة، فأخبرا الرسول بذلك ثم بعث من بعدهما الحباب بن المنذر[1] فأتاه بخبرها، ولم يلبث أن خرج أحد فرسان المسلمين وهو سلمة بن سلامة، فرأى قريشًا، ونستطيع أن نقول : إن نتيجة ذلك كان تهديدًا لأهم الطرق التجارية بين مكة والشام، فأصبحت قوافل قريش غير آمنة عند سلوكها هذا الطريق، مما كان له أسوأ الأثر على تجارة قريش، التى كانت تعيش عليها ومنيت مكة بالحصار الاقتصادى.

دور الاستخبارات فى غزوة أحد

فكرت قريش فى أن تنتقم لقتلاها فى غزوة بدر، فأخذت تعد العدة وتجهز الكتائب، وتستحث حلفاءها للخروج معها.

وما كاد العباس - عم الرسول القائد يرى هذه الاستعدادات المريبة التى تجريها قريش - حتى أخذ فى جمع المعلومات، عن هذه الحملة وميعاد تحركها، وأعداد المكتتبين فيها - وأرسلها فى رسالة إلى الرسول القائد، وأسرع حامل رسالة العباس إلى المدينة، حتى وصلها فى فترة وجيزة وسلمها إلى الرسول ﷺ فلما قُرأت الرسالة طلب الرسول من أركان حربه، عدم البوح بمضمونها ثم أخذ فى إرسال عيونه ورجال استخباراته لرصد الطلائع الأولى للجيش المغير، ولقد كان عمل رجال الاستخبارات مفيدًا جدًا حيث حال بين المشركين وبين مباغتتهم المدينة.

(٢) راجع ترجمة وافية له فى الإصابة فى تمييز الصحابة.

دور الاستخبارات فى غزوة الخندق

لقد علم الرسول القائد عن طريق عيونه وجواسيسه أن قريشًا عبأت عشرة آلاف مقاتل، عدا حلفائها من اليهود، لمهاجمة المدينة، عندها بدأ المسلمون نتيجة لهذه المعلومات فى حفر الخندق حول المدينة، ولقد كانت مفاجأة لقوة قريش حتى قالوا:

«والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها».

وهذه الواقعة لا تدل على نجاح مخابرات النبى الاستراتيجية التى عرفت بنية الأعداء مبكرًا فحسب، بل تدل على عجز مخابرات الأعداء على المستويين الاستراتيجى والتكتيكى معًا، ذلك أن حفر الخندق استغرق حوالى عشرين يومًا، وهذه المدة كافية جدًا لعيون قريش لكشفه والإعلام عنه.

كما تدل هذه الواقعة أيضًا على نجاح المخابرات الوقائية للمسلمين، وعلى مدى تكتمهم لسر خطتهم الحربية، وحرمان العدو من الحصول على معلومات عنها.

وهذا ما عبّر عنه خبير المخابرات والجاسوسية العالمى «لاديسلاس فاراجو» فى قوله: «عندما قرر المكيون (قريش) أن يتخلصوا من محمد عليه الصلاة والسلام نهائيًا عبأوا ضده قوة تتكون من عشرة آلاف مقاتل، ولم ينزعج النبى؛ لأنه كان قد ترك فى مكة عملاء أكفاء أبلغوه بخطط أعدائه، أما خصومه، فلم يكن لهم عملاء عنده، ولذلك فعندما وصل المكيون إلى المدينة أذهلهم أن يجدوا خندقًا وجدارًا يحيطان بالمدينة تمامًا إحاطة السوار بالمعصم، حميا محمدًا عليه الصلاة والسلام وأتباعه من العدوان»[1].

---

(٢) الجاسوسية بين الوقاية والعلاج: أحمد هانى.

وعندما خرج الرسول ليعتمر - عمرة الحديبية - فى ألف وبضع مئات من أصحابه، وبلغ ذا الحليفة (مكان قرب مكة) بعث عينًا له يستطلع، فلما اقترب الرسول من عسفان أتاه رجل الاستطلاع فسأله الرسول - عن أخبار قريش وقوتها الضاربة.

فقال: قد سمعت بمسيرك فخرجوا وقد لبسوا جلود النمر ونزلوا بذى الطوى، يعاهدون الله على ألا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم.

عندها أمر الرسول القائد أصحابه بالحركة على طريق فرعى غربى الطريق العام، وكانت طريقًا وعرة، قطعها المسلمون بصعوبة، فتخلصوا بذلك من الاصطدام بقوة قريش، حتى وصلوا (الحديبية) على بعد ثلاثة أميال شمال مكة، وعسكروا هناك.

ونستطيع أن نقول: إن استخبارات المسلمين استطاعت أن تحول بين اشتباك محقق مع قوة الأعداء، علمًا أن المسلمين فى ذلك الوقت لم تكن عدتهم وعتادهم يسمح لهم بالاشتباك، أو الدخول فى معارك مع القوة الضاربة لقريش؛ لأنهم كانوا يريدون أداء العمرة لا القتال.

دور الاستخبارات فى فتح مكة

جاء فى كتاب «تاريخ الحروب فى العالم» الذى وضعه «الفيلد مارشال لورد مونتجمرى» عند حديثه عن القائد الفرنسى «نابليون» مايأتى:

«إن قدرة نابليون الاستراتيچية الفائقة، كانت ترجع إلى أنه كان يضع خططه على أساس المعلومات التى يقدمها له أركان حربه برياسة «برتييه» و«كونت دارو» وأنه كانت تسبق كل حملة مرحلة من التنظيم

والبحث الدقيق، والاستعداد الطويل، والتدبير المحكم، على ضوء المعلومات التى تصل إليه عن العدو..»[1].

وهذا ما حدث فى فتح مكة، فلقد كانت القوة الضاربة للمسلمين تعرف كل صغيرة وكبيرة عن قوة قريش، وما يحيط بها من كل الجوانب أضف إلى ذلك أن المسلمين استطاعوا أن يعرفوا من وفد بنى خزاعة الذى وصل إلى المدينة فى وقت مبكر - أمر نقض قريش للهدنة المعقودة بينهما، وعن طريق الدراسات النفسية تبين لهم تردد قريش فى قراراتها، كما استطاعوا أن يعرفوا كل خبر معهم أو ضدهم يدخل المدينة، أو يخرج منها فى أى وقت من الأوقات.

الأمر الذى جعلهم يحصلون على الرسالة السرية التى أرسلها حاطب بن أبى بلتعة، يريد بها إخبار قريش بتحرك القوة الضاربة للمسلمين بمهاجمتهم، حدث هذا فى الوقت الذى لم تستطع فيه قريش الحصول على أى نوع من المعلومات فى أى وقت كان قبل المعركة، حتى وصول قوة المسلمين إلى مشارف مكة.

ولقد حاول أبو سفيان زعيم القرشيين وقائدهم فى كثير من الغزوات، أن يعرف نيات المسلمين من ابنته أم حبيبة وزوجة الرسول القائد ففشل، وحاول أن يعرف ذلك من قبل المسلمين فى المدينة فأخفق، وحاول أن يعرف شيئًا من وفد خزاعة الذى جاء إلى الرسول فى مهمة سرية فأنكر الوفد معرفة أى شىء.

وهكذا بقيت قريش فى عماية من أمرها حتى وصل جيش المسلمين إلى مكة، وحاصرها من كل جوانبها، ولم تجد بدًا من التسليم للقوة التى لا تُغلب[2].

---

(١) فن إدارة المعركة فى الحروب الإسلامية: محمد فرج.

(٢) الرسول القائد: محمود شيت خطاب، مصدر سابق ص ٣٤٨، ٣٤٩.

دور الاستخبارات فى غزوة حنين

بعد فتح مكة قررت هوازن، وثقيف أن تغزوا المسلمين قبل أن يغزوهم، فأرسل الرسول القائد عليه الصلاة والسلام عبدالله بن أبى حدرة الأسلمى ليأتيه بالمعلومات اللازمة، لإيقاف تحرك هوازن وثقيف،

يقول ابن اسحاق: ولما سمع بهم النبى ﷺ بعث إليهم عبدالله بن أبى حدرة الأسلمى، وأمره أن يدخل فى الناس، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم، ثم يأتيه بخبرهم، فانطلق ابن أبى حدرة فدخل فيهم وأقام حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله ﷺ وسمع من مالك بن عوف قائد هوازن، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر»(١).

ومن هذه المعلومات عرف النبى نية الأعداء، ومكان تجمعهم فقرر مهاجمة هذه القبائل ليحتفظ بالمبادأة بيد المسلمين.

وقد مكنت يقظة رجال المخابرات، وقدرة الجيش على الحركة السريعة، من إجهاض تدابير العدو للعدوان على المدينة(٢).

وقد أرسل المشركون دوريات استطلاع لمعرفة اتجاه حركة جيش المسلمين، والمواضع التى وصلوا إليها، وقد كانت فائدة هذه الدوريات كبيرة جدًا لأنهم أنجزوا احتلال وادى حنين بشكل ممتاز قبل وصول المسلمين إليهم وباغتوا أرتال المسلمين حين دخلوهم فيه، ولولا دوريات استطلاعهم لما استطاعوا معرفة المواضع التى وصلها المسلمون، فبنوا خطتهم الحربية على ضوء تلك المعلومات الصحيحة، وأمكنهم مباغتة

---

(١) سيرة ابن هشام: تحقيق محمد محى الدين عبدالحميد.

(٢) المدخل إلى العقيدة، مصدر سابق. ص ١٨٩.

جـيش المسلمـين، وبهـذا نسـتطيع أن نقـول: لقـد كـان عـمل دوريات استطلاع المشركين متميزًا.

يقول اللواء الركن محمود شيت خطاب:

«إن واجب المقدمة المهم: هو حماية القسم الأكبر، والحصول على المعلومات عن العدو، حتى لا يباغت قوات القسم الأكبر.

ولم تنجز مقدمة المسلمين هذا الواجب أبدًا، فهى لم تستطع معرفة مـواضع المشـركـين التى احـتلوها فى وادى حنين، واندفـعت المقـدمـة بسـرعـة على غـيـر هدى وبصـيـرة، واندفـعت وراءهـا قـوات المسلمـين، لاعتقادها أن اندفاعها هذا أمين وغير خطر، إذ لو كان هناك خطر لما اندفعت المقدمة أو لاستطاعت القضاء عليه.

إن من أهم أسـبـاب هـزيمـة المسلمـين فى الدرجة الأولى فى مـعـركة حنين، عـدم قـيام مقـدمتهم بواجبها، فلم تحصل على المعلومات عن مواضع تجمعات العدو، ولم تمنع مباغتة العدو للقسم الأكبر[1].

معركة تبوك أو الحرب الإجماعية

قد نشـر «لودندروف» آراءه عن الحـرب الإجـماعيـة فى كتـابه «الأمـة فى الحرب»، ومجمل آرائه فى هذ الكتاب: «أن الحرب الحديثة لم تبق حرب جيوش وقوى عسكرية فقط، وإنما هى حرب إجماعية، تقوم على حرب الأمم ضد الأمم، ولهذا يجب أن تضع الأمـة كل قواها العقلية، والأدبية، والمادية، فى خدمـة الحـرب، وأن تكون هذه القـوة مـخـصـصـة للحرب التالية».

(1) الرسول القائد: اللواء الركن محمود شيت خطاب، مصدر سابق، ص ٣٨٢، ٣٨٣.

ويرى «لودندروف» بالإضافة إلى ذلك، أن الحرب وسيلة لا غاية، ولهذا يجب أن تعد الأمة كلها للحرب، وأن تكون دائمًا على قدم الاستعداد، ثم يتابع حديثه قائلاً:

(واجب النساء ينحصر فى إنتاج أبناء أقوياء للأمة يحملون أعباء الحرب الإجماعية، وواجب الرجال ينحصر فى حشد كل قواهم لهذه الغاية)[1].

يقول اللواء محمود شيت خطاب: هذه الآراء اعتبرها العسكريون آراء جديدة، وراحوا يفسرونها وينشرون مبادئها، ويحثون على الأخذ بها، وليس فى ذلك غرابة، ولكن الغريب أن يعتبرها بعض العسكريين المحدثين خططًا جديدة فى المعارك الحديثة، لم يسبق أحد من القادة الألمان إليها.

ونقول: إن الحرب الإجماعية التى طبقتها ألمانيا، وإيطاليا، وروسيا، فى الحرب العالمية الثانية، ليست جديدة، فقد طبقتها الاستراتيچية الإسلامية قبل أربعة عشر قرنًا خلت، ونعتقد أن هناك فرقًا جوهريًا بين حرب الأمم الحديثة، وحرب المسلمين قديمًا.

هذا الفرق ، هو أن حرب المسلمين كانت حربًا دفاعية، غايتها نشر السلام وتوطيد أركانه، لا تعتدى على أحد ولا تسمح لأحد أن يعتدى عليها، وتدعوا إلى الله على بصيرة من الأمر تنفيذًا لأمر الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[2].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٠٨، ٤٠٩.

(٢) سورة النحل آية رقم: ١٢٥.

وأيضًا أمره بقوله: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1].

لهذا كانت هذه الحرب للسلام، فهم يسالمون من سالمهم، ولكنهم لا يعتدون على أحد، فقط يدافعون عن عقيدتهم، وعن حرية نشرها بين الناس لتكون كلمة الله هى العليا.

يقول كتاب المسلمين لهم: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2].

لذلك فقد كان المسلمون كلهم جنودًا، وكانت أموالهم كلها لإمداد هؤلاء الجنود.

ولقد كان عدد المسلمين فى غزوة تبوك ثلاثين ألفًا بينهم عشرة آلاف فارس[3]. وقد تحركوا صيفًا فى وقت قحط شديد، وساروا لمسافة طويلة فى الصحراء، وليس من السهل إمداد مثل هذا الجيش الكبير فى مثل تلك الظروف القاسية بمواد الإعاشة من ماء وخلافه ومعدات من أسلحة وعتاد، لذلك سمى هذا الجيش: جيش العسرة، اشترك المسلمون كلهم فى تجهيزه[4].

وتتفق المصادر التاريخية على أن أبا بكر رضي الله عنه أنفق جميع ما بقى من ماله فى هذه الغزوة، وكان رصيده من المال عند إسلامه، أربعين ألف دينار، أنفقها كلها فى سبيل الله.

---

(١) سورة البقرة آية رقم: ٢٥٦.

(٢) سورة التوبة: آية رقم ٤١.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ٥١٥ ط المكتبة الفيصلية. مكة المكرمة.

(٤) المصدر السابق ٤: ٥١٦، ٥١٧.

وأنفق عثمان بن عفان - ﷺ - ثلاثمائة بعير، وألف دينار، وأنفق عمر ابن الخطاب رضي الله عنه نصف ماله، كما أنفق العباس عم النبى ﷺ وطلحة ابن عبيدالله وبقية الموسرين، وبهذا الإنفاق السخى أمكن تجهيز هذا العدد الكبير من جيش العسرة(1).

لهذا نقول: إن الاستراتيچية الإسلامية - قد عرفت فى وقت مبكر الحرب الإجماعية، قبل أن يعرفها العالم بأربعة عشر قرنًا.

وفى هذه الغزوة كانت استخبارات الروم قد عرفت الكثير عن تحركات جيش المسلمين، وكانت وسيلتهم فى هذه الاستخبارات قومًا من قبائل «النبط» كانوا يتاجرون فى المدينة، وأيضًا قسم من أفراد القبائل العربية الموالية لهم، والذين أطلق عليهم فى العصر الحديث:

الطابور الخامس(2) - ولقد ساعد هؤلاء فى نقل بعض المعلومات إلى الروم.

لقد نقلت كتب التاريخ أن ملك غسان الموالى للروم قد عرف غضب الرسول ﷺ على جندى من جنود المسلمين - هو كعب بن مالك لتخلفه عن الجيش المتجه إلى تبوك، فأرسل له رسالة يعرض عليه فيها اللحاق بالغساسنة، فإذا استطاع الروم وأحلافهم الاطلاع على مثل هذه

---

(1) الرياض النضرة: ١: ١٦، ٢: ١١١، ١٢٢، ٣٦٤.

(2) حقيقة هذه التسمية أن أحد قادة الچنرال فرانكو فى الحرب الأهلية الإسبانية كان يقود أربع فرق من الجيش ليحتل بها مدريد فقيل: له: كم تقود من فرق الجيش...؟ قال: خمسة؟ قيل وأين الخامس؟ قال داخل مدريد؟ ويقصد بذلك أنصار الچنرال فرانكو فيها. ولقد كان الطابور الخامس فى الحرب العالمية الأخيرة شرًا مستطيرًا يقل مقاومة الدول ويجعلها فريسة للأعداء فى أقل من لمح البصر، وكان يساعد على تدمير خزانات المياه، ومراكز المعلومات والمواصلات ومحطات توليد القوى الكهربائية، كما كان يدير دفة حرب الأعصاب؟ بما يوهن العزائم، ويدفع إلى اليأس القاتل والتسليم الذليل.

القضية الشخصية، فمن المؤكد، أنهم استطاعوا الاطلاع على القضايا المهمة - خاصة التى لها تأثير جوهرى على الموقف العسكرى.

لقد كانت عيون الروم منتشرة فى المدينة لإحصاء تحركات جيش المسلمين، وتزويد الروم بكل تلك الأخبار.

ولم تكن استخبارات المسلمين غافلة عن تحركات الروم العسكرية، فقد استطاعوا معرفة حشود قواتهم، ومواضع تحركاتهم فى وقت مبكر، وبصورة دقيقة ومفصلة، مما جعلهم يتحركون إلى تبوك للقضاء على تلك القوات قبل أن يستفحل أمرها، وتتحرش بالحدود للبلاد الإسلامية.

وكان نتيجة ذلك الانتصار المعنوى على دولة الروم، الذى أرهب كل المتخلفين من العرب للانضمام إلى قوة المسلمين، فسارعوا وأقبلت وفودهم إلى المدينة بعد عودة القوة الضاربة مباشرة من تبوك، يعلنون دخولهم فى دين الله، ولهذا سمى هذا العام بعام الوفود.

وأيضًا استطاعت الاستراتيجية الإسلامية أن تقيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية، التى تربط شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام، الخاضعة لدولة الروم فى ذلك الوقت.

ولقد كان لهذه النقاط دورها المهم فى انطلاق القوة الضاربة للمسلمين فى سهولة ويسر فى فتح بلاد الشام وما جاورها من بلدان.

الاستطلاعات

الاستطلاعات نوع من الاستخبارات وتصيد المعلومات، والقائد لإحدى المعارك لا يستطيع أن يرسم خطة التحرك للقتال إلا بناء على المعلومات التى يستطيع رجاله الحصول عليها عن تحركات العدو، وعدد قواته وتنظيماته، ومواضع وجودها وأسلوب قتاله، وطبيعة الأرض التى سيقاتل عليها.

وكلما كانت المعلومات المتيسرة عن طريق الاستخبارات والاستطلاعات مفصلة ووافية، كانت خطة القائد دقيقة، وكان احتمال النصر ودحر الأعداء كبيرًا.

ويطيب لنا أن نقدم فى هذه الأطروحة، بعض النماذج عن الاستطلاعات التى قامت بها الاستراتيجية الإسلامية، إبان معاركها داخل الجزيرة العربية وخارجها.

سرية عبدالله بن جحش الأسدى

كانت هذه السرية عبارة عن دورية استطلاعية بقوة قوامها اثنا عشر رجلاً، بقيادة عبدالله بن جحش، وكان هدف هذه السرية استطلاع أخبار قريش والحصول على المعلومات عنها[1].

وكانت من نتائج استطلاعها، تعرف المسلمين على الطرق المحيطة بالمدينة المنورة المؤدية إلى مكة المكرمة، خاصة الطريق التجارية لقريش والتى تربط بين مكة والشام، كما استطاعت التعرف على قبائل المنطقة الممتدة على طول الطريق وموادعة بعضها وعقد التحالف معها فيما بعد.

ولقد استعملت هذه النتائج فى قطع طريق القوافل على تجارة قريش، أوسهمت فى تقريب النصر للمسلمين فى المعارك الضارية التى نشبت بين المسلمين وبين قريش، والتى انتهت بفتح مكة. آخر قلاع الأعداء فى الجزيرة العربية.

الاستطلاع قبل معركة نهاوند

كانت الأخبار قد وصلت إلى عمر بن الخطاب فى المدينة باجتماع

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٤: ٦٢ وتاريخ الطبرى ٥: ٣٣.

أهل «أصبهان» و«همدان» و«الرى» و«أذربيجان» و«نهاوند» لقتال المسلمين. وأقلق ذلك عمر[1]، وأخذ يبحث عن قائد لقيادة جيش المسلمين إلى هناك، ودخل المسجد فرأى رجلاً يصلى صلاة خاشعة.. فامتلأ قلبه إعجابًا به، وامتلأت نفسه ثقة فيه. وكان الرجل مفتول الذراعين، مرفوع القامة، قوى العضلات، وسأل أمير المؤمنين عمر: من هذا..؟

فقيل له: هذا النعمان بن مقّرن. فقال: علىَّ به، فلما مثل الرجل بين يديه قال له عمر: لقد انتدبتك لأمر عظيم.

قال الرجل العملاق: يا أمير المؤمنين إن كنت تريدنى لجمع الزكاة، فإنى لا أصلح لذلك، وإن كنت تريدنى للجهاد والقتال فى سبيل الله، فإنى أصلح له. قال عمر: بل أردتك للجهاد والقتال ثم ولاه إمارة الجيش[2].

وكان أول عمل قام به النعمان قبل السير بجيشه نحو «نهاوند» وكان على بضعة وعشرين فرسخًا منها، أن كلف كلاً من طلحة بن خويلد الأسدى، وعمرو بن أبى سلمى العزى، وعمرو بن معد يكرب الزبيدى، بالتقدم أمام الجيش فى حركة استطلاع للطريق الموصلة إلى نهاوند، ومعرفة القوة الضاربة للأعداء، وأنواع أسلحتهم ومعداتهم، فسار الثلاثة، مقدار يوم وليلة، ثم عادوا ليبلغوا القائد العام أن ليس بينه وبين نهاوند شىء يعوق تقدمه، مع إخباره بمواصفات القوة الضاربة للأعداء، الأمر الذى جعل القائد يرسم خطة المعركة بناء على ما وصله عن طريق دورية الاستطلاع من معلومات، وكان النصر، المؤزر والفتح الكبير لهذه البلاد[3].

---

(١) ابن الأثير ٢: ٢١١، ٣: ٧٢٣.

(٢) الطريق إلى الله: للدكتور عبدالرحمن عميرة ص ١١٤، ١١٥.

(٣) الفن العسكرى الإسلامى: العميد الركن د. ياسين سويد ص ٢٩٥ ط شركة المطبوعات - بيروت - لبنان.

الحملة الاستطلاعية إلى بلاد الأندلس

بعد أن استتب الحكم للمسلمين فى شمال إفريقيا، كان لهم طموح فى فتح بلاد الأندلس،. وكانت ظروف الحكم وقلاقله فى تلك البلاد قد ساعدهم على تحقيق هذا الطموح.

من ذلك أن (لذريق) حاكم الأندلس كان يعانى من مشاكل داخلية فهو قد انتزع الحكم من أصحابه الشرعيين آل غيطشة الذى ترك أولادًا صغارًا، هذا بالإضافة إلى أولئك الذين كانوا فى الأساس حلفاء للملك غيطشة وكان على رأسهم قائد يسمى «يليان» الذى اتجه إليه أولاد غيطشة ليساعدهم فى استرداد مُلك أبيهم فما كان من «يليان» إلا أن التقى بطارق بن زياد وأغراه بفتح بلاد الأندلس وأقنع طارق موسى بن نصير بذلك. فكتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد ابن عبدالملك يعرض عليه ما عرضه يليان من فتح الأندلس، ويستأذنه فى ذلك فكتب إليه الوليد قائلاً:

«خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا تغرر بالمسلمين فى بحر شديد الأهوال»(1).

وهكذا كان جواب الخليفة مشروطًا بالاستطلاع والاستكشاف، قبل الإقدام على تحرك الجيش وإقحامه فى تلك البلاد.

ولقد نفذ موسى أوامر الخليفة الوليد بن عبدالملك، بأن جهز حملة استطلاعية مؤلفة من سرية بلغت أربعمائة من المشاة، وألفًا من الخيالة، بقيادة طريف بن مالك المعافرى، وأمره أن يجتاز بهذه الحملة

---

(1) ابن خلدون ٤: ٢٥٣، والمقرى ١: ٢٣٦.

المضيق إلى الساحل المقابل للساحل الإفريقى، ليستطلع أخبار العدو فيه، ثم يعود.

وقد استعان طريف لعبور المضيق بمراكب أعدها له حليفه «يليان» وكانت أربع سفن، حملت هذه القوة من «سبتة» إلى جزيرة تدعى «بالوماس» أو الجزيرة الخضراء، وقد جال طريف ورجاله فى الجزيرة، والنواحى المحيطة بها، وبإرشاد من «يليان» نفسه، وتم استطلاع قوات العدو ومعداته - والتعرف على أخباره فى تلك الجهات، ثم عاد مع سريته، ومعه كل المعلومات التى يحتاجها القائد لوضع خطة القتال وتحديد مسار الجيش، وتأمين القوة الضاربة، ضد هجمات الأعداء فى تلك البلاد البعيدة[1].

ولم يمض على عودة الحملة الاستطلاعية التى قادها طريف عام واحد، حتى كانت كتائب الجيش الإسلامى تعمل على نشر دين الله فى تلك الأصقاع البعيدة، وتوفر لأهلها السلام والأمان، وتقيم قواعد العدل بين الناس جميعًا، كل الناس بغض النظر عن جنسياتهم ومعتقداتهم.

---

(١) ابن خلدون، مصدر سابق ٤: ٢٥٤، والمقرى: مصدر سابق ١: ٢١٦ - ٢٣٨، والطبرى مصدر سابق ٦: ٤٦٨، وابن الأثير، مصدر سابق ٤: ٥٥٦.

الفصل الثانى

الخطة أو التكتيك فى خوض المعركة

ويتضمن الآتى:

١ - الخطة الجماعية فى الاستراتيچية الإسلامية.
٢ - علاقة القائد بالجند.
٣ - روح القتال.
٤ - الالتزام بالخطة.
٥ - مبادئ الحرب فى الاستراتيچية الإسلامية.

الخطة أو التكتيك فى خوض المعركة

الخطة عند العسكريين: هى التكتيك الذى يقرر الجيش على أساسه خوض المعركة، وعلى هذه الخطة التى يضع بنودها قائد الجيش مع أركان حربه، تكاد تكون نتيجة المعركة معروفة مقدمًا قبل التحام القوات الضاربة.

والخطة التى قد تحقق هزيمة الأعداء، هى التى تعد نتيجة للدراسات الواعية المحكمة، والاستخبارات الفاحصة الدقيقة لقوات العدو، مع معرفة طبيعة الأرض التى تدور عليها المعركة ومعدات العدو وأسلحته ومدى فاعلياتها، وأيضًا معنويات المقاتلين ومدى قناعتهم الكاملة بالهدف الذى يقاتلون من أجله، والآمال الكبيرة، التى يمكن أن تحقق من جراء إشعالهم الحرب.

والقارئ لحياة الشعوب، والتاريخ الحربى للقتال بين الأمم، يجده حافلا بالخطط الحربية، والتكتيكات التى ترتب عليها الانتصار الشامل، أو الهزيمة التى لم تقم بعدها قائمة لتلك الأمم.

والاستراتيچية الإسلامية، شأن أية قيادة عسكرية كان لها العديد من الاهتمامات بالخطة، وتاريخهم الحربى خير شاهد على ذلك.

وإذا تفحصنا الانتصارات الكبيرة التى حققتها القوة الضاربة للمسلمين نرى أنها كانت نتيجة مؤكدة للبراعة والدقة فى وضع خطط القتال.

ويكاد يكون شبه اتفاق بين قادة المعارك أن وضع الخطة المحكمة للقتال، هو الخطوة الأولى نحو تقريب النصر والتمسك بأسبابه.

وكل التكتيكات التى وضعتها الاستراتيچية الإسلامية لم تكن نتيجة لاجتهاد القائد، والاستفادة من خبراته السابقة فى ميادين القتال

فحسب، ولكنها كانت دائمًا نتيجة لتحليلات القائد وتصوراته، مع خبرة أركان حربه والمعلومات التى زودتهم بها استخبارات الجيش عن قوات العدو.

والخطة الجيدة تعتمد أساسًا على معنويات المقاتلين، فالجندى القوى الإيمان بهدفه، وبما يحارب من أجله، يستطيع أن يواجه بمفرده عدداً من الرجال ضعاف الإيمان - الذين يساقون إلى المعركة بلا هدف ومن غير قناعة - وينتصر عليهم قال الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا﴾(1).

وقال أيضا:

﴿الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(2).

الخطة الجماعية فى الاستراتيچية الإسلامية

والخطة الجماعية فى الاستراتيچية الإسلامية لمعركة من المعارك، تنبثق من روح الجماعة التى قررتها مبادئ الإسلام، وأمرت بها فى قوله تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾(3).

وقول الرسول القائد عليه السلام: (يد الله مع الجماعة)(4).

(1) سورة الأنفال آية رقم ٦٥.

(2) سورة الأنفال آية رقم ٦٦.

(3) سورة آل عمران آية رقم ١٠٣.

(4) الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب الفتن ٧، والنسائى فى كتاب التحريم ٦.

وقوله أيضًا: (عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة)[1].

وحرص الاستراتيچية الإسلامية على ذلك، راجع إلى الرغبة فى التقليل من النزعة الفردية، التى تصيب بعض الأمم، فيكون من نتيجتها الفرقة والتنازع والشقاق.

وقد تكلمنا عن مشاورة الرسول القائد لأركان الجيش فى الكثير من المعارك والحروب فيما سبق من الأطروحة.

علاقة القائد بالجند

لاشك أن العلاقة الودية بين القائد وجنوده، لها آثارها الفعالة فى تقوية الهمم وتحمل المسئولية، بحيث يشعر كل جندى أنه واقف على ثغر من ثغور الأمة، وعليه واجب الدفاع عنه، أو الاستشهاد دونه، لذا فهو يحرص كل الحرص، ألا يفتح الأعداء ثغرة من قبله، فيكون فى ذلك ضياع لنفسه، وتشتيت لجهود الأمة بفقدان الثقة فى أبطالها المقاتلين.

وعلى القائد أن يحافظ على جنوده فلا يلقى بهم فى مهلكة، ولا يحملهم من الأمر فوق ما يطيقون، وأن يكون لهم فى كل تصرفاته المثل والقدوة، وألا يقيم الحجب والحواجز بينهم وبينه، بل عليه الاتصال بهم، والتعرف على أحوالهم وأن يتصرف بالحكمة فى كل أمورهم.

والاستراتيچية الإسلامية - حرصت كل الحرص على إقامة المحبة والثقة بين القادة والجنود، من ذلك ما حدث فى معركة بدر الكبرى

---

(١) أخرجه البخارى فى الفتن ٢، والأحكام ٤، وأبو داود فى السنة ٢٧، والأدب ١٤، والترمذى فى الأدب ٨٨.

حيث حرص الجنود على أن يبعدوا قائدهم عن هول المعركة، وذلك عن طريق بناء عريش له «حجرة عمليات» بحيث يشرف منها على سير القتال، ويكون بعيدًا عن سهام الأعداء(١).

ولكن الرسول القائد عليه الصلاة السلام كان حريصًا كل الحرص على مشاركة جنوده لقاء العدو وأن يكون معهم فى قلب المعركة، يشد من أزرهم، ويقوى عزيمتهم، لهذا ترك عريشه، ونزل إلى ساحة القتال متقدما الصفوف، وبيده العديد من الحصى الصغير، وهو يضرب بها فى عيون الأعداء ويقول:

(اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها «قوتها» تحاول أن تكذب رسولك اللهم فنصرك الذى وعدتنى)(٢).

وكان الرسول القائد ﷺ يرى أن علاقة القائد بجنوده تقوى وتظهر خلال القتال، فإن رأى الجنود قائدهم يقاتل العدو ويشتد فى قتاله تولتهم الرغبة القوية فى الاقتداء بقائدهم، وحرصوا على الاستماتة فى القتال حتى يتحقق النصر، أو يسقطوا شهداء فى ساحة القتال.

وفى غزوة الأحزاب لم يتخلف الرسول القائد عن جنوده وهم يحفرون الخندق بل شاركهم هذه المهمة ليقدم لقادتهم المثل، ويشعرهم بالرباط القوى بينه وبينهم، فكان كلما استعصت عليهم صخرة، واعترضت طريق الحفر، أسرع بتحطيمها حتى تتفتت تحت وطأة مطرقته التى يهوى بها ساعده القوى عليها(٣).

---

(١)سيرة ابن هشام - مصدر سابق - ٢:٦٢٠.

(٢) مسيرة ابن هشام - مصدر سابق - ٢. ٦٢٨.

(٣) سيرة ابن هشام - مصدر سابق ٣: ٢١٧، واريخ الطبرى ٢: ٩٢.

ليس هذا فحسب بل كان الرسول القائد يشارك جنوده فى حراساتهم واستطلاعاتهم، وفى مسيرتهم الطويلة الشاقة، وأظهر فى ذلك تحملاً وجلدًا يعجز عنه أقوى الرجال.

وعلى طريق الرسول القائد سار أبو بكر الخليفة الأول، فقد خرج يودع الجيش المتجه إلى مشارف الروم، بقيادة أسامة بن زيد، وهو يسير على قدميه، وغلب الحياء أسامة، فقال للقائد العام:

«إما أن تركبن أو لأنزلن».

فقال أبو بكر على مسمع من أفراد الجيش: والله لا تنزل ووالله لا أركب. وما علىَّ أن أسير على قدمى فى سبيل الله ساعة[1].

القائد الأعلى يسير على قدميه، والجيش مع قائده، راكبين خيولهم، ولا غضاضة فى ذلك؛ لأن أبا بكر أراد أن يضرب المثل لقادة الجيوش فى ضرورة قيام العلاقة الوثيقة بينهم وبين جنودهم.

ويكتب أبو بكر إلى يزيد بن أبى سفيان - أحد قادة الجيش - إذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وإذا وعظتهم فأخلصهم النصيحة، وأوجز لهم القول»[2].

وهو بهذا يؤكد على القادة أن يترفقوا بالجند وأن يحسنوا صحبتهم.

وما فعله أبو بكر سار على نهجه عمر بن الخطاب الخليفة الثانى، وأمير المؤمنين حيث كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح قائد الجيش المرابط على حدود الشام:

---

(١) تاريخ الطبرى ٢: ٢٤٦ وابن الأثير مصدر سابق.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير، مصدر سابق ٦: ٣٠٤.

«لا تدفع المسلمين إلى المخاطر رجاء غنيمة، ولا تنزلهم منزلاً قبل التأكد من مناعة هذا المنزل، وتعلم كيف مأتاه، ولا تبعث سرية إلا فى العديد من الفرسان وإياك وإلقاء المسلمين فى هلكة.»[١].

فى هذا الكتاب إحساس القائد الأعلى بمسئوليته تجاه جنده، فهو المسئول الأول عن سلامتهم، ولهذا فهو ينقل المسئولية كاملة إلى من تحته من قادة الجيش وينير أمامهم الطريق ويضع لهم الأسس التى يجب أن يلتزم بها القائد تجاه جنوده.

ولقد استجاب القادة لأوامر الرسول القائد، ولخلفائه من بعده، فكانوا لا يلقون بهم فى مهلكة، ولا يجبرونهم على أمر، ولا يتشددون معهم فى موقف، ولا يتميزون عنهم فى شىء، يعيشون كما يعيش جندهم، ويقودونهم إلى المعارك، ويستشيرونهم فى اقتحام المخاطر. يصفهم رجل من رجال المقوقس فيقول: رأيت قومًا الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على الأرض، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد من العبد[٢].

ويسمع المقوقس هذا الوصف فيأخذ بكل مجامع قلبه ويقول لرجاله:

والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقدر على قتال هؤلاء أحد من الناس»[٣].

---

(١) الإدارة وعمر بن الخطاب للدكتور الطحاوى ـ مصدر سابق.

(٢) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ١: ١١.

(٣) المصدر السابق ص ١ : ١٢.

وجاء رجلان من أعيان الفرس إلى أبى عبيد بن مسعود[1] قائد الجيش الإسلامى فى العراق، وقدما له آنية فيها بعض الأطعمة الفارسية وقالا له:

«هذه كرامة أكرمناك بها»

فسألهم أبو عبيدة: أأكرمتم الجند بمثله..؟

فأجاباه: لم يتيسر لنا ونحن فاعلون.

فاعتذر عن تناول الطعام لأنه لاحاجة له فيما لا يسعه ويسع جنده، ورد إليهما آنية الطعام دون أن ينال منها شيئًا قائلا: لاحاجة لنا فيه: بئس المرء أبو عبيدة إن صحب جنودًا من بلادهم لكى يريقوا دماءهم، ثم يستأثر عليهم بشىء يصيبه، لا والله لا نأكل مما أفاء الله علينا إلا بعد أن يأكل أوساط جنودنا»[2].

وهكذا رفض هذا القائد العملاق طعامًا لا يسع كل جنوده وأركان حرب جيشه، فهم قد خرجوا معه مجاهدين، ومعاهدين الله على البذل، وليس المجال مجال تمييز، أو مجال تفاخر، ولكنه مجال قتال وانتصار أو استشهاد، وهم جميعًا إخوة متحابون، فما يحرم على الجند يحرم على القائد، وما يستبيحه القائد لنفسه، هو مباح لجنده.

وهذه القواعد والمبادئ التى أسستها الاستراتيجية الإسلامية نجد أن الكثير منها قد سرى إلى الكثير من القيادات المتتابعة، بعد عصور الإسلام الأولى، وفى عالمنا المعاصر، فعل نابليون القائد الفرنسى ما فعله المسلمون إبان حروبهم مع جنودهم.

---

(١) هو أبو عبيد بن مسعود الثقفى قائد من الشجعان قتل فى وقعة الجسر عام ١٣هـ راجع ابن الأثير حوادث ١٣هـ والمسعودى ط باريس ٧: ١٩٧.

(٢) تاريخ الإسلام الذهبى ٢: ٥.

لقد حرص نابليون على أن تجمع بينه وبين جنده روابط قوية تقوم أساسًا على الثقة المتبادلة.

ومن أعظم ما سجله له تاريخ الحرب أنه استطاع أن يفتح سهول «لمبارديا»[1] بجيش من الحفاة العراة، وكان العامل الرئيسى فى إحراز هذا النصر علاقته بجنده.

ويقول لهؤلاء الجنود عند مسيره إلى إيطاليا:

«إنى أراكم تحتاجون إلى الكثير مما تستحقون، وهأنذا على رأسكم أسيريكم إلى المواطن التى تكسبكم العزة والفخر والغنيمة»[2].

ثم يقول لشعبه شعب فرنسا: «لا ريب فى أننى أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال».

وما فعله نابليون فعله «روميل» القائد الألمانى، و«مونتجمرى» القائد البريطانى وغيرهما من القادة العظام.

ويقول «مونتجمرى»: «إننى كنت أتحدث مع جنودي كلما أمكن ذلك»[3].

ويطيب لى فى نهاية هذه الكلمة أن أسجل ما قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجنوده، وهم على أهبة السفر إلى ملاقاة العدو - حتى يطمئنهم، ويدخل الثبات على قلوبهم: سيروا على بركة الله وأنا أبو العيال حتى تعودوا[4].

---

(١) فن إدارة المعركة فى الحروب الإسلامية: محمد فرج ١٠٣ ط مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) المصدر السابق ١٠٤.

(٣) السبيل إلى القيادة للمشير مونتجمرى الباب الأول ص ١٥.

(٤) خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون ط الدار السعودية: جده.

روح القتال

روح القتال تشمل خبرة القائد وحنكته، وصفات الجند، وحسن تدريبهم وشجاعتهم وإخلاصهم، وإيمانهم بأحقية الأهداف التى يخوضون الحرب من أجلها وروح القتال: هى الروح المعنوية التى تسيطر على المقاتلين، وتحفز هممهم لتحقيق النصر، يقول المارشال «مونتجمرى»[1] فى كتابة «تاريخ الحرب»:

«إن أعظم عامل من العوامل المؤدية إلى تحقيق النجاح هو روح المقاتل... إنه لأمر جوهرى أن يفهم المرء أن المعارك إنما تكسب أولاً وقبل كل شىء فى قلوب الرجال.

والإنسان يملك طاقة روحية لا حدود لها، وهذه الطاقة الروحية أمضى الأسلحة التى عرفتها البشرية فى تاريخها الطويل.

والاستراتيچية الإسلامية تجعل جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، كما قال الرسول القائد عليه الصلاة السلام لجنده: «رجعتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر»[2].

وفى هذا المعنى كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبى وقاص قائد معركة القادسية: «إنى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة، وأقوى المكيدة فى الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصى منكم من عدوكم، فإن

(١) سبق الحديث عنه فى كلمة وافية.

(٢) رواه الخطيب فى تاريخه عن جابر بلفظ قدم النبى من غزاة فقال عليه الصلاة والسلام: قدمتم خير مقدم، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، قالوا وما الجهاد الأكبر: قال مجاهدة العبد هواه.

ذنوب الجيش أخوف عليكم من عدوكم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، فإذا استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة»(١).

إن عمر القائد العام للدولة الإسلامية يطالب الجنود بتقوى الله؛ لأن التقوى هى الوقاية، من الضعف الذى يؤدى إلى الهزيمة، وهى الوقاية من الجبن الذى يسلب الإنسان قوته وإرادته، ويطالبهم بالبعد عن معصية الله تعالى؛ لأن المعصية طريق الهزيمة، والمعصية تحول بين العبد وربه، والنصر من عند الله فكيف ينصر الله من يخالفون أوامره، ويعصونه فى أرضه والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير، وهذا هو الطريق د. عبدالرحمن عميرة: ٢٧.
(٢) سورة محمد آية رقم ٧.

ومن هنا نصرهم الله فى مواطن كثيرة، بفضل إيمانهم واتباعهم الحق، قال تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

وأشار تعالى إلى فضيلة الثبات على المبدأ قال تعالى:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾(٢).

وحرصت الاستراتيجية الإسلامية على تسليح الجنود بسلاح الصبر: والصبر أقوى الأسلحة ضد قوى البغى والطغيان يقول الله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

وهذه الآية تقدم للجندى المحارب أربعة مبادئ لتحقيق النصر:

أولاً: الصبر: الصبر على مرارة الجهاد، وما تثيره فى النفس من انفعالات متنوعة من الألم والغيظ والحنق والضيق.

ثانيـــا: المصابرة: وهى مفاعلة من الصبر، مصابرة الأعداء الذين يحاولون أن يضعفوا صبر المؤمنين.

ثالثـا: المرابطة: الإقامة فى مواقع الجهاد، وفى الثغور المعرضة لهجوم الأعداء، وقد كانت القوة الضاربة للمسلمين لا تغفل عيونها أبدًا، خشية أن يأخذهم الأعداء على غرة قال تعالى:

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٣٩.
(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٢٣.
(٣) سورة آل عمران آية رقم ٢٠٠.

﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[1].

رابعًا: التقوى: التى تصاحب هذا كله، فهى الحارس اليقظ فى الضمير يحرسه أن يغفل، ويحرسه أن يضعف، ويحرسه أن يعتدى، ويحرسه أن يحيد عن الطريق[2].

ومن الروح المعنوية للمقاتل: ما حدث بين المقوقس وأحد قادة المسلمين حيث قال المقوقس لهذا القائد: إنكم تموتون فيما تطلبون..؟؟

فقال القائد المسلم: «يدخل من قُتل منا الجنة، ومن قتل منكم يدخل النار، وينتصر من بقى منا على من بقى منكم»[3].

وأيضًا عندما التقى المقوقس صاحب مصر بالمقاتل المسلم عبادة بن الصامت فقال له عبادة:

«ما من رجل منا إلا ويدعو ربه صباحًا ومساءً أن يرزقه الشهادة، وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه، ولا أهله وولده، وليس لأحد منا همٌّ فيما خلفه وراءه، وقد استودع كل منا ربه وأهله وولده، وإنما همنا الذى أمامنا»[4].

من كان يتصور أن هؤلاء الرجال الذين خرَّجتهم البادية، وقست عليهم ظروف الطبيعة وعاشوا حياتهم الجاهلية بعيدين عن خدع الحرب ومعرفة خبايا النفوس، تكون لهم هذه المقدرة الفائقة من

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢.
(٢) فى ظلال القرآن سيد قطب ٢: ٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٣) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ـ مصدر سابق ١ ـ ١٥.
(٤) المصدر السابق ١ : ١٦.

الحـرب النفـسـيـة التى شنهـا عـبـادة بن الصـامت على عظيم مـصـر، فقضى على كل مقاومة عنده، وملأ نفسيته بالرعب والفزع..؟»[1].

وإذا مـا وصل قـائد من قـواد الدول والجـيـوش إلى هذه الحـالة من الاضطراب والفـزع فقد خسـر المعـركة، وسلّمت بلاده، أما ماجاء بعد ذلك فـهى توسـلات المقـتـول إلى قـاتله أن يتـرفق به فـى ذبحـه، ويحـد شفرته حتى لايحس بألم الذبح.

ولهـذا نقـول: إن روح القـتـال لم تكن عـمـيـقـة عند المسلمـين الأوائل فقط، ولكنها كانت هدفًا ومبدءًا يتوارثه كل جيل ويسلمه إلى من بعده، وهكذا بقـيت شعلة مـضـيئـة فى قلوب المقـاتلين، تدفـعهم إلى القـتـال، وتحـقق لهم النصــر يصف «لين بول» جـيش «لذريق»[2] الذى قـــابل الجيش الإسلامى بقيادة طارق بن زياد فاتح الأندلس قائلاً:

«إن جيش لذريق ستة أضعاف جيش المسلمين. ومع ذلك فقد جاءت استخبارات «لذريق» تحدثه عن جيش طارق قائلة:

«لقد جـاءك منهم من لا يريد إلا الموت أو الاستـيـلاء على مـاتحت قدميك، قد أحرقوا مراكبهم إياسًا لأنفسهم من التعلق بالعودة»[3].

ثم دارت المعارك، واستمـر القتال بين الطرفين ثمانية أيام، انتصـر فيها المسلمون انتصارًا باهرًا، فقد حاربوا بعقيدة قوية، وأمل فى الله، ورغبة فى النصـر، وتأثروا بقول قائدهم طارق وقد أحرق السفن التى نقلتهم إلى شاطئ الأندلس، ثم قال: لقد استقبلكم عدوكم بجيش كبير، وأسلحته وقواته موفورة، وأنتم لا ملجأ لكم إلا (الله) ثم سيوفكم، ولا

---

(١) رجال أنزل الله فيهم قرآنا ٢ : ١٥٥ ط دار اللواء الرياض.

(٢) لم يكن من بيت الملك فى الأندلس، ولكنه كان من قوادهم وفرسانهم فولوه أمرهم.

(٣) فن إدارة المعارك فى الحروب الإسلامية: مصدر سابق: ١١٦.

أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم. إنى عند ملتقى الجمعين حامل بنفسى على طاغية القوم «لذريق» فقاتله، إن شاء الله تعالى، فاحملوا معى، فإن هلكت بعده فقد كفيتكم أمره، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه، وإن هلكت قبل وصولى إليه فاخلفونى فى عزيمتى هذه، واحملوا بأنفسكم عليه»(١).

وتم فتح البلاد، وأصبحت الأندلس درة من العواصم التى تزين الخارطة الإسلامية.

هذه هى الروح المعنوية أو روح المقاتل. التى جعلت من هؤلاء الرجال الذين خرجتهم البادية أساتذة وقادة، مدنوا الدنيا، وهذبوا العالم وقرروا الحق للإنسان، كل إنسان فوق هذه الأرض.

الالتزام بالخطة

الالتزام بالخطة أو التكتيك يجعل الأهداف واضحة، والواجبات محددة أمام المقاتلين، وخط التنفيذ معروف، عندها يكون كل مقاتل على دراية واضحة بالواجب المكلف القيام بتنفيذه، وبالمسئولية الملقاة على عاتقه، وفى حدود هذين المطلبين، تكون تحركاته، محسوبة ومحصورة.

ولعل الهزيمة التى أصابت المسلمين فى غزوة أحد ترتكز فى الجانب الأول على مخالفة بعض المقاتلين للخطة التى وضعها الرسول القائد لإدارة هذه المعركة.

---

(١) ابن خلدون ٤ : ٢٥٣، والمقرى ١ : ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

لقد كان من أساسيات الخطة أن يقف خمسون من الرماة على قمة الجبل حماية للمسلمين من أعدائهم بقيادة عبدالله بن جبير[1].

وكانت أوامر القائد لهم صريحة وواضحة بقوله:

«احموا ظهورنا من الأعداء، والزموا مكانكم لاتبرحوا منه، وإن رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تعينونا، ولا تدفعوا عنا، وإنما عليكم أن ترشقوا خيلهم بالنبل، فإن الخيل لا تقدم عليه»[2].

ولكن الرماة لم يلتزموا أمر القائد، وخالفوا خطة القتال.

وما كادوا يشاهدون هزيمة قريش، حيث فرت فرسانهم هاربة لاتلوى على شىء حتى قال قائلهم:

«لم تقيموا هاهنا فى غير شىء وقد هزم الله عدوكم وهؤلاء إخوانكم يغنمون عسكرهم فادخلوا فاغنموا مع الغانمين».

وتنبه أحدهم إلى خطورة هذا القول وأراد أن يذكر القوم بأوامر الرسول القائد عليه الصلاة والسلام فقال:

«ألم يقل لكم رسول الله لاتبرحوا مكانكم إن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا».

وتنبه قائدهم أيضًا إلى خطورة الدعوة إلى النزول فطلب منهم ألا يخالفوا أمر الرسول فعصوه وانطلقوا، ولم يبق معه إلا نفر دون العشرة، وشاهد خالد بن الوليد، وكان على فرسان قريش، خلو الجبل

(١) راجع ترجمة وافية له فى كتاب : الإصابة ت ٤٥٧٣.
(٢) سيرة ابن هشام والبداية والنهاية لابن كثير.

من الرماة، وهو موقع استراتيجى مهم فكرّ بالخيل[1] يقول صاحب الطبقات:

«ونظر خالد إلى خلاء الجبل وقلة أهله فكرّ بالخيل، وتبعه عكرمة ابن أبى جهل فحملوا على من بقى من الرماة فقتلوهم وقتلوا أميرهم عبدالله بن جبير رحمه الله وانتقضت صفوف المسلمين، ودارت عليهم الدائرة»[2].

وهكذا تحولت نتيجة المعركة من نصر إلى هزيمة؛ لأن فئة من المسلمين خالفت الخطة الموضوعة للقتال.

وقد عاتب الله المؤمنين لهذه المخالفة بقوله:

﴿لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

وأيضًا قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[4].

وكان عمر بن الخطاب من مقر قيادته فى المدينة يرسم الخطط فى ضوء ما يبلغه من معلومات، ويبعث بها إلى سعد بن أبى وقاص قائد

---

(١) فن إدارة المعركة فى الحروب الإسلامية: محمد فرج.
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد.
(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٥٢.
(٤) سورة آل عمران آية رقم ١٥٥.

الجيش فى العراق فيلتزم بها وينفذها دون الخروج عن شىء منها:

ومن أمثلة ذلك ما قاله عمر لقائده:

«إذا بلغت القادسية والقادسية باب فارس فى الجاهلية، وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم، وهو منزل رغيب خصب، حصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة، فتكون مسالحك على أنقابها، ويكون الناس بين الحجر والمدر[1].

ومنها:

«إن منحك الله أدبارهم فلا تنزع عنهم حتى تقتحم عليهم المدائن فإنه خرابها إن شاء الله، وإنه ألقى فى روعى أنكم ستهزمونهم، فلا تشكن فى ذلك»[2].

إن القائد العام يبشر قائد الجيش بالنصر ويدخل إلى قلبه التفاؤل، ويدفعه دفعًا إلى تحقيق النصر، ولم يقتصر توجيه عمر على سعد وحده، وإنما امتد إلى كل قادته فهو يكتب إلى الحارث بن يزيد العامرى[3] فى شأن أهل هيت:

«إن استجابوا فخل عنهم فليخرجوا، وإلا فخندق على خندقهم خندقًا أبوابه مما يليك حتى أرى ما أرى».

وكان القادة على مختلف مستوياتهم ينفذون خطط عمر ويعملون فى حدودها ويلتزمون بما يرسمه ويحدده لهم. لايشذ عن ذلك منهم أحد، فكانت دائمًا قلوبهم عامرة، والخطط التى ينفذونها ناجحة، والنصر حليفهم فى كل معركة يخوضونها.

---

(١) تهذيب ابن عساكر وتاريخ ابن الأثير مصدر سابق.

(٢) تاريخ الطبرى: مصدر سابق.

(٣) الإصابة فى تمييز الصحابة، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب.

الخطط فى الاستراتيجية الإسلامية وأثرها فى المعارك الحديثة:

أولاً فى غزوة مؤتة:

لقد نفذت الاستراتيجية الإسلامية خطة لتضليل قيادة الروم فى هذه الغزوة، وتم ذلك ليلاً حيث أجريت لوحدات الجيش تحركات وهمية وراء صفوف مشاتهم ثم استبدلت الميمنة بالميسرة، والمقدمة بالمؤخرة، وعندما جاء الصباح كرَّ قائد الجيش خالد بن الوليد على العدو بهجمات متتالية، لكى يدخل فى روعه أن القوة الإسلامية قد تلقت مددًا من قيادتها فى المدينة ثم ثبّت القائد القلب وسحب الجناحين، ثم عاد وسحب بقية قواته بحماية الجناحين[1].

وأعظم عمل لقائد إذا كان فى مأزق لا أمل فى الخروج منه، الانسحاب الذى فيه نجاة للقوات من خطر الإبادة إلى أن يتهيأ لها ظرف أفضل ـ وخصوصًا إذا تم انسحاب هذه القوة دون خسائر تذكر فى الأرواح.

إننا نجد لهذه الخطة التى نفذت فى غزوة مؤتة على مشارف دولة الروم نظيرًا لها فى الحرب العالمية الثانية، فقد عُيِّنَ «روميل» قائدًا للجيش الألمانى فى إفريقيا الشمالية، وكان هذا القائد يمتاز بحس عسكرى قوى، وعقلية واعية منظمة، وفور وصوله إلى مسرح العمليات عام ١٩٤٢م عمد إلى تحدى القوة الضاربة للإنجليز وذلك بطردهم من أماكنهم الأمامية فى «العقيلة»، ثم بملاحقتهم إلى «مرسى بريقه» حيث

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ـ مصدر سابق والطريق إلى المدائن د. أحمد عادل كمال ١٩٦ ـ ١٩٨.

كانت قواتهم المدرعة قد تمركزت فى موقع دفاعى حصين، ولقد هاجم «رومل» الموقع المحصن هجومًا جبهيًا فلقى مقاومة شديدة، عندها لجأ إلى الحيلة، فاستدار حول الموقع عبر ممر صعب وضيق، ثم موه الشاحنات فبدت وكأنها دبابات، وجعل بعض الآليات تثير سحبًا كثيفة من الغبار، حتى ظن العدو أن جحافل جرارة قادمة باتجاهه فآثر الانسحاب[1].

وفى هذا العام نفسه، كان الجنرال «ريتس» قائدًا للجيش الثامن البريطانى المتمركز فى القطاع الممتد من عين الغزالة إلى «بيرحيك» وكان رومل عازمًا على شن هجوم على قواعد العدو المتمركزة فى ذلك القطاع، إلا أنه لم يكن يملك التفوق اللازم، فعمد من جديد إلى الحيلة، وبينما كانت طائرات الاستكشاف البريطانية ترصد أرتال المدرعات الألمانية المتجمعة فى ناحية «غزالة» بحيث أصبح لدى «ريتس» اقتناع تام بأن رومل سوف يهاجم من تلك الناحية، فاستعد لصد الهجوم المنتظر، وبينما كان الجنرال الألمانى «كروفيل» الصديق الشخصى لرومل يقوم بالفعل بهجوم من أمام «عين الغزالة»، كانت قوة رومل الأساسية تظهر فجأة أمام «بير حكيم»، وقد ظهرت الحقيقة «لريتس» بعد فوات الأوان، إذ إن الأرتال التى رصدتها طائرته فى النهار كانت تعود أدراجها فى الليل، والدبابات التى رصدت تجمعاتها كانت من القماش، وسحب الغبار الكثيفة التى شاهدتها، كانت تثيرها محركات طائرات قديمة، وغير مستعملة رُكّبت فوق شاحنات وأديرت فأثارت تلك السحب من الغبار[2].

---

(١) الحرب العالمية الثانية ـ لريمون كارتيه تعريب سهيل سماحة وأنطوان مسعود ١ : ١٩٣ ـ ١٩٤.

(٢) الحرب العالمية الثانية مصدر سابق ـ تعريب سهيل سماحة وزميله ١ : ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

وهناك عملية تضليلية أخرى مماثلة قام بها الجنرال «أيزنهاور» فى أوروبا ففى شهر يونيو عام ١٩٤٥م شوهدت عمليات إنزال تقوم بها قوات الحلفاء على شاطئ «بادى كاليه»، ولم تكن هذه العمليات سوى مسرحية تضليلية قام بها «أيزنهاور» قائد جيوش الحلفاء فى تلك المنطقة حينذاك بغية صرف نظر الألمان عن موقع عمليات الإنزال الحقيقية.

وما كادت المخابرات الألمانية ـ يصل إلى مسامعها ذلك الإنزال حتى بادرت بإخبار قيادتها بذلك، عندها ثبّت الألمان عددًا كبيرًا من فرقهم عند شاطئ «بادى كاليه» شمالى نهر السين، وبعد ستة أسابيع فقط تمت بنجاح كبير، عمليات الإنزال الشهيرة على شاطئ «النور ماندى» بينما كانت قيادة الجيش الألمانى تصرّ على أن العمليات الحقيقية هى عمليات «بادى كاليه» فتمسك بقسم كبير من جيوشها عند هذا الشاطئ»[1].

هل قرأ هؤلاء القادة خطط الاستراتيجية الإسلامية..؟ وهل تدارسونها فى «الأكاديميات» التى أنشأوها لهذا الغرض، إن الاستعمار الأوروبى عندما أطبق على البلاد الإسلامية ـ وضع يده على الكثير من كتب التراث ومنها ما يتعلق بفنون الحرب وخطط المعارك ومن تلك الكتب التى نقلت إلى أوروبا ـ كتاب:« السير» لمحمد بن الحسن الشيبانى، وكتاب «الخراج»، لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم، وكتاب «الأم» لمحمد بن إدريس الشافعى، وكتاب «عيون الأخبار» لأبى محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، وكتاب «مختصر سياسة الحروب» للهرثمى ـ صاحب الخليفة المأمون، وكتاب «الأحكام السلطانية» لأبى الحسن

(١) الحرب العالمية الثانية ـ مصدر سابق ـ تعريب سهيل سماحة وزميله.

على بن محمد بن حبيب البصرى البغدادى، وكتاب «تبصرة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء» للطرسوسى، وكتاب «الفروسية» لابن القيم الجوزية. وغير ذلك كثير[1].

فهل قرأ هؤلاء القادة هذه الكتب وتتلمذوا عليها..؟ أم أن ذلك توارد خواطر..؟ ربما.

فى معركة اليرموك

اجتمع الروم فى اليرموك ونزلوا واديًا عسكروا على ضفته وجعلوه خندقًا بينهم وبين المسلمين فحاصرهم المسلمون عدة شهور ولا يقدر أحد الفريقين أن ينال من الآخر، فلما طال الأمر كتبوا إلى الخليفة يخبرونه بجموع الروم ويستمدونه المدد فكتب أبو بكر إلى خالد يأمره بإنقاذ جيش المسلمين على أرض اليرموك قائلاً: «سر حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك، وإياك أن تفتخر بعمل فإن الله له المنّ والفضل وهو ولى الجزاء»[2].

قرأ خالد كتاب الخليفة، فنهض للسمع والطاعة وطلب حذاق الأدلاء وقال لهم: «كيف لى بطريق أخرج فيه عن وراء جموع الروم..؟ فإنى إن استقبلتها حبستنى عن إنقاذ المسلمين».

فكلهم قالوا: لا نعرف إلا طريقًا لا يحمل الجيوش، يأخذه الفرد الراكب، والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه، وما يسلكها إلا مغرور، إنها لخمس ليال جياد لا يصاب فيها ماء مع مضلتها»[3].

---

(١) كل هذه المؤلفات توجد فى مكتبات «أوروبا» مخطوطة، وقد تم طبعها فى البلاد العربية ووضعت لها الفهارس الموضحة، وكثيرًا ما يرجع إليها الباحثون والمهتمون بالشئون السياسية والعسكرية.

(٢) ابن الأثير ـ مرجع سابق ـ وتاريخ الرسل والملوك ـ للطبرى مصدر سابق.

(٣) خالد بن الوليد: صادق عرجون ص ٢٥٢.

فأبى خالد إلا أن يسير فى هذا الطريق المهول، وهذه المفازة التى غامر خالد بنفسه وجيوشه فى قطعها من العراق إلى الشام ليخرج على الروم فلا يحبسه دونهم شىء وهى المعروفة الآن ببادية الشام[1].

هذه المخاطرة المهلكة التى غامرت بها القيادة الإسلامية نجد لها نظيرًا فى التاريخ العسكرى الحديث.

ففى عام ١٨٠٤ بعد أن تُوج «نابليون بونابرت» فى أوائل القرن التاسع عشر إمبراطورًا على فرنسا، استغل معاهدة «أميان» التى وقعت فى عام ١٨٠٢م ليجهِّز فى «بولونيا» وهى مرفأ على شاطئ المانش، أسطولاً ضخمًا سماه بـ «الجيش الكبير La grande armee وكان طموحه أن يُنزل هذا الجيش على الساحل الإنجليزى ليغزو به خصمه اللدود «إنجلترا» فى عقر دارها ولكن ما فتئ أن علم بأنباء الحلف الذى قام ضده، والذى جمع ما بين إنجلترا، والنمسا وروسيا، وأسوج، ونابولى، وهو ما سمى بالتحالف الثالث 3e Gcalition فقرر عند ذلك صرف النظر عن اجتياز المانش، واستبدل «فيينا» بلندن كهدف له ثم استدار ليواجه خصومه المتحالفين فى أوروبا الوسطى حيث هزم جيوشهم فى وقفتين شهيرتين هما «أولم» Ulm فى تشرين الأول من عام ١٨٠٥م و«أوسترليتز» Austerlitz فى كانون الأول من العام نفسه.

ولقد سلك نابليون للوصول إلى ميدان القتال فى «أولم»، ثم فى «أوسترليتز» خطة انتقال مدهشة لجيوش بلغ عددها أربعمائة

(١) قال الأستاذ عبد الوهاب عزام فى بحث له بعنوان «مهد العرب»: وفى هذا الجانب طريق السيارات بين دمشق وبغداد اليوم وهو زهاء ثمانمائة وستين ميلاً تقطعها السيارات فى عشرين ساعة مع الاستراحة - وهى البادية التى اخترقها سيدنا خالد بجيشه فى السنة الثانية عشرة من الهجرة عندما سار من العراق مددًا لجيوش العرب فى الشام فرمى بنفسه وجيشه فى بادية لاماء فيها، وأتى الروم من مأمنهم وفاجأهم بما لم يحتسبوا وقد قطعها فى خمسة أيام.

وخمسين ألف مقاتل موزعين ما بين أوروبا الغربية فى معسكر بولونيا Boulogne وفى بريطانيا Bretagne وهولندا، وهانوفر وإيطاليا وكورسيكا» بحيث يسلك معظم فيالق هذه الجيوش طرقًا وإن كانت آمنة نوعًا ما بين بولوينا وبريطانيا وباريس حتى نهر الرين عند «استر اسبورغ»، إلا أنها لن تظل كذلك بعد اجتياز الرين نحو بحر النيكر Neckar فى ألمانيا عند جبهة شتوتغارث ـ ورزبورغ Stuttgart-Wurzbourg وبعد اجتياز النيكر نحو نهر الدانوب عند جبهة هايدنهايم ودونوورث، وانفولستات. (Heidenheim - Donauwarth Yngolstadt)

إذ يغدو الانتقال فى هذه المناطق خطيرًا ومليئًا بالمفاجآت لأنه انتقال فى أرض العدو وقرب معسكراته وحشد قواته[1].

٣ ـ الخطة الإفراجية فى معركة اليرموك:

لقد أفرجت القيادة الإسلامية فى معركة اليرموك مخرجًا لفرسان الروم ليكون لهم بذلك مجال للهرب، وبهذه الخطة تم عزل مشاة الجيش عن قوتهم الضاربة، وتطويقهم ثم القضاء عليهم.

وهذه الخطة التى قدمتها الاستراتيجية الإسلامية فى القرن السابع الميلادى تم إعادة تنفيذها فى هذا القرن على يد القائد الألمانى «ليمان فون ساندرس» قائد الجبهة الفلسطينية، للجيوش الألمانية، والتركية المتحالفة فى الحرب العالمية الأولى.

من ذلك أنه فى معركة السلط شرقى نهر الأردن وفى شهر أيار عام ١٩١٨م استولت فرقة من خيالة الجيش الإنجليزى الذى كان بقيادة «اللنبى» على منطقة السلط، وطردت الحامية التركية منها.

(١) معارك خالد بن الوليد ـ مصدر سابق ـ للعميد الركن الدكتور ياسين سويد.

فقرر الجنرال الألمانى استردادها، فهاجم السلط بالجيش التركى الرابع وبفرقة الخيالة التركية الثالثة، هجومًا جبهيًا من الشرق، بينما كانت قوة تركية أخرى قد عبرت جسر «دامية» لتشد الخناق على الفرقة الإنجليزية المتمركزة فى هذا الموقع من الشمال والغرب.

ورغم أن تطويق هذه الفرقة كان من السهولة بمكان إلا أن القائد الألمانى فضل أن يفتح له فرجة ليسهل لها سبيل الانسحاب. وذلك للسبب الآتى:

١ - إنه ربما لا يقوى جيشه المتعب والمنهك على تحمل الضربات القاسية التى قد توجهها الخيالة المحاصرة إليه، مما يكبده خسائر فادحة، فآثر أن يستولى على الموقع سلمًا.

وهكذا فقد ترك للخيالة المحاصرة مجالاً للخلاص نفذت منه، وكان له ما أراد[1].

وأعتقد أنه ليس هناك غرابة، أو غضاضة أن يكون القائد الألمانى قد استفاد من الخطة التى وضعتها الاستراتيچية الإسلامية فى غزوة تبوك فى القرن السابع الميلادى لقهر قوة العدو المتمركزة على أرض الشام.

ومما يؤكد هذا الاحتمال: أن الچنرال الألمانى «غولتس» قائد إحدى الجبهات التركية الألمانية فى خلال الحرب العالمية الأولى قال عن خالد: «إنه أستاذى فى فن الحرب»[2].

---

(١) راجع محاضرة القائمقام أركان حرب أحمد اللحام الملحقة بكتاب: سيف الله خالد بن الوليد للأستاذ عمر كحالة نقلاً من كتاب: معارك خالد بن الوليد للعميد الركن الدكتور ياسين سويد ص ٣٢٧ - ٣٢٨ بتصرف.

(٢) فون در غولتس جنرال ألمانى ومؤلف كتاب: الأمة المسلحة، ولد عام ١٨٤٣م وكلف بمهمة تنظيم الجيش العثمانى عام ١٨٨٣ ثم قاد الجيشين التركيين الأول والسادس فى خلال الحرب العالمية الأولى ما بين العامين ١٩١٥ - ١٩١٦.

مبادئ الحرب فى الاستراتيجية الإسلامية[1]

اهتم كثير من العسكريين من مختلف المدارس العسكرية، فى العصر الحديث بدراسة مبادئ الحرب، ويأتى فى مقدمتهم «فون كلاوزفتر» و«هندرس» و«جومينى» و«نابليون» الذى قال: «إذا وجدت الوقت الكافى لدىّ فسوف أضع كتابًا أذكر فيه مبادئ الحرب بطريقة سهلة بسيطة لتكون تحت متناول أى جندى»، ومع ذلك فقد اختلف هؤلاء العسكريون فى مبادئ الحرب اختلافًا جوهريًا ونرى أن هذا الاختلاف يعود إلى عدة عوامل منها:

أولاً: طبيعة الدول واختلاف جغرافيتها، وتاريخها ومعتقدها عن مثيلاتها من الدول يساعد على ذلك.

ثانيًا: استراتيجيات المعارك وخبرات القادة من أكاديمية إلى أخرى لا شك أنه يوثر أيضًا ويساعد على التباين وعدم التقارب.

ثالثـًا: بناء الجيوش واختلاف التكتيكات والقواعد التى تتبع فى إعداد الجند ساعد فى توسيع شقة الاختلاف.

وإذا أردنا أن نتعرف على آراء قادة الجيوش، ووجهة نظر الكُتَّاب العسكريين نرى أن «كلاوزفتز» يضيف مبدأ التعاون إلى المبادئ المعروفة ويسقط فى الوقت نفسه مبدأ «المطاردة».

فى حين أن «هندرس» يصر على إضافة مبدأ المطاردة والتمسك به. وفى النهاية توصل الباحثون فى الآراء المتباينة، والدارسون لوجهات النظر المختلفة إلى تحديد مبادئ الحرب فى الآتى:

(١) عُرفت مبادئ الحرب بأنها المبادئ التى يهتدى بها القادة العظام فى التاريخ والتى أظهرت بالاختيار أنها ضمنت النجاح لمن يسير عليها، وعرفها الجنرال ويتلى بأنها الأساليب التى يمكن أن تكلل أعمال الجيش بالنجاح، والحقيقة أنها خلاصة التجارب الدقيقة للطرق التى اتبعها القادة فى حروبهم.

أولاً: الحشد:

وهو يعنى جمع أكبر قوة ممكنة من الجنود والعتاد فى مواجهة العدو. ولقد طبق هذا المبدأ بصورة واضحة فى حروب نابليون، وأيضًا فى المراحل الأولى من الحرب العالمية الثانية، حين غزت ألمانيا النازية بولندا وفرنسا ومنطقة غرب أوروبا.

وإذا أردنا أن نتعرف على موقف الاستراتيچية الإسلامية من الحشد نجد أن الرسول القائد قد استعمل مبدأ حشد القوى طيلة صراعه مع خصومه فى الجزيرة العربية، فكان بعد أن نزل قول الله تعالى:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾(١).

هذه الآية التى أذنت للمسلمين بالقتال يدفع إلى المعركة بكل المسلمين القادرين على حمل السلاح دون استثناء، وكان يحضهم إلى القتال ويدفعهم إليه، تنفيذًا لقوله تعالى:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٢).

ولام الله تعالى المتخلفين منهم والمتقاعسين بقوله:

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٩.
(٢) سورة التوبة آية رقم ٤١.
(٣) سورة التوبة آية رقم ٤٢.

وقال تعالى:

﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾[1].

ومنع الرسول عليه الصلاة والسلام من الصلاة عليهم إذا ماتوا بقوله:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾[2].

وقد حشد النبى فى غزواته أقصى ما عنده من وسائل فبينما نراه يحشد فى بدر ثلاثمائة مقاتل، نرى أن هذا العدد قد وصل فى فتح مكة إلى عشرة آلاف مقاتل، ولقد أخذ هذا المبدأ ينال اهتمامًا كبيرًا من القيادات التى جاءت بعد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فالخليفة الأول عند محاربته المرتدين حشد لهم أحد عشر لواء.

ويكفى أن الجيش الذى توجه به خالد بن الوليد لمحاربة مسيلمة الكذاب بلغ زهاء عشرة آلاف مقاتل[3].

وحشد أبو بكر أيضًا لفتح العراق جيشًا مؤلفًا من ثمانية عشر ألف مقاتل. وأما عمر فقد جعل هذا الحشد إجباريًا محتمًا على كل مسلم بالغ قادر، كما أمر عماله بألا يدعو أحدًا له فرس أو سلاح أو نجدة أو رأى إلا وجهوه إليه.

ولقد كان يتولى بنفسه إعداد الإمدادات وحث الناس والإشراف على تجهيزهم وتحركهم.

---

(١) سورة التوبة آية رقم ٤٦.
(٢) سورة التوبة آية رقم ٨٤.
(٣) ابن الأثير مصدر سابق والبداية والنهاية مصدر سابق ٦ : ٣١٦.

ومن إيمانه بمبدأ الحشد عرض على بنى بجيلة الربع من خمس ما يفىء الله على المسلمين إضافة إلى نصيبهم من الفىء.

يقول صاحب «فن إدارة المعركة»: «ولعمر خطوتان جديرتان بالذكر فى هذا المجال، أولاهما: أنه سمح لقائده المثنى بن حارثة خلال قتاله فى العراق أن يضم إلى قواته بعضًا من نصارى العرب المقيمين هناك كنصارى تغلب ونصارى بنى النمر، الذين قاتلوا بجانب المسلمين فى شجاعة نادرة حتى أن مهران الهمذانى قائد الفرس لقى مصرعه على يد واحد من نصارى تغلب.

وثانيهما: إنه سمح للمسلمين الذين كان قد جرفهم تيار الردة ثم عادوا إلى الإسلام بالمشاركة فى القتال أملاً فى أن يزيد حجم الحشد الإسلامى فى مواجهة عدو له تفوق بشرى كبير. وأن يمنحهم شرف القتال وأن يعطيهم فرصة للتكفير عن خطأ وقعوا فيه[1].

ثانيًا: مبدأ الاقتصاد بالقوى:

يقول العسكريون: يكسب المعركة من يحتفظ بآخر طلقة وآخر مقاتل ذلك هو مبدأ معروف - ويتزايد هذا المبدأ أهمية فى إطار الحرب طويلة الأمد وفى مناخ حروب الاستنزاف، وقد عرف قادة المسلمين دور اقتصاد الحرب لضمان التوازن، وحشد ما تتطلبه الحرب من وقود بما يتناسب وحجم هذه الحرب، من ذلك ما يأتى:

فى خلال الهجوم على دمشق وضع قائد المسلمين أبو عبيدة بن الجراح خطته على أساس أن يكون هناك هجوم عام شامل تقوم به قواته مباشرة على دمشق، ولكنه فى الوقت ذاته كان يدرك أن للعدو

(١) فن إدارة المعركة فى الحروب الإسلامية - محمد فرج - مصدر سابق ص ١٥٩.

قوات فى منطقة «فحل» وخشى أن تبادر هذه القوات إلى مشاركة قوة دمشق فى القتال ومعاونتها، وكان عليه حتى يتم فتح دمشق أن يمنع تقدم قوات «فحل» ولهذا أمر بعض رجاله بقيادة أبى الأعور السلمى[١] بمواجهة قوات الروم فى «فحل» ومنعها من مغادرة موقعها، وظلت هذه القوة تؤدى واجبها بكفاءة وأمانة حتى تم دخول القوة الضاربة للمسلمين دمشق وسقوطها فى أيديهم[٢].

وحين صدرت الأوامر إلى عمرو بن العاص باحتلال أجنادين لاحظ - وهو رجل حرب - أن أرطبون الروم قد وضع قوات له فى إيلياء، وفى الرملة، وكانت هذه القوات تمثل شوكة فى جانب جيشه - لذلك فصل قوتين صغيرتين عن جيشه تولى قيادة الأولى علقمة بن حكيم[٣] والثانية أبو أيوب المالكى[٤] وكلف الأولى بمواجهة قوة إيلياء والثانى بمواجهة قوة الرملة، وأمرهما بمنع أى تحرك لهما بقصد معاونة قوة أجنادين، ولو كلفهما ذلك اشتباكًا مسلحًا معهما، وبذلك تفرغت القوة الرئيسية من جيشه للعملية الرئيسية وهى الاستيلاء على أجنادين وهزيمة أرطبون، وتم للقوة الضاربة للمسلمين ما أرادت[٥].

ثالثًا: مبدأ المباغتة أو المفاجأة:

والمباغتة فى التعريف الحربى: هى فعل ما لا يتوقعه العدو بما يوقع الارتباك فى صفوفه ودفاعاته وفى تفكيره، فيشل ذلك التفكير، أو

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة.
(٢) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبدالبر - مصدر سابق -.
(٣) ترجمة وافية فى كتاب الإصابة فى تمييز الصحابة.
(٤) المصدر السابق.
(٥) معارك خالد بن الوليد للعميد الركن د. ياسين سويد.

يدفع صاحبه إلى أن يقدم على تصرفات غير مدروسة[1]، مثال ذلك أن يستخدم تكتيكًا غير متوقع أو يطور أسلوب القتال، أو استخدام سلاح جديد، أو تطوير استخدامه، وقد تتحقق المباغتة بالزمان أو المكان أو العدد أو كشف أسرار العدو، أو بالخداع أو المبادرة أو بالسرعة، والمرونة، أو باختيار الهدف، وقد أفردنا لها فصلاً مستقلاً نظرًا لأهمية المباغتة، وأثرها فى شل حركة العدو وتحقيق النصر.

رابعًا: أمن العمل:

تبقى وسيلة الاستراتيچية الإسلامية فى تحقيق أهدافها المرحلية هى الحرص المستمر على ضمان مبدأ العمل، وكان تحقيق هذا المبدأ يفرض على قائد المسلمين الحصول على المعلومات من المصادر المختلفة: مثل الاستطلاع وتنظيم شبكات الجاسوسية فى وسط قيادات العدو، والتوسع الكبير فى مفاوز الاستطلاع، واتخاذ تدابير الحماية لوقاية القوات وحرمان العدو من مباغتتها[2].

وعلاوة على ذلك فقد كانت هناك قوة جاهزة للتدخل باستمرار يطلق عليها اسم «الردء»، واجبها مجابهة قوات العدو والاشتباك معها ريثما تتمكن كتلة القوات الرئيسية من الاستعداد ودخول المعركة بطريقة منظمة، ويظهر بشكل واضح أن تدابير الحيطة كانت متكاملة فى كثير من المعارك التى خاضتها القوات الإسلامية، بحيث لم تترك ثغرة للعدو يمكن الإفادة منها، وبذلك أمكن إحباط كل مباغتة استهدفت أمن المسلمين.

---

(١) الطريق إلى المدائن د. أحمد عادل كمال - مصدر سابق ص ٣٣٦.

(٢) المظفر قطز: بسام العسيلى ص ١٦٧.

خامسًا: التعرض أو الهجوم:

والتعرض: خير وسائل الدفاع وهو يؤدى إلى كسب السيطرة ويمنح حرية العمل، ويلزم العدو باتخاذ خطة الدفاع، ويرفع من روح المقاتلين المعنوية فى الوقت الذى يضعف فيه روح الطرف الآخر.

والتعرض يقوم أساسًا على استخدام كل ما يمكن إعداده من سلاح وقوة بشرية وهو يتوقف على خفة الحركة وقوة العزيمة وإمكانية التحمل.

والمستعرض لتاريخ الاستراتيچية الإسلامية يرى أنها كانت فى الكثير من معاركها تستعمل مبدأ التعرض.

من ذلك ما حدث على أرض العراق حيث اجتاحوا الأرض بمن عليها وبدأها خالد بن الوليد فى الكواظم وأنهاها سعد بن أبى وقاص فى المدائن.

وفى مصر وشمال إفريقيا حيث انتصر عمرو بن العاص فى الفرما ثم توالت الانتصارات حتى دخل المسلمون بقيادة موسى بن نصير وطارق بن زياد الأندلس، وفى آسيا إذ وصلت قوة المسلمين الضاربة إلى بلاد السند والهند وجزائر المحيط الدافئ.

العوامل التى أدت إلى نجاح الاستراتيچية الإسلامية

ذكر أدوارد عطية أن نجاح حملات الفتح الإسلامى إنما ترجع إلى ثلاثة عوامل رئيسية:

أولاً: المعنوية العالية لأمة جديدة بعثتها عقيدة جديدة، ولا سيما بعد انتصاراتها الأولى.

ثانيـًا: عبقـرية أهم قائدين - خالد وعمـرو - اللذين كانت حمـلاتهما المذهلة فـى سـوريا والـعـراق ومـصـر، جـديرة بالوقـوف إلى جـوار أعظم الإنجازات الحربية لنابليون والإسكندر.

ثالثـًا: استخدامهم لتكتيكات واستـراتيجية جديدة مناسبـة بصورة مثيـرة للإعجاب للوسط الذى تحـركوا خلاله للانقضـاض على أعدائهم - ونعنى بهـا الصـحـراوات غيـر المطروقـة. وقد اشتملت تكتيكاتهم على استـخدام فعـال للفـرسـان التى لم يـعـرفهـا قط الرومـان والبـيـزنطيـون، بينمـا لعب الجمل فى استـراتيـجيـتهم دورًا فى منتهى الأهمية فى حمل الوحـدات عـبـر مـسـافات طويلة فى زمن قـصـيـر نسـبـيًا، حـتى كـانوا يتمكنون من الظهور فى نقـاط حـاسـمـة، على غيـر توقع، ظهورًا يـغـيـر الموقف تمامًا - كما حدث حين استجاب خالد لطلب العرب الذين كانوا يهـاجـمـون دمـشق، فـعـبـر إليـهـا من الـعـراق ووصـلهـا فـى أيام قليلة بالتعزيزات المطلوبة.

ويضاهى الأستاذ برنارد لويس استخدام العرب للصحراء باستخدام البريطانيين للبحر. فالصحراء كانت هى الوسط الطبيعى للعرب وكانوا يعرفون طريقهم فـيها حيث كان عدوهم يجهل ذلك، كانوا قادرين على أن يبزغوا فجـأة من خلال قفارها للقـيام بهجمة، وأن يتـلاشوا خـلالها كمـا ظهـروا للإفـلات من التـعـقب. وكانت الوحـدات التى أنشـأوا منهـا قـوتهم فى المناطق التى غـزوها بمـثـابة تجـهـيـزات اسـتـراتيـجـيـة على أهداب الصـحـراء مـعـادلة لمواقع جـبـل طارق ومـالطة وسنغـافـورة فى التاريخ البريطانى»[1].

(١) الطريق إلى المدائن. الدكتور عادل أحمد كمال نقلاً عن Eduard Atiyah The Arabs. P. 34

ونسى الكاتبان فى غمرة انبهارهما بهذه القوة الضاربة التى أطلت على الوجود فى لحظات الظلام الدامس الذى خيم على العالم والعقائد الزائفة التى ملأت قلوب معاصريه ما طرأ على أمة العرب من اعتناقها لآخر الرسالات السماوية، والتى نقلتهم، نقلة كبيرة من رعاة إبل وشاة، إلى أمة جديدة تهتدى عن طريق الوحى، ثم تعد إعدادًا متفردًا يليق بحملها هذه الرسالة ونقلها مباشرة إلى أركان الأرض الأربعة.

الفصل الثالث

الحرب النفسية فى حياة الأمم والشعوب

وتشمل الآتى:

١- الحرب النفسية عبر التاريخ.
٢- تعريف الحرب النفسية.
٣- أهداف الحرب النفسية.
٤- الحرب النفسية فى المعارك الإسلامية.
٥-قواعد الحرب النفسية.
٦- الحرب النفسية فى معركة القادسية.
٧- الحرب النفسية فى فتح مصر.
٨- طرق الوقاية من الحرب النفسية عند الاستراتيچية الإسلامية.

كثيرا ما غيرت الحرب النفسية وجه التاريخ..

تشرشل: الزعيم البريطانى

لكى تنتصر دولة ما فى حرب عليها أن تشن الحرب النفسية قبل أن تتحرك قواتها إلى ميدان القتال، وتظل هذه الحرب تساند هذه القوات حتى تنتهى من مهمتها ...

الجنرال ديجول: القائد الفرنسى

إن القائد الناجح هو الذى يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم....

روميل القائد الألمانى

الحرب النفسية فى حياة الأمم والشعوب

الحياة بكل أبعادها ليست سوى صراع وحرب، ومحاولة لنفض الصراع والصراع الذى يليه، وهذا ما يعبر عنه بمفهوم ديناميـة الصراعات النفسية، وخاصة ما يتضح بصورة جلية فى الفلسفات الوجودية منذ «نيتشه» حتى«سارتر»، وما يبرز خاصة فى المنطق الجدلى عند «هيجل» وصورته المادية لدى «ماركس»[1].

والحرب ليست حرب سلاح وقتال فقط، ولكن هناك أساليب أخرى لهزيمة العدو قد تكون أخطر من حرب السلاح، وهذا ما يطلق عليه الحرب النفسية أو الحرب الباردة.

الحرب النفسية عبر التاريخ ..

والحرب النفسية: قديمة قدم الجنس البشرى نفسه ومنذ القدم عرف رجال الدين، ورجال السياسة، ورجال الحرب سر الأقوال والأفعال التى تدفع الإنسان وتحركه.

ففى مصر القديمة: استخدم تحتمس الثالث الحيلة والخديعة والمفاجأة فى حروبه خاصة عند فتح يافا فى فلسطين.

---

(١) راجع جوردون البورت وليوبوستمان. سيكولوجية الإشاعة - ترجمة صلاح مخيمر، وعبده ميخائيل رزق - ط دار المعارف بمصر ١٩٦٤ ص ٨.

وفى الصين القديمة: استخدم العسكريون السحر والعرافة.وفى اليونان القديمة: استخدموا السباب والشتائم والتشهير السياسى للتأثير على الروح المعنوية للعدو.

وفى الحروب الإسلامية: استخدمت الحرب النفسية. فبعد وفاة الرسول ﷺ استغل الكفار هذا لإحداث الفرقة بين المسلمين ولكن أبا بكر رضي الله عنه قال:

«أيها الناس من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت، وذكر قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾(1).

وقال طارق بن زياد: أيها الجنود، العدو أمامكم والبحر وراءكم وليس لكم والله إلا الموت أو النصر.(2)

واستخدم المغول الجاسوسية، وأجاد التتار الحرب النفسية وكانوا أساتذة فيها والقراصنة أيضًا استخدموا الحرب النفسية البحرية.

والإنجليز، استخدموا الجاسوسية، والخلافات العقائدية والدعاية وسياسة «فرق تسد».

والفرنسيون ونابليون فى حملته على مصر ادعى أنه مسلم، ولقب نفسه حامى الإسلام. وقال: إننى أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم.

---

(1) سورة آل عمران آية رقم ١٤٤.

(2) راجع تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس د. السيد عبد العزيز سالم، ودولة الإسلام فى الأندلس: محمد عبد الله عنان.

وفى الحرب العالمية الأولى: تحولت الحرب النفسية من وسيلة عرضية إلى إدارة عسكرية رئيسية. وقيل: إن الحرب النفسية كانت السلاح الذى كسب الحرب. وبين الحربين العالميتين قام الإنجليز والألمان والروس والأمريكان بجهود كبيرة فى ميدان الحرب النفسية.

وفى الحرب العالمية الثانية: استخدم الذعر الكامل والانهيار العصبى وحرب الإعلام.

وبعد الحرب العالمية الثانية وحتى الآن أصبحت الحرب النفسية المستمرة لاهى حرب فعلية، ولا سلام حقيقى، إنها الحرب الباردة...؟»[1].

وإذا كان ذلك كذلك فما حقيقة الحرب النفسية...؟

تعريف الحرب النفسية

«يتفق كثير من العسكريين والسياسيين على أنها الاستخدام العلمى المنظم والمخطط للدعاية القوية بشتى الوسائل من الإذاعات والنشرات والصور والمحالفات العسكرية، ومناورات الجيوش وعقد المؤتمرات، وإرسال الشائعات وغيرها من الوسائل التى تستهدف قبل كل شىء التأثير على أفكار وآراء وعواطف ومواقف وسلوك شعوب الدول المعادية من أجل تحقيق السياسية العسكرية والقومية للدولة»[2].

بينما يرى البعض الآخر: أن الحرب النفسية هى حرب باردة: هى حرب أفكار تهدف الحصول على عقول الرجال وإخضاع إرادتهم.

---

(١) راجع علم النفس الاجتماعى د. حامد عبد السلام هارون أستاذ الصحة النفسية - جامعة عين شمس ط ٤ عالم الكتب - القاهرة ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

(٢) راجع نظرات فى الحرب الحديثة: الأستاذ صبحى عبد الحميد ص ٣٥، والرأى العام والحرب النفسية للدكتور مختار التهامى ص ١٢٥ - ١٢٩.

هى حرب «أيديولوجية» عقائدية. وهى حرب أعصاب، وهى حرب سياسية وهى حرب دعاية، هى حرب كلمات وإشاعات، هى حرب تزلزل العقول وتغير السلوك. وأخيرًا الحرب النفسية هى استخدام علم النفس بصفة خاصة لإحراز النصر.

وتعتبر الحرب النفسية أضمن سلاح تستخدمه الدول فى الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفعال فى قتال إرادة وتحطيم معنويات العدو والحصول على استسلامه، وينبغى ألا تكون حرب العدو النفسية سلاحًا مؤثرًا ويساعد على ذلك الدراية الواعية لأساليب العدو وأغراضه وكافة طرق الحرب النفسية الدفاعية[1].

بينما يصف الكتاب الذى أصدرته وزارة الحرب الأمريكية فى مارس عام ١٩٥٥م عن مفاهيم الحرب ومبادئ الحرب النفسية بأنها:

«الاستخدام المخطط وغيرها من الأعمال التى تستهدف قبل كل شىء التأثير على آراء وعواطف، ومواقف، وسلوك جماعات عدائية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق أهدافها القومية».

ويصف البريطانيون النشاط الذى يطلق عليه الأمريكيون اسم الحرب النفسية اسمًا آخر هو «الحرب السياسية»[2]

ويرى صاحب استراتيچية الإعلام العربى:

«أن الحرب النفسية شكل من أشكال الدعاية يقصد بها العدو الكف عن المقاومة، وإقناعك بأن الخير كل الخير فى الاستسلام والتسليم»[3].

---

(١) راجع علم النفس الاجتماعى مصدر سابق ص٣٥٤.

(٢) راجع الحرب النفسية صلاح نصر ج١. دار القاهرة للطباعة والنشر ١٩٧٢م ص ٩٣ - ٩٥.

(٣) استراتيچية الإعلام العربى السيد عليوة. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨ م ص ٨٢.

ويرى الدكتور مختار التهامى:

«أن الحرب النفسية استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة دول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية التى تستهدف جماعات معادية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها واتجاهاتها وسلوكها، بطريقة تساعد على تحقيق سياسة الدولة أو الدول المستخدمة لها ولأهدافها»[1].

ونستطيع أن نقول: إن الحرب النفسية بمعناها الضيق استخدام الدعاية ضد العدو مع إجراءات عملية أخرى ذات طبيعة عسكرية، أو اقتصادية أو سياسية مما تتطلبه الدعاية.

وأما معناها العام فهى تطبيق لبعض أجزاء علم النفس لمعاونة الجهود التى تبذل فى المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية.

ومن ثم نجد أن مدلولات الحرب النفسية واسعة متعددة لا يمكن تحديد مسئولياتها. فهناك الحرب النفسية التى تقوم بها القوات المسلحة أثناء العمليات، وتستخدم لتنفيذها أغلب وسائل الإعلام من إذاعة وطباعة ونشرات تسقطها الطائرات وذلك لتحقيق أهداف الحرب الحديثة.[2].

والحرب النفسية باعتبارها جزءًا من الحرب الشاملة تشن قبل الحرب وفى أثنائها وفى أعقابها.

وهى مجال الصراع المستمر بين الشعوب التى تناضل من أجل حريتها وتقدمها وتخلصها من يد الاستغلال والتخلف[3].

---

(١) راجع الرأى العام والحرب النفسية مصدر سابق ص١٢٥.

(٢) راجع نظرات فى الحرب الحديثة لصبحى عبدالحميد ص ٣٦ - ٣٧.

(٣) راجع الشائعات والضبط الاجتماعى: محمود أبو زيد، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ص ١٣٥.

ثم إن الحرب النفسية لا تخضع لرقابة القانون ولا لعادات الحرب أو نظام المعركة.

ولكنها عملية مستمرة وغالبًا يظهر نجاحها أو فشلها بعد شهور بل ربما بعد سنوات من تنفيذها.

ومع ذلك فإن النجاح يمكن أن يكون ساحقًا برغم صعوبة تقديره كميًا، كما أن الفشل قد يكون قاتلاً وإن كان غير ملموس، ولكن يمكن الكشف عنه وإدراكه، وإذا كان كذلك فما أهداف الحرب النفسية...؟

أهداف الحرب النفسية..

إن للحرب النفسية أهدافًا كثيرة. ونتائج باهرة وإذا كان ذلك كذلك فما أهداف الحرب النفسية؟

يمكن تلخيص الأهداف لهذه الحرب فى العناصر الآتية:

أولاً: تعمل الحرب النفسية على بث اليأس من النصر فى نفوس القوات المعادية، وذلك عن طريق المبالغة فى وصف القوة، وفى وصف الانتصارات والمبالغة فى وصف الهزائم، حتى يشعر العدو أنه أمام قوة لا تقهر، واستخدام مبدأ الحشد فى عدد الطائرات والدبابات، والصواريخ والتلويح بالتفوق العلمى والتكنولوجى.

ثانيًا: تشجيع أفراد القوات المعادية على الاستسلام وذلك عن طريق توجيه نداءات إلى القوات المحاربة للعدو بواسطة مكبرات الصوت قبل أن يبدأ الهجوم - تدعوهم إلى الاستسلام وعدم المقاومة، وتوزيع منشورات تحتوى على حيل مختلفة لتشجيع الاستسلام.

ثالثًا: زعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه، وذلك عن طريق إثبات استحالة تحقيق هذه المبادئ أو الأهداف، وتصوير المبادئ والأهداف على غير حقيقتها، وتضخيم الأخطاء التى تقع عند محاولة تحقيق هذه المبادئ والأهداف.

رابعًا: إضعاف الجبهة الداخلية للعدو، وإحداث ثغرات داخلها، وذلك عن طريق إظهار عجز النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية عن تحقيق آمال الجماهير، والضغط الاقتصادى على حكومة العدو حتى ينهار النظام الاقتصادى.

خامسًا: تشكيك الجماهير فى ثقتها بقيادتها السياسية، وتشكيك الجماهير فى قدرة قواتها المسلحة وباقى قطاعات الشعب المدنية. وإيجاد التفرقة بين القوات المسلحة وباقى قطاعات الشعب المدنية. والدس والوقيعة بين طوائف الشعب المختلفة.

سادسًا: تفتيت وحدة الجبهة القومية والعالمية المعادية، وذلك عن طريق التشكيك فى أهداف التعاون بين أعضاء هذه الجبهة وتشجيع بعض أعضاء الجبهة على الخروج على ما تجمع عليه الغالبية، وإثارة المخاوف بين أعضاء الجبهة من بعضهم البعض.

إن هذه العناصر هى أهم أهداف الحرب النفسية فى عالمنا المعاصر فهل عرفت الاستراتيچية الإسلامية الحرب النفسية بهذه الأهداف؟ هل قامت القوة الضاربة الإسلامية بهذا التكتيك والتخطيط لهزيمة الأعداء دون إشعال المعارك، وإعلان الحروب..؟

ونستطيع أن نقرر أن الحرب النفسية بهذا الاصطلاح لم تكن معروفة عند قادة الإسلام.

ولكنها كانت معروفة ببعض مضامينها ومفاهيمها التى نعرفها بها اليوم. وقد مارسها القادة الأول مع أعدائهم ومارسها الأعداء معهم. والمستعرض لآيات القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، يرى صورًا من الحرب النفسية، التى مارسها كل من الفريقين نحو الآخر. وإذا كان ذلك كذلك فيطيب لنا أن نتعرف على أهداف الحرب النفسية فى تاريخ المعارك الإسلامية.

الحرب النفسية فى المعارك الإسلامية

لقد قامت الحرب النفسية التى واجه المسلمون بها أعداءهم فى صدر الإسلام على قواعد ثلاث:

أولاً: الإرهاق النفسى للعدو.

ثانيًا: التعبئة الروحية أو النفسية.

ثالثًا: المقاومة للحرب النفسية التى يشنها الأعداء.

والقاعدة الأولى: تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ - تخذيل العدو وتثبيطه.

ب - بث الرعب والفزع فى قلوب الأعداء.

ج - التمويه على الأعداء.

أ: والقسم الأول: حدث فى حياة الرسول ﷺ ومارسه المسلمون بعد موته.

من ذلك ما حدث من التحالف بين يهود المدينة وبين قريش وغطفان، وما كان من محاصرة المدينة بجيش الأعداء بعد أن حفر

المسلمون حولها الخندق، ولقد فشلت قوة العدو فى اختراقه، لعمقه واتساعه، والقوة الضاربة التى كانت تقوم على حراسته.

ولقد طال حصار الأعداء الأمر الذى حير المسلمين وأربكهم، وأدخل الرعب فى قلوبهم.(1) ويصور القرآن الكريم ما حل بالمسلمين فى ذلك الوقت بقوله تعالى:

﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ⑨ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾(2).

إنها صورة الهول الذى روع المدينة، والكرب الذى شملها. والذى لم ينجُ منه أحد من أهلها وقد أطبق عليها المشركون من قريش وغطفان، واليهود من بنى قريظة من كل جانب. من أعلاها ومن أسفلها. فلا يختلف الشعور بالكرب والهول فى قلب عن قلب.

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة. لتظاهر عدوهم عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم.

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر(3) «من غطفان» أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى قد أسلمت. وإن قومى لم يعلموا بإسلامى، فمُرنى بما شئت.

---

(1) راجع غزوة الخندق فى سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٢١ والبداية والنهاية لابن كثير ج (ص) ، وتاريخ الإمام الطبرى ج ٤ ص١٨ وفتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر ج ص .

(2) سورة الأحزاب آية رقم ٩ - ١٠.

(3) هو نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعى: صحابى من ذوى العقل الراجح توفى فى خلافة عثمان بن عفان نحو سنة ٣٠ هـ.

فقال رسول الله ﷺ:

(إنما أنت فينا رجل واحد فخذل[١] عنا إن استطعت فإنما الحرب خدعة)[٢].

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بنى قريظة، وكان لهم نديمًا فى الجاهلية فقال: يا بنى قريظة، قد عرفتم ودى إياكم، وخاصة مابينى وبينكم. قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشًا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره. فليسوا كأنتم. فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم، ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه.

فقالوا له: لقد أشرت بالرأى.

ثم خرج نعيم حتى أتى قريشًا فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودّى لكم وفراقى محمدًا، وأنه قد بلغنى أمرًا قد رأيت على حقًا أن أبلغكموه نصحًا لكم. فاكتموا عنى.

فقالوا: نفعل.

---

(١) خذل عنا: ادخل بين القوم حتى يخذل بعضهم بعضًا.

(٢) الحديث رواه البخارى فى الجهاد ١٥٧ وسنن الترمذى فى الجهاد، وابن ماجه فى الجهاد ٢٨، وأحمد بن حنبل فى المسند ١ : ٨١، ٩٠، ١١٣ (حلبى).

قال: تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين - من قريش وغطفان - رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم..؟

فأرسل إليهم: أن نعم.

فإن بعث إليكم اليهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحدًا.

ثم أتى غطفان فقال: يا معشر غطفان، إنكم أهلى وعشيرتى، وأحب الناس إلىَّ، ولا أراكم تتهمونى.

قالوا: صدقت، ما أنت عندنا بمتهم.

قال: فاكتموا عنى.

قالوا: نفعل فما أمرك..؟

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم.

فلما كانت ليلة السبت من شهر شوال سنة خمس من الهجرة، أرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل[1] فى نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم:

«إنا لسنا بدار مقام، قد هلك الخف[2] والحافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ ما بيننا وبينه».

---

(١) هو عكرمة بن أبى جهل عمرو بن هشام من صناديد قريش فى الجاهلية والإسلام أسلم بعد فتح مكة وحسن إسلامه استشهد فى اليرموك وعمره ٦٢ عامًا ١٣ هـ.

(٢) يريد بالخف: الإبل، وبالحافر: الخيل.

فأرسلوا إليهم. إن اليوم يوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا، فأصابه ما لم يخف عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا، فإننا نخشى إن ضرستكم[1]. الحرب، واشتد عليكم القتال أن تشمروا[2] إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك منه. فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة، قالت قريش وغطفان:

«والله إن الذى حدثكم نعيم بن مسعود لحق».

فأرسلوا إلى بنى قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحدًا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا.

فقالت بنو قريظة: إن الذى ذكر نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن رأوا فرصة انتهزوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل فى بلدكم، فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنا والله لا نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا. فأبوا عليهم ذلك.

وخذل الله بينهم، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد، فجعلت تكفأ قدورهم[3]، وتطرح أبنيتهم.[4]

---

(١) ضرستكم الحرب: نالت منكم كما يصاب ذو الأضراس بأضراسه.

(٢) أن تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم.

(٣) تكفأ قدورهم: تميلها وتقلبها.

(٤) راجع سيرة ابن هشام ٢: ٢٢٩ - ٢٣١، وطبقات ابن سعد ٤: ١٩ - ٢٠، وتاريخ الطبرى ج ٣ ص٧٦.

ب: بث الرعب والفزع فى قلوب الأعداء.

ويكون ذلك بضربة قاصمة لفريق منهم تنخلع لها قلوب من ورائهم خوفًا وهلعًا وفى ذلك يقول الله تعالى مخاطبًا رسول ﷺ : -

﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾(1).

إن هذا النص يرسم صورة للأخذ المفزع، والهول المرعب، الذى يكفى السماع به للهرب والشرود، فما بال من يحل به هذا العذاب، إنها الضربة المروعة يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يأخذ بها هؤلاء الذين مردوا على نقض العهد، وانطلقوا من ضوابط الإنسان. ليؤمن المعسكر أولاً، وليدمر هيبة الخارجين عليه أخيرًا، وليمنع كائنًا من كان أن يجرؤ على التفكير فى الوقوف فى وجه المد الإسلامى من قريب أو من بعيد. لابد للمعسكر الإسلامى: من هيبة، ولابد له من قوة، ولابد له من سطوة، ولا بد له من الرعب الذى يزلزل الطواغيت حتى لا تقف للمد الإسلامى.

الحرب النفسية

فى معركة القادسية

ومن أمثلة ذلك ما حدث فى معركة القادسية: حيث وصل الجيش الإسلامى إلى مشارف العراق، وعلم رستم بوصول الأسد فى براثنه سعد بن أبى وقاص، فزحف إليه بجيشه ومعداته وأفياله وعيونه، ولما كان قريبًا منه أرسل إلى سعد: أن أبعث إلينا رجلاً نكلمه ويكلمنا.

---

(1) سورة الأنفال آية رقم ٥٧.

إن اختيار رجل لهذه المهمة مهمة السفارة بين الجيشين فى وقت الحرب لا يقل خطورة عن الحرب نفسها فى بعض الأحيان، إذ يتوقف على هذه السفارة سير المعركة.

وتلفت سعد حوله يبحث عن هذا الذى يقوم بهذه السفارة، ولم يكن بعيدًا عنه إنه ربعى بن عامر، أحد رجاله الأبطال.

واعلم رستم بمجيئه فأظهر زينته وجلس على سرير من ذهب وبسط البسط والنمارق.

وأقبل ربعى على فرسه وسيفه فى جرابه، ورمحه مشدود بعصب، فلما انتهى إلى البسط قيل له: انزل من على فرسك.

فجعل فرسه على البسط ونزل، وربطها بوسادتين، وأدخل الحبل فيهما.

فقالوا: ضع سلاحك.

فقال: لم آتكم فأضع سلاحى بأمركم، أنتم دعوتمونى.

فأخبروا رستم بذلك. فقال: أئذنوا له.

فأقبل يتوكأ على رمحه ويقارب بين خطوه فلم يدع لهم فرشًا ولا بساطًا إلا أفسده وهتكه.

فلما دنا من رستم جلس على الأرض وركز رمحه على البسط.

قيل له: ما حملك على هذا..؟

قال: إنا لا نستحب القعود على زينتكم.

فقال له الترجمان: ما جاء بكم..؟

قال: الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من يشاء من عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه وتركناه وأرضه دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة أو النص.

فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟

قال: نعم، وإن مما سنَّ لنا رسول الله ﷺ ألا نمكن الأعداء أكثر من ثلاثة أيام فنحن منتظرون هذه الثلاث.

فانظر فى أمرك، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل:

إما الإسلام وندعك وأرضك.

أو الجزية فنقبلها ونكف عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك.

أو القتال فى اليوم الرابع إلا أن تبدأها أنت، وأنا كفيل بذلك عن أصحابى.

قال: أسيدهم أنت..؟

قال: لا . ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض يجير أدناهم على أعلاهم».

هل رأيتم كلامًا أعز وأوضح من كلام هذا الرجل..؟

هكذا قال رستم لأتباعه.

مرحى يا بطل القادسية، ما أقدرك على اختيار رجالك.

من علم أبناء الصحراء هذه الحرب النفسية التى تضعف عزيمة الأعداء..؟

من أدب أبناء الصحراء، بهذا الأدب الجم، الأدب مع الله تعالى..؟

الأدب الذى يجعل هذا السفير يقول: الله جاء بنا.

لم تكن الغارة على تلك البلاد من أنفسهم، ولم يكن التوغل فى أرض الله رغبة عند حكامهم ولكن الأمر هو أمر الله.

إنهم يدعون إلى دين جديد، دين الإسلام والسلام، فليس فيه قهر لأحد لكى يعتنقه.

ولا مذلة لإنسان ليدخل فى رحابه.

ولكن كما يقول ربعى: لنخرج من شاء من عباده.

يشاء هو ويريد هو.

لا كما يشاء غيره ويريد.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[1]

وقال أيضًا: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[2]

إذًا إن شنت الحرب فتشن على هؤلاء الطغاة والجبارين الذين يقفون فى وجه أتباعهم ويحولون بينهم وبين اعتناق هذا الدين، فإذا دخل الناس فى دين الله واعتنقوا الإسلام.

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٥.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

عندها فلا حرب ولا قتال، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم.

فلما كان من الغد أرسل رستم إلى سعد أن ابعث إلينا ذلك الرجل.

فبعث إليهم حذيفة بن محصن. فأقبل فى نحو من ذلك ولم ينزل عن فرسه ووقف على رستم واقفًا.

قال له: انزل.

قال: لا أفعل..؟؟

فقال له: ما جاء بك ولم يجئ الأول..؟

قال له: إن أميرنا يجب أن يعدل بيننا فى الشدة والرخاء وهذه نوبتى.

فقال: ما جاء بكم ..؟ فأجابه بمثل ما أجابه الأول.

فقال رستم: أو الموادعة إلى يوما ما ..؟

قال: نعم: ثلاثًا من أمس، فرده رستم وأقبل على أصحابه.

وقال: ويحكم أما ترون ما أرى..؟

جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا وحقر ما نعظِّم، وأقام فرسه على زبرجدنا، وجاء هذا اليوم فوقف علينا، وهو فى يمن الطائر يقوم على أرضنا دوننا[1].

والحق يقال: إنها لم تكن سفارة بين جيشين.

---

(١) راجع الكامل لابن الأثير ج٢ ص ٤٦٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص ٤٠.

ولم يكن تفاوضًا فى أمر الحرب أو السلام.

ولكنها كانت حربًا حقيقية يرسل سعد كل يوم جيشًا فى صورة رجل واحد فيحطم معنويات هؤلاء القادة ثم يعود من حيث أتى.

وهكذا يجب أن تكون القيادة أن يدخر جيشه ومعداته حتى يستولى على قلاع المقاومة فى داخل نفوس الأعداء، وهذا أخطر أنواع القلاع، فإن استسلمت، كان عمل الجيش بعد ذلك تطهير الأرض من هذا التجمع والركام، وهذا ما فعله سعد قائد معركة القادسية.

فلما كان الغد قال رستم: ابعثوا إلينا رجلاً نكلمه.

فبعث سعد إليه المغيرة بن شعبة، فأقبل إليهم، وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب، وسار المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره.

فوثبوا عليه وأنزلوه.

فقال: قد كانت تبلغنا عنكم الأحلام، ولا أرى قومًا أسفه منكم، إنا معشر العرب لا يستعبد بعضنا بعضًا، فظننت أنكم كذلك وتواسون قومكم كما نتواس، فكان أحسن من الذى صنعتم أن تخبرونى أن بعضكم أربابًا لبعض. فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد.

وإنى لم آتكم ولكن دعوتمونى. اليوم علمت أنكم منهزمون، إن ملكًا لا يمكن أن يقوم على هذه العبودية ولا هذه العقول[1].

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٧: ٤٠، والكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢: ٤٦٤.

أرأيتم ماذا فعل هذا الجيش الثالث..؟

لقد كانت له خطة محكمة ، إذا كانت مهمة السفير الأول ربعى بن عامر والسفير الثانى حذيفة بن محصن هى تحطيم المقاومة الداخلية عند هؤلاء القادة، وشحنهم نفسانيًا، بأنهم لا قبل لهم بهؤلاء الرجال.

فإن مهمة هذا السفير الثالث: كانت هى إيجاد شرخ فى صفوف هؤلاء المقاتلين. إنهم سادة وعبيد، وقادة ومقودين.

إنهم يستعبدون بعضهم البعض، ويستذلون الضعفاء منهم ولا يعطونهم إلا أقل القليل.

إن هذا السفير الثالث يقول لجنود الأعداء: ثوروا على هؤلاء الذين يحرمونكم حق الحياة.

ثوروا على هؤلاء الذين يستعبدونكم بالباطل.

حطموا هؤلاء الجلادين.

إن ديننا لا يسمح بهذه الفرقة أو التفاضل.

إننا لم نأت لمغنم أو طمع فى عرض من أعراض الحياة، وإنما جئنا لكم أنتم لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

ومن ضيق الدنيا إلى سعتها. ومن ظلم الحكام إلى سماحة الإسلام. وتحقق ما أراده المغيرة بن شعبة. حتى قال بعض الجنود: صدق والله هذا العربى.

وقال ملوكهم: والله لقد رمى هذا السفير بكلام لا تزال عبيدنا يتطلعون إليه. قاتل الله أولينا حين كانوا يصغرون من شأن هؤلاء الرجال[1].

(١) المصدر السابق.

ثم ماذا..؟

كانت المعركة وعندها فرَّ هؤلاء الجنود بعد أن هزموا من الداخل. وتحقق النصر لهؤلاء الرجال الذين قادوا الحرب النفسية قبل الحرب الحقيقية: بمهارة فائقة وحسن تدبير.

ويطيب لنا تتمة لهذا التكتيك الحربى الكبير أن نتعرف على موقف القائد العام للدولة الإسلامية فى ذلك الوقت.

إن أوثق المصادر التاريخية تقول: إن القائد: عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان كل يوم يخرج إلى الطريق العام التى يمتد بعد حدود المدينة، يسأل الركبان والتجار من حين يصبح عن سير المعركة فى القادسية.

وعن الروح العامة التى تسيطر على المسلمين، هناك فى تلك البقعة النائية البعيدة، والتى جمع جيشها كل ماعرفه العقل البشرى فى ذلك الوقت من أسلحة وعتاد.

ويستمر عمر فى ذلك لا يمل من السؤال حتى ينتصف النهار، ثم يرجع إلى أهله ومنزله حتى كان يوم الْتقى بالبشير رسول جيش المسلمين.

وسأله من أين..؟

فأخبره البشير عن الوجهة التى أتى منها.

قال عمر للبشير وهو يسرع السير إلى دار الإمارة - يا عبد الله، حدثنى..؟

قال البشير: هُزم المشركون.

قال ذلك، وعمر يسرع الخطو خلفه يسأله، والآخر يسير بناقته مسرعًا إلى دار الإمارة.

حتى دخل المدينة، وعمر يجرى خلفه، وإذا الناس يسلمون على عمر بقولهم: يا أمير المؤمنين.

قال البشير: هلا أخبرتنى - رحمك الله - أنك أمير المؤمنين.

فقال عمر: لا بأس عليك يا أخى.

فتح مصر والحرب النفسية

ومن أمثلة ذلك ما حدث فى فتح مصر؛ فقد علم المقوقس بحصار الجيش الإسلامى لبلده الكنانة، فأرسل إلى قائد الجيش عمرو بن العاص رسله يسأله ماذا يريد بهذا الحصار..؟

قال: عمرو لرسل المقوقس: ليس بينى وبينكم خصومة أو عداء، ولكنى أدعوكم إلى ثلاث خصال:

أ ـ الدخول فى دين الإسلام والإقرار بالتوحيد.

ب ـ دفع الجزية إن رفضتم الإسلام ولم تدخلوا فيه.

ج ـ أو الحرب حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين.

فلما جاءت رسل المقوقس إليه. قال: كيف رأيتم جنود عمرو..؟

قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة.

والتواضع أحب إليهم من الرفعة

ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة.

وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون فى صلاتهم.

فقال المقوقس: والذى يحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، ولا يقوى على قتال هؤلاء أحد، ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم.

ثم إن المقوقس رد عليهم رسله وقال:

«ابعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عسى أن يكون فيه صلاح لنا ولكم».

يقول المقداد: فأرسلنا إلى المقوقس وكنا عشرة من صحابة الرسول ﷺ أحدنا عبادة بن الصامت، وأمر عمرو بن العاص أن يكون عبادة المتكلم بلساننا وألا نجيبهم إلى شىء دعونا إليه إلا إحدى هذه الثلاث خصال.

يقول المقداد: وكان عبادة أسود طوله عشرة أشبار، فلما ركبنا السفن إلى المقوقس، ودخلنا عليه تقدم عبادة، فهابه المقوقس لسواده، فقال: «ابعدوا» عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى.

فقلت: إن هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا وهو سيدنا وخيرنا المقدم علينا وإنا جميعًا نرجع إلى قوله وقد أمَّره الأمير علينا.

فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمنى برفق، فإنى أهاب سوادك.

وإن اشتد علىَّ كلامك ازددت لك هيبة.

فتقدم إليه عبادة فقال:

«لقد سمعت مقالتك وإن فيمن خلَّفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشد سوادًا منى وأفظع منظرًا، ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى، وأنا قد وليت وأدبر شبابى، وإنى مع ذلك - بحمد الله - ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعًا، وكذلك أصحابى وذلك إنما رغبتنا وبغيتنا الجهاد فى سبيل الله تعالى، واتباع رضوان الله».

وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى الدنيا، ولا طلبًا للاستكثار منها إلا أن الله قد أحل ذلك لنا، وجعل ما غنمنا من ذلك

حلالاً، وما يبالى أحدنا أكان له قنطارًا من ذهب، أم كان لا يملك إلا درهمًا؛ لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته، وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله تعالى. واقتصر على هذا الذى بيده؛ لأن نعيم الدنيا ورخاءها ليس برخاء. إنما النعيم والرخاء فى الآخرة.

بذلك أمرنا ربنا وأمر به نبينا، وعهد إلينا ألا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا فيما يمسك جوعته، ويستر عورته، وتكون همته وشغله فى رضا ربه وجهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله:

«هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط..؟ لقد هبت منظره. وإن قوله لأهيب عندى من منظره».

إن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض، وما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها.

إنها الحرب النفسية التى شنها عبادة على المقوقس ورجاله فكان لها ما بعدها من الخوف والفزع حتى إذا قامت الحرب واشتد أوارها. وتلاقى الجمعان فروا كما تفر الجرذان إلى جحورها.

ونتساءل من كان يتصور أن هؤلاء الرجال الذين خرجتهم البادية، وقست عليهم ظروف الطبيعة، وعاشوا حياتهم الجاهلية بعيدين عن خدع الحرب، ومعرفة خبايا النفوس، تكون لهم القدرة الفائقة على الحرب النفسية التى شنها عبادة بن الصامت على عظيم مصر، فقضى على كل مقاومة عنده. وملأ نفسيته بالرعب والفزع، وإذا ما وصل قائد من قادة الجيوش أو الدول إلى هذه الحالة من الاضطراب والهول، فقد خسر المعركة وهزمت بلاده، أما ما جاء بعد ذلك فهى

كتوسلات المقتول إلى قاتله أن يترفق به فى ذبحه، ويحد شفرته حتى لا يحس بألم القتل(١).

وتمت سفارة عبادة بن الصامت، وعاد إلى عمرو بن العاص يزف إليه بشرى فتح مصر بعد أن خرَّب نفسية القائد، وقضى على كل إرادة عنده أو عند قادة جيشه.

ج : التمويه:

وهذا لون من ألوان الحرب النفسية استخدمته الاستراتيچية الإسلامية للتأثير فى معنويات أعدائهم، فكانوا يكثرون من إيقاد النيران ليلاً بكثرة ليظهر للعدو حجم الجيش الإسلامى أكبر من عدده، وأنه مكون من أعداد هائلة لا قبل لهم بها.

ولقد أُتبع ذلك «التكتيك» عند فتح مكة حيث أوقفت القوة الضاربة للمسلمين أبا سفيان قائد جيش الشرك فى مكان ضيق، وأخذت كتائب الجيش الإسلامى تمر من أمامه على شكل وحدات، فبهرت هذه القوة الممتدة أبا سفيان وأسقط فى يده حتى إذا مر الرسول ﷺ فى كتيبته الخضراء يحيط به المهاجرون والأنصار ولا يرى منهم إلا الحدق من الحديد.

قال أبوسفيان - سبحان الله - يا عباس من هؤلاء..؟

قال العباس: هذا رسول الله ﷺ فى المهاجرين والأنصار قال عندها: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة.

إن هذه القوات المتلاحقة فى صفوف ممتدة أدخلت الرعب والفزع، وقضت على كل مقاومة فى قلب القائد. ولذلك عندما دخلت هذه القوة إلى مكة لم تجد مقاومة تذكر إلا مناوشة من هنا وأخرى من هناك.

---

(١) راجع رجال أنزل الله فيهم قرآنا ج٢ ص ١٥٦ - ١٥٩ للدكتور عبدالرحمن عميرة.

لقد فعلت الحرب النفسية التى أطلقها المسلمون عن طريق التمويه وتصوير قوتهم الضاربة بالقوة التى لا تقهر إلى يأس وهزيمة فى قلوب الأعداء فألقوا أسلحتهم، واستسلموا للقوة الجديدة. التى عملت على إشاعة العدل فى الأرض بعد أن ملئت بالجور.

القاعدة الثانية: التعبئة الروحية أو النفسية للجيش الإسلامى وتشمل الآتى:

أ. إذكاء الروح القتالية فى قلوب المؤمنين.

ب. الترغيب فى طلب الشهادة فى سبيل الله.

ج. التهوين من شأن العدو.

وسنحاول بمشيئة الله أن نتناول كل عنصر من هذه العناصر بالبيان والتوضيح:

أولاً: إذكاء الروح القتالية فى قلوب المؤمنين. من ذلك قول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(1)

لقد كانت هذه الآيات تطرق قلوب مستمعيها الأولين. على عهد رسول الله ﷺ فتتحول من فورها فى القلوب المؤمنة إلى واقع من واقع حياتهم، ولم تكن مجرد معان يتملونها بأذهانهم، أو يحسونها مجردة فى مشاعرهم. كانوا يتلقونها للعمل المباشر بها، لتحويلها إلى حركة

---

(1) سورة التوبة آية رقم ١١١.

منظورة، لا إلى صورة متأملة، هكذا أدركها عبدالله بن رواحة رضى الله عنه فى بيعة العقبة الثانية.

قال عبدالله بن رواحة لرسول الله ﷺ: - يعنى ليلة العقبة - اشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال: أشترط لربى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأشترط لنفسى أن تمنعونى مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم.

قال: فما لنا إذا نحن فعلنا ذلك..؟

قال: الجنة..

قالوا: ربح البيع «ولا نقيل ولا نستقيل»[1].

وقوله تعالى:

﴿أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]

فالخطاب للمؤمنين وفيه الحث لإذكاء الروح القتالية لدى الجند وكأنه يقول: ألا تقاتلون قومًا بدءوكم أول مرة بالأذى والقتال فهم المعتدون البادئون أتخشونهم..؟ فتنامول على الضيم وتنسوا مكرهم بالرسول ﷺ وتبيتوا على الحذر والقلق خوفًا وخشية..؟

---

(١) راجع البداية والنهاية لابن كثير ص ٢ : ١١٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٣ - ١٥.

قاتلوهم يجعلكم الله ستار قدرته، وأداء مشيئته، وينصركم عليهم ويشف صدور جماعة المؤمنين.

ومن إذكاء الروح القتالية فى نفوس الجند قول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه البيهقى عن عتبة بن عبدالله السلمى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: القتلى ثلاثة.

رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتلهم حتى يقتل. ذلك الشهيد الممتحن، فى خيمة الله تحت عرشه، لا يفضله النبيون إلا بدرجة النبوة.

ورجل مؤمن اقترف(١) على نفسه من الذنوب والخطايا. جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل فتلك قتلة(٢) محت ذنوبه وخطاياه إن السيف محاء للخطايا، وأُدخل من أبواب الجنة أيها شاء. فإن لها ثمانية أبواب. ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أسفل من بعض.

ورجل منافق جاهد بنفسه وماله فى سبيل الله حتى إذا لقى العدو قاتل حتى يقتل فذلك فى النار، إن السيف لا يمحو النفاق(٣).

ب : إبراز شرف الشهادة فى سبيل الله تعالى:

من ذلك أن النبى ﷺ كان يهيئ أصحابه للقتال ويحرض جيش المسلمين فى غزوة بدر ويقول:

---

(١) يقال قرف الذنب واقترفه: إذا كسبه وعمله وأتى به.

(٢) فى الأصل ١٢٤ «مصمصة» مطهرة من الدنس والخطايا.

(٣) الحديث رواه الدرامى ٢ : ٢٠٦، والبيهقى ٩ : ١٦٤، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٥ : ٢٩١.

(والذى نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبًا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة)[١].

وما كاد المسلمون يسمعون حديث الرسول ﷺ حتى حرص كل منهم على القتال حتى ينال الشهادة. من ذلك أن عمير بن الحمام كان واقفا فى الصف، وفى يده تمرات يريد أكلهن ولكنه بعد أن سمع كلام الرسول ﷺ قذف بهذه التمرات قائلا: «بخ بخ[٢] فما بينى وبين الجنة إلا أن يقتلنى هؤلاء، ثم أخذ سيفه وانغمر فى صفوف المشركين يقاتل حتى قتل»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة فتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم قالوا:

من مبلغ إخواننا عنا أنا أحياء فى الجنة نرزق، لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا يتكلوا عند الحرب..؟)

فقال الله سبحانه وتعالى: أنا أبلغهم عنكم[٤] فأنزل الله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[٥].

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ١ : ٦٢٧.

(٢) بخ كلمة تقال عند المدح واستحسان الشىء والإعجاب به.

(٣) وراجع سيرة ابن هشام ج اص ٦٣٠، والطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٣٩٦.

(٤) أخرجه أبو داود فى سننه والمستدرك على الصحيحين للحاكم ٢ : ٨٨.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩.

وبهذا سلك القرآن الكريم طريقًا يعيد الطمأنينة إلى النفوس، ويهدئ من اضطرابها فيعطيها وثيقة بالحياة بعد الموت.

وبذلك ارتفعت الروح المعنوية لدى المسلمين، فتسابقوا إلى الجهاد طالبين الشهادة، حتى الذين رخص لهم بالبقاء فى ديارهم وهم المعفون من الجهاد، قد طلبوا الاشتراك فى القتال رغبة فى طلب الشهادة.

من ذلك أن عمرو بن الجموح كان أعرجًا شديد العرج، وكان له أربعة من البنين يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا.

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يتوجه إلى أحد، قال له بنوه: إن الله عز وجل قد جعل لك رخصة، فلو قعدت فنحن نكفيك. فقد وضع الجهاد عنك.

فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن بنى هؤلاء يمنعونى أن أخرج معك، والله إنى لأرجو أن أستشهد فأطأ بعرجتى هذه فى الجنة.

فقال له رسول الله ﷺ: أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد. ثم قال لبنيه: (وما عليكم أن تدعوه لعل الله يرزقه الشهادة). فخرج مع رسول الله ﷺ فقتل يوم أحد شهيدًا[1].

التهوين من شأن العدو:

لقد كان قادة المسلمين يهونون لجنودهم من شأن العدو وقوته، ويخبرونهم أن العدو لن يصبر على قتالهم طويلاً، وستتخلع قلوبهم فزعًا وخوفًا عندما يرون قوة الجند وصلابتهم، ورغبتهم الصادقة فى النصر أو الشهادة.

(١) راجع سنن البيهقى ٩ : ٢٤.

وكانوا دائمًا يلقون على مسامعهم قول الله تعالى:

﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾(١).

والأذى: هو العارض عند الصدام، والألم الذاهب مع الأيام، أما عند احتدام المعركة فالهزيمة محققة فى صفوف الأعداء، والنصر دائمًا للمؤمنين.

وفى غزوة بدر كان التهوين لقوة العدو من عند الله تعالى فى قوله لرسوله:

﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٢).

والرؤيا التى رآها رسول الله ﷺ صادقة فى دلالتها الحقيقية فقد رآهم رسول الله قليلاً. وهم كثير عددهم، ولكن قليل جهدهم قليل صبرهم فى المعركة.

وهذه الحقيقة الصادقة هى التى أراها الله لرسوله فأدخل بها الطمأنينة على قلوب القوة المسلمة.

وعندما التقى الجيشان وجهًا لوجه على أرض المعركة تكررت الرؤيا النبوية فى صورة عيانية من الجانبين. قال تعالى:

﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١١١.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤٣.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٤.

وما حدث فى غزوة بدر من تهوين قوة العدو، كان المنهج الذى سار عليه قادة المسلمين وجنودهم فى كثير من معاركهم.

فالكثرة العددية ليست هى التى تحقق النصر، كما أن كثرة السلاح والعتاد ليست هى التى تقرر مصير المعركة.

وإذا كان الأمر كذلك فعلى الذين آمنوا أن يثبتوا أنفسهم عند احتدام المعارك، وليتجنبوا أسباب الهزيمة التى أودت بأعدائهم - وهى اعتمادهم على قوتهم لا على الله. الذى يهب النصر لمن يشاء قال تعالى:

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾(١).

ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى لهؤلاء الذين آمنوا برسله واتبعوا شرعه ومنهاجه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٣).

ولقد تضمنت هذه الآية عوامل النصر الحقيقية وهى:

أ . الثبات عند لقاء الأعداء.

ب . الاتصال بالله تعالى عن طريق ذكره.

ج . تجنب النزاع والشقاق.

---

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٢٦.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٤٥.

د. الصبر والحذر.

وإذا كان الأمر كذلك فما طرق الوقاية من الحرب النفسية التى يشنها الأعداء فى «الاستراتيچية الإسلامية»؟.

طرق الوقاية من الحرب النفسية

أولاً: إن الإيمان القوى يعتبر القاعدة الصلبة، والدرع الواقية ضد الحرب النفسية التى يشنها الأعداء؛ لأن المؤمن لا يخاف أحدًا ولا يرهب مخلوقًا أيًا كان هذا المخلوق.

ويعتقد بكل كيانه أن القوة الوحيدة التى تخشى وترهب هى قوة الله تعالى الذى يملك الحياة والموت وبيده النفع والضر.

ولقد عبر القرآن الكريم عن هذه الجماعة التى لم تؤثر فيها الحرب النفسية التى شنها الأعداء بقوله:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾(١).

إنها حرب نفسية ضارية تهول من قوة العدو وتصفها بالجمع الكبير الذى لا يهزم ولا يقهر. وحدث هذا بعد الهزيمة العسكرية التى أصابت المسلمين فى أحُد وهى حالة يعتبرها خبراء الحرب النفسية من أفضل الظروف الملائمة لشن الحرب النفسية إلا أن محاولات الأعداء. لم تنجح فى زعزعة إيمانهم وخرجوا لملاقاة عدوهم وهم يرددون قول الله تعالى:

﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(٢).

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران من الآية رقم ١٧٣.

ذكر محمد بن إسحاق المؤرخ المعروف: أن رجلا من بنى عبدالأشهل ومن أصحاب رسول الله ﷺ قال:

«شهدنا غزوة أُحد أنا وأخى فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج لملاقاة العدو. قلت لأخى أو قال لى: أتفوتنا غزوة مع رسول الله..؟

والله ما كان معنا دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل؟؟.

فخرجنا مع رسول الله ﷺ وكنت أقل جراحة منه، فكان إذا ثقل عليه المشى حملته على ظهرى، حتى انتهينا إلى الموقع الذى رابط فيه المسلمون انتظارا لملاقاة العدو. ثم ماذا..؟ فر العدو لا يلوى على شىء، أمام القوة المؤمنة كما وصفهم الله تعالى:

﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾(١).

---

(١) سورة آل عمران من الآية رقم ١٧٤.

●● الباب الثالث

إخفاء النوايا عن العدو
وعنصر المباغتة

قال الرسول ﷺ:

(خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه فى سبيل الله
كلما سمع صيحة خطر طار إليها يبتغى النصر أو الموت)

رواه مسلم وغيره

الحرب: هى حوار إرادات تنتصر فيها الإرادة الأقوى والأكثر تصميما على بلوغ الهدف.

بسام العسلى

الفصل الأول

المباغتة أو عنصر المفاجأة فى المعركة

ويشمل المباحث الآتية:

١ ـ المباغته أو عنصر المفاجأة وأثرهما فى تحقيق النصر.

٢ ـ الكتمان وأثره فى إدارة المعارك.

٣ ـ نماذج للمباغتة فى المعارك الأولى للاستراتيچية الإسلامية.

٤ ـ المباغته وأثرها فى الإسراع فى فتح مصر.

٥ ـ المباغته وأثرها فى فتح إفريقيا

٦ ـ المباغته وأثرها فى فتوحات الشام.

المباغتة أو عنصر المفاجأة
وأثرهما فى تحقيق النصر

المباغته: مبدأ من مبادئ الحرب القديمة، والتى مازالت تحتفظ بأهميتها فى الحرب الحديثة، والحرب بأسلحة التدمير الشامل سواء بسواء، ولقد كان البحث عن المباغتة ومحاولة الإمساك بها هدف كل قائد مارس القيادة الميدانية وتمرس بالأعمال القتالية.

وكان العرب أمة مقاتلة، ثم جاء الإسلام ففرض القتال على المسلمين دفاعًا عن أنفسهم، ومن أجل نشر راية الإسلام، واعتمد العرب المسلمون مبادئ القتال وطبقوها، وكان مبدأ المباغتة فى طليعة المبادئ التى استخدمها قادتهم كلما توفرت لهم الظروف المناسبة لاستخدامها.

ويرى الكثير من القادة العسكريين أن عنصر المباغتة من أقوى العوامل وأبعده أثرًا فى إدارة المعارك والحروب. وتأثيره المعنوى فى إنهاء المعركة، وتحقيق النصر يكاد يكون مؤكدًا وحاسمًا.(١)

---

(١) معارك العرب الكبرى للضابط الركن محمود الدرة ص ٢٣٥ بتصرف.

وذلك لأن أهمية عنصر المباغته يكمن فيما يحدثه من شلل وارتباك متوقع فى القوة الضاربة للخصم. وذلك لمباغتته بموقف لم يكن مستعدا له، ولم يدخله فى حساباته.

والمباغته: تتنوع بتنوع المكان والزمان، وظروف كل معركة، وأيضًا مدى صلابة وقوة تحمل «الاستراتيچية» الضاربة للخصم.(١)

والكتمان وسرعة الحركة يعدان من أهم الوسائل المهمة فى إنجاح عنصر المباغتة. ولقد طبقت «الاستراتيچية» الإسلامية فى حروبها هذا المبدأ فكان النصر حليفها فى كثير من المعارك التى خاضتها. والتى كان الأعداء يعتبرون أن النصر محقق لهم. لما كانت تمتاز به جيوشهم من كثرة العدد والمعدات، والخبرة العالية فى فنون القتال.

الكتمان وأثره فى تحقيق النصر

من أهم متطلبات القتال «الكتمان».

والقاعدة الذهبية التى يتداولها العسكريون: هى أن الأمة التى تكتم أسرارها الحربية، هى الأمة التى يمكن أن تنتصر.

والعسكريون خاصة مطالبون بأن يكونوا فى ذروة «الكتمان» الشديد والقائد الذى لا يتحلى بمزية الكتمان يقود رجاله «حتما» إلى الهاوية.

وإفشاء الأسرار الحربية خيانة بالنسبة للمدنيين والعسكريين على حدٍ سواء.

ورب كلمة عابرة يحسبها المرء تافهة ـ وهى فى واقعها سر عسكرى يؤدى إفشاؤه إلى كارثة عسكرية.

---

(١) الرسول القائد للواء الركن محمود شيت خطاب ص ٤٥١ بتصرف.

وتاريخ الحروب خير شاهد، وفيه عبر لمن اعتبر.

إن الكتمان فى الإسلام «دين» حث عليه القرآن الكريم، وأمر به الرسول ﷺ وطبقه فى كل حياته العسكرية.

وقد حذر الإسلام من إذاعة الأسرار العسكرية وجعل إذاعتها من شأن» المنافقين «وطلب الرجوع بها إلى القيادة العامة، كما طلب من المسلمين أن يتثبتوا مما يصلهم من أنباء قبل الركون إليها والعمل بها قال تعالى:

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً﴾(١).

ومن حديث رسول الله ﷺ قوله:

(استعينوا على قضاء الحاجات بالكتمان)(٢).

وقال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه «سرك أسيرك، فإن تكلمت به صرت أسيره».

وقال عمر بن عبدالعزيز رضى الله عنه «القلوب أوعية الأسرار، والشفاة أقفالها، والألسنة مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره».

وهذا قليل من كثير، مما ورد فى كتمان السر من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأقوال مأثورة، وكلها تحث على الاستمساك بهذه الفضيلة وتحذر من العواقب الوخيمة التى يؤدى إليها إفشاء الأسرار.

إن السر أمانة ووديعة وعهد، وما كان للمسلم أن يخون الأمانة، أو يعبث بالوديعة، أو ينقض العهد والله تعالى يقول:

---

(١) سورة الأحزاب أية رقم ٦٠.

(٢) الحديث رواه الطبرانى أبونعيم عن معاذ بن جبل رفعه وكذا البيهقى وابن أبى الدنيا والعسكرى بزيادة «فإن كل ذى نعمة محسود».

﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً﴾(١).

ويقول الحسن بن على رضى الله عنه إن من الخيانة أن تتحدث بسر أخيك».

والدروس العملية التى يستطيع المسلمون أن يتعلموها من الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام فى «الكتمان» أكثر من أن تعد وتحصى.

نماذج للمباغته والكتمان فى المعارك الأولى للاستراتيجية الإسلامية

من النماذج الممتازة لتطبيق فن المباغته. تلك السرية التى قادها الفارس المغوار عبدالله بن جحش رضى الله عنه ولم تعلن له الجهة التى يراد القيام بها فى مهمة عاجلة لصالح الاستراتيجية للقوة الضاربة للمسلمين.

يقول ابن هشام المؤرخ المعروف: وكتب له الرسول ﷺ كتابا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين فى طريق حدد له. ثم ينظر فيه فيمضى لما أمر به.(٢)

وسار عبدالله بن جحش بسريته وبعد يومين من بدء مسيرته فتح الكتاب ونظر فيه فإذا مضمونه: «امض حتى تنزل» أرض نخلة» مكان بين مكة والطائف فترصد بها قريشا لتتعرف على أخبارهم ومدى استعدادهم وتحركاتهم».

فلما نظر عبدالله بن جحش فى الكتاب. قال: سمعًا وطاعة لأمر الرسول القائد، ثم قال لأصحابه:

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٣٤.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢ : ٦٠١ - ٦٠٢ دار إحياء التراث العربى.

«قد أمرني الرسول ﷺ أن أمضى إلى «أرض نخلة» أرصد بها قريشا حتى آتية منهم بخبر وقد نهانى أن أستكره أحدًا منكم فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق معى، ومن كره ذلك فليرجع. فأما أنا فماض لأمر رسول الله ﷺ(1).

فسار بسريته إلى الوجهة التى حددت له.

وبهذا التخطيط من الكتمان وتعمية سير الغزوة لم يستطع أحد من الجواسيس وعيون الأعداء المقيمين فى «يثرب» فى ذلك الوقت أن يتعرف على وجهة هذه السرية. حتى عادت من المهمة التى كلفت بها بعد أن قامت بها على الوجه الأكمل.

وما حدث فى هذه السرية من التكتم والتغطية حتى أخذ الأعداء بغتة حدث مثله فى غزوة الفتح، فتح مكة.

وفى هذه الغزوة كتم القائد العام للقوة الضاربة للمسلمين أمرها عن كل ما يحيط به. حتى عن أقرب المقربين إليه.

«روى ابن هشام أن رسول الله ﷺ أمر أهله أن يجهزوه إلى سفر بعيد، وفى أثناء ذلك دخل أبوبكر على عائشة - زوج الرسول ﷺ. فقال: أى بنية. ما هذا الذى تفعلين..؟ أأمركم رسول الله أن تجهزوه..؟

قالت: نعم.

قال: فأين ترينه يريد..؟

قالت: والله ما أدرى.

---

(1) راجع البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٤٨، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٠١ وتاريخ الطبرى ج ٢ ص ٢١٦.

ثم إن رسول الله ﷺ عندما تهيأ الناس وفرغوا من أجهزتهم، أعلمهم أنهم سائرون إلى مكة، وأمرهم بالجد والاستعداد. وقال: «اللهم خذ العيون والأخبار من قريش حتى نبغتها فى بلادها».

ويقرر بعض المؤرخين: أن الرسول ﷺ عندما عزم المسير لفتح مكة، وضع على الطريق الموصلة إليها بعض رجال الجيش يمنعون الناس من الخروج لئلا يصل خبر الجيش المغير إلى قريش فتستعد لملاقاتهم.

إلا أن أحد المسلمين ـ وهو حاطب بن أبى بلتعه[1] استطاع أن يخترق هذا الحصار، ويرسل رسالة إلى قريش مع امرأة ذاهبة إلى هناك.

ولكن اليقظة الإسلامية كانت لها بالمرصاد، وما كاد الرسول القائد يعلم بذلك حتى أرسل كوكبة من الفرسان، لحقت بهذه المرأة واستردت منها الرسالة[2].

وبهذا التكتم الشديد استطاع الرسول ﷺ أن يحرك جيشًا كبيرًا قوامه عشرة آلاف جندى لفتح مكة، دون أن تعلم قريش شيئًا، إلا وهذه القوة الضاربة تطبق عليها من جهاتها الأربع فاضطرت نتيجة لهذه المباغته إلى الاستسلام دون مقاومة تذكر.

ومن أمثلة بالمباغتة فى المكان غزوة يبنى لحيان» التى جهزها المسلمون أخذا بثأر خبيب بن عدى وأصحابه، تلذين قتلهم هذا الحى، وأظهر الرسول لقائد أنه يريد الشام وأشاعت عيونه ذلك، حتى يأخذ القوم على غرة، لأنهم كانوا يتحصنون بالمغارات وفوق قمم الجبال.

---

(١) هو حاطب بن أبى بلتعة: صحابى ،شهد الوقائع كلها مع رسول الله. ﷺ وكان من أشد الرماة فى الصحابة. بعثه النبى ﷺ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ومات فى المدينة عام ٣٠ هـ. راجع الإصابة ١ : ٣

(٢) راجع سيرة ابن هشام بتصرف ٢ : ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

قال ابن إسحاق. فسلك الجيش الإسلامى طريقا أسرع فيه السير حتى نزل منازلهم دون أن يعلموا به، وبالتالى أصابتهم البغتة فلم تتمكن قوتهم من تسلق الجبال أو التحصن فى المغارات، أو استعمال أسلحتهم، ونزلوا على الشروط التى فرضت عليهم.

وفى غزوة خيبر التى كان يقطنها اليهود، رجال المال والسياسة فى الجزيرة العربية - فى ذلك الوقت - تحرك الرسول القائد بجيشه الذى

يتكون من ألف وأربعمائة مقاتل فيهم مائتا فارس إلى منطقة تسمى «الرجيع» قريبا من ديار غطفان حلفاء اليهود فى ذلك الوقت، وأرسل كتيبة صغيرة من الجيش إلى معسكر غطفان يوهمهم بذلك أنه يريدهم - وتحرك سريعا بقواته الرئيسية إلى خيبر.

وبهذه الحركة أوهم غطفان أنهم المقصودون بالقتال، وأوهم اليهود أنه لا يريدهم بهذه الغزوة، وبهذا التكتيك والتخطيط باغت الطرفين ومنع تعاونهما فى قتال الجيش الزاحف إلى خيبر. والذى وصلها ليلا وأكمل تطويقها فى نفس الليلة، دون أن تنتبه قوتها الضاربة إلى حركة الالتفاف هذه.

ولقد نزلوا على الشروط التى فرضت عليهم، وهى مغادرة الجزيرة العربية فورًا[1] ولقد عبر القرآن الكريم عن الرعب والفزع والمباغتة التى أصابت القوم بقوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ

(١) راجع السيرة النبوية لابن هشام ٣ : ٣٤٢ - ٢٤٨ وتاريخ اليهود فى بلاد العرب ص ١٨٦٥ وتاريخ الخميس ٢ : ٤٨ ومعارك العرب الكبرى مصدر سابق ص ١٦٠.

يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾[1].

إن القائد الحكيم هو الذى يستطيع أن يطبق مبدأ المباغته بمهارة وتكتم، وسرعة التفاف بارعة فى معاركة، وهذه كانت بعض التكتيكات التى قامت بتنفيذها «الاستراتيچية» الإسلامية فى كثير من حروبها العديدة التى خاضتها.

وقد حرص قادة الجيوش الإسلامية بعد ذلك على سلوك عنصر المباغته، وسرعة الحركة فى الانقضاض على الأعداء.

من ذلك ما حدث فى معركة «البويب» على حدود أرض فارس، حيث أمر القائد المثنى بن حارثة كتائب الجيش أن تسرع فى ظلام الليل، وأن يخففوا بقدر الطاقة من الجلبة والصياح عند تحركهم، ولما أراد المثنى دخول بغداد أوهم «المرزبان» أنه يريد الإغارة على المدائن، حتى إذا وصل إلى منتصف الطريق، وأخبرته عيونه ورجال الاستطلاع فى جيشه أن المسافة بينه وبين المدائن وبغداد تكاد تكون متساوية، أمر جيشه فجأة بالزحف إلى بغداد. وإلقاء القبض على كل من يصادفه الجيش فى طريقه، كى لا يصل خبره إلى عدوه. وما كادت خيوط الفجر تظهر فى الأفق، حتى كان هذا القائد العملاق يحقق أهدافه كاملة، ولم يجد أمامه مقاومة تذكر بعد أن شلت هذه المباغتة قوة العدو تماما. ومنعته من الحركة أو المقاومة.[2]

---

(١) سورة الحشر آية رقم ٢.

(٢) إدارة المعارك أو الاستراتيجية الحربية ص ١٣ د. عبدالرحمن عميرة.

المباغتة وأثرها فى الإسراع فى فتح مصر

خرج الجيش الإسلامى بقيادة عمرو بن العاص وكانت وجهته مصر، ولكن ما كاد الجيش يصل إلى مشارفها. حتى وجد حصونها قوية، وحاميتها يقظة واعية، وطال الحصار فترة طويلة من الزمن.

فأرسل أمير المؤمنين إليهم مددا بقيادة مجموعة من رجال الصحابة الأشداء منهم الزبير بن العوام رضى الله عنه ولما التقى بعمرو بن العاص وجده وقوته محاصرًا» حصن بابليون[1]» دون الاستطاعة إلى اختراق حصونه، عندها قال له الزبير: يا عمرو إنى أهب نفسى لله وأرجو أن يفتح بذلك على المسلمين.

وقرر هذا البطل العملاق أن ينتهز هدأة الليل، وغفوة اليقظان وأن يباغت قوتهم، المنوط بها الحراسة، بكوكبة من الفرسان.

وفى الساعة التى حددها قرر أن يعتلى سور الحصن، وأن يسقط على بابه، وأن يعمل كل جهده لمعالجته قبل أن يكون فريسة سهلة لسيوف حراسه، وما كاد حراس الحصن يشاهدون الزبير، ومعه فرسانه على سور الحصن حتى بهتتهم المفاجأة، وشلت تحركاتهم بالكامل، وهم يرون هؤلاء الجنود يتدافعون داخل الحصن كالسيل الذى يكتسح أمامه كل شىء وانتهت بفتح الحصن المعركة الحاسمة لفتح مصر.

لقد كان عمرو ماهرا فى جميع عملياته، وحريصًا باستمرار على تحقيق المباغته سواء عن طريق إعادة التنظيم باستمرار، وبعد كل

---

(١) حصن نابليون كان فى موضع الفسطاط وهى المدينة التى بناها عمرو بن العاص، راجع معجم البلدان ٢ : ٢٠ ولا تزال آثار الحصة باقية فى مصر القديمة.

مـرحلة، أو عن طريق المناورات الخـداعـيـة، والتظاهـرات التى تحـمل العدو على تقدير قوات المسلمين بـأكثر من قوتها العددية الحقـيقية، وبذلك أخذت المبـاغتـه أشكالا مختلفـة عند التطبيق، ولـم تعـد مـجـرد «مبـاغتـه» زمـانيـة أو «مبـاغـتـة مكانيـة» بل تجـاوزت ذلك إلى مسـتـوى «المباغته فى العمليات».

ويعتبـر عـمـرو بن العـاص فى هذا المجـال أسـتـاذًا ورائدًا. ولقـد كـان تطبيق هذا المبدأ فى كثير من الأحيان عاملا مهمًا فى تحطيم ميزان القوى وتحويله لصالح العرب المسلمين.

إن تاريخ الاستراتيچية الإسلامية ملىء بهذه البطولات الفذة، ولقد تدارس القـادة على مـر العـصـور، هذه الاسـتـراتيـجـيـة التى كـان من نتائجها الانهزام الكلى لدولتى الفرس والروم فى ذلك التاريخ.

المباغتة وأثرها فى الإسراع فى فتح إفريقيا

قـــاد القـائد الإسـلامى عـبـد اللَّه بن سـعـد بن أبى السـرح جـيش المسلمين الذاهب إلى فتح إفـريقـيـا، تلك الزنبـقـة السـوداء - كـمـا كـانت تسمى - وكان تعداده أكثر من عشرين ألفا.

وفوجئ المسلمون بأن "جرجير" قائد جيش الروم يقود جيشا لجبًا يزيد تعداده عن مائة ألف.

وفى مكان يدعى "عـقـوبة" - بينه وبين مـدينة "سـبـيطله" يوم وليلة - التقى الجيشان، ونشبت معركة حامية الوطيس.

واستـمـرت الحـرب أيامًا وكل من الجيشين له من العـدد والعدة مـا يحول بينه وبين الهزيمة أمام الجيش الآخر.

ولما طال أمـد المعركة وصل للمسلمين مـدد بقيادة الصحـابى الجليل عـبـد اللَّه بن الزبيـر رضى اللَّه عنهمـا. وحـين سـمـع القـائد "جـرجـيـر" بوصول المدد والعدد للمسلمين فت فى عضـده، ولكن هذا لم يمنعه من الاستمرار فى المعركة.

وكان القتال يبدأ من الصباح ويستمر حتى الظهر ثم يعود كل فريق إلى خيامه وعندما اطلع ابن الزبير على "استـراتيچية المعـركة" رأى أنها تحتـاج إلى أمـد طويل حتى يتحقق النصـر. فقـال للقـائد: عبـد اللَّه بن سعد:

إن أمرنا يطول مع هؤلاء، وهم فى إمدادات متصلة،وهذه البلاد هى لهم، ونحن منقطعون عن المسلمين وبلادهم.

والرأى عندى: أن نتـرك بعض الكتـائب من أبطال المسلمـين فى خيـامهم متـأهبين، ونقـاتل نحن الروم ببـاقى الجيش، إلى أن يضـجـر

الأعداء ويملوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم. ورجع المسلمون أيضا. ركب من كان فى الخيام من الجيش ولم يشهدوا القتال معنا. وهم مستريحون. فيباغتونهم فلعل الله ينصرنا عليهم " إن الحرب خدعة".

ولقد اقتنع القائد العام للجيش الإسلامى عبدالله بن سعد بما أشار به عليه عبد الله بن الزبير، وأمر بتنفيذ خطته فورا.

وعندما عاد كل فريق إلى خيامه. واستقرالروم فى أماكنهم خرجت عليهم القوة التالية بغتة ففرقت جموعهم، وشتت جنودهم، ولم تجد قوة الروم مخرجا من هذه المباغتة. ففرت هاربة تاركة وراءها حصونها ومعداتها.

وبهذه الاستراتيجية الجديدة انتصر المسلمون انتصارا ساحقا، واستطاع أحد قادة المسلمين أن يتعرف على خيمة"جرجير"قائد جيش الروم وحاصره فى مقامه حتى قتله.

إن عنصرالمفاجأة أو المباغتة هو الذى جعل الجيش الإسلامى ينفض يديه من هذه المعركة سريعا، ويستمر فى تقدمه، حتى وصل إلى مدينة"سبيطلة" فطهرها مما فيها من"جيوب" و"حصون" ثم واصل سيره إلى مدينة"قفصه" ثم إلى "حصن" الأجم، وكان قد احتمى به أهل تلك البلاد فحاصره وفتحه بالأمان.

وعندما استسلمت القوة الضاربة لجيش الأعداء وألقت أسلحتها. صالحهم الجيش الإسلامى على دفع الجزية بعد أن خيروا بين الدخول فى الإسلام أو دفع الجزية فاختاروا الثانية.

والقائد الحكيم، لا يجعل جل اهتمامه على القوة وحدها. بل يلجأ إلى المراوغة والمفاجأة، وكلما كان القائد على دراية كاملة بنفسية خصمه، كان هذا مدعاة لتقصير أمد المعركة وتقريب النصر.

ونقـــول: لم يكن فــتح هـذه البـــلاد ســـوى توفـــيق من اللّه ونتيجة"للمباغتة" التى أتقن المسلمون استخدامها وعملوا على تطويرها باستمرار لمجابهة المواقف المختلفة.

المباغتة وأثرها فى فتوحات الشام

لاشك أن القادة الإسلاميين قد طوروا من استراتيجية القتال فى حروبهم مع الروم فى مسرح العمليات على أرض الشام، وكان فى طليعة المبادئ التى اعتمدوها عنصرى المباغتة والتمويه" الأمر الذى أغرى الروم بمطاردتهم وخصوصا بعد أن تركوا لهم بعض الغنائم فى أرض المعركة. وذلك لاجتذابهم وإخراجهم من حصونهم. وعندما اطمـأن القـادة الاسـلامـيـون إلى خـروج الروم قـامـوا بمبـاغـتـهم والانقضاض عليهم بحركة التفاف خاطفة. فكانت الهزيمة المحققة للروم، والنصر المؤزر للقيادة الإسلامية. وفى مدينة" اللاذقية" لجأ أبو عبيدة إلى "تكتيك" آخر من المباغتة حيث عجل بإقامة الحفر للفرسان وخيولهم بهدف إخفائها بسبب طبيعة الأرض المكشوفة حول المدينة، والتى لا تساعد القوات على الاقتراب دون أن تنذر حامية المدينة قواتها بهجوم الأعداء عليها، وبذلك نجح أبو عبيدة فى تحقيق مبدأ المباغتة على مستوى العمليات.

وأثناء فتح "دمشق" لجأ المسلمون والروم إلى ساحة المفاوضات ، ولكنها طالت واستمر الطرفان فى أخذ ورد دون الوصول إلى نتيجة حاسمة.

عندها قام خالد بن الوليد بقوته الضاربة باقتحام الأسوار من منطقة " باب شرق" فأمكن حسم الصراع المسلح عن طريق المباغتة،

حيث ظهرت قوات المسلمين فى زمن غير متوقع، وفى مكان غير متوقع، فكانت نتيجة المباغته مذهلة تداعت لها قوات «دمشق» وألقت السلاح مسلمة القيادة لقوات المسلمين المنتصرة.

ولم تكن هذه هى كل ظواهر المباغتة، فقد كان ظهور المسلمين بقوتهم الجديدة، وتنظيمهم الحديث وكفاءتهم العالية، فى إدارة الحرب وتصميمهم الصلب على بلوغ أهدافهم، سببًا فى هزيمة الروم وإضعاف إرادتهم القتالية بداية من اليرموك ونهاية بأنطاكية، والثغور القائمة أمام الدروب، ومع أهمية المباغتة على مستوى العمليات فقد كان هناك نوع من المباغتة الاستراتيچية التى كان يخطط لها أمير المؤمنين فى المدينة، ولم يكن تحرك خالد بن الوليد إلى الشام وظهوره خلف قوات الروم إلا مباغتة استراتيچية، وكذلك الأمر بالنسبة لتحرك القوات من الكوفة إلى الجزيرة لإحباط هجوم الروم ضد حمص، حيث كان وقع المباغتة مذهلا بحيث أدى إلى نجاح استراتيچية الهجوم غير المباشر فلم تحاول قوات الجزيرة تنظيم مقاومة قوية لمجابهة تقدم المسلمين.[1]

ونقول: لقد احتل خالد بن الوليد، وأبو عبيدة بن الجراح مكانتهما الخالدة فى طليعة قادة المسلمين الذين طبقوا بكفاءة عالية «مبادئ الحرب» وعملوا على تطويرها وإكسابها المرونة الضرورية ليضمنوا لها شروط البقاء والاستمرار. والذى كان من نتيجتها الاستيلاء على مدينتين رئيسيتين بتأثير «المباغتة» وهما «حمص» و«اللاذقية» علاوة على مباغتة دمشق فهذا برهان ساطع على الأثر الحاسم لمبدأ المباغتة فى فتوح الشام مما أقنع الروم بعدم جدوى مقاومتهم، وحملهم على إلقاء السلاح فى النهاية.

(١) قادة الفتح الإسلامى - محمود شيت خطاب ص٢١٧

الفصل الثانى

المباغتة فى المعارك الحديثة

ويشمل:

1- أثر المباغتة فى المعارك الحديثة.
2 - الاستراتيچية الإسلامية والوقاية من المباغتة التى يلجأ إليها العدو.
3 - رأى جواهر لال نهرو فى انتصارات المسلمين.

أثر المباغتة فى المعارك الحديثة

لاشك أن عنصر المفاجأة أو المباغتة، كان له الأثر الكبير فى الحربين العالميتين الأولى والثانية، ومن آثار المباغتة المذهلة ما حدث فى الحرب العالمية الثانية من تعرض الأسطول الأمريكى للهجوم الجوى اليابانى المفاجئ فى معركة «بيرل هاربر» حيث أصيب الأسطول بخسائر جسيمة، وما زال تأثير هذه المعركة عالقا بالأذهان حتى الآن:

ويرى اللواء الركن: حسام سويلم أن المباغتة كان لها أعمق الأثر فى إنزال قوات الحلفاء فى « نورماندى».

حيث قام الحلفاء بإجراء عمليّة خداع شاملة فى شمال غرب أوروبا وذلك خلال الفترة من أبريل ١٩٤٣ وحتى مايو ١٩٤٥ من أجل تضليل الألمان عن الهدف الحقيقى من عملياتهم الهجومية فى أوروبا التى بدأت من نورماندى بعمليات إنزال بحرى وجوى ضخمة استهدفت تحرير فرنسا.

وقد اشتملت هذه الخطة على مجموعة واسعة من خطط الخداع الفرعية المعقدة، التى انتشرت عبر أوروبا ومن شمال الكاب حتى القاهرة، ومن موسكو حتى الجزائر، واستهدفت جميعها تشتيت جهود

الألمان وتثبيت قواتهم بالمسارح المختلفة بعيدا عن القطاعات الحقيقية للإنزال فى نورماندى وإقناعهم بأن غزو فرنسا يحتل أولوية متأخرة فى مخططات الحلفاء السياسية والاستراتيچية، وأنه لن يجرى من نورماندى[١].

ولقد أسهم الخداع السياسى والاستراتيچى مع عنصر المفاجأة الذى مارسه الحلفاء فى عمليات الإنزال البحرى والجوى الواسعة فى نجاح هذه العمليات التى كانت بداية تحرير بلدان أوروبا من الاحتلال النازى. [٢]

ويتابع اللواء الركن حديثه بقوله:

«وإذا كان عنصر المباغتة أو المفاجأة ضروريا عند القيام بالهجوم على العدو وشن الحرب عليه، فإنه يتطلب تحضيرا قويا فى وقت السلم، أبرز مقوماته دراسة خصائص الخصم والتعرف على نقاط الضعف فى استراتيچيته ومعداته، وكيفية النفاذ منهما لتحقيق الضربة المفاجئة. [٣]

ومن خصائص عنصر المباغتة أو المفاجأة ما حدث فى حرب يونية سنة ١٩٦٧م عندما قام السلاح الجوى الإسرائيلى بتوجيه ضربة جوية مفاجئة للقوات الجوية المصرية، قضت على معظم طائراتها.

---

(١) الذى قام بعملية التضليل الجنرال (ايزنهاور) فى ليل ٥ - ٦ يونيو ١٩٤٥ حيث شوهدت عمليات إنزال تقوم بها جيوش الحلفاء على شاطئ «بادى كاليه» ولم تكن هذه العمليات سوى مسرحية تضليلية قام بها «ايزنهاور» قائد جيوش الحلفاء فى تلك المنطقة. راجع معارك خالد بن الوليد للعميد الركن د: ياسين سويد.

(٢) مجلة الحرس الوطنى السعودى - السنة الخامسة العدد ١٤٧ اكتوبر ١٩٩٤ بتصرف ص٥١٢.

(٣) المصدر السابق ص٥٣ بتصرف اللواء الركن حسام سويلم.

ويؤكد اللواء الركن بهى الدين محمد نوفل أن عنصر المفاجأة كان هو العامل الأساسى فى نجاح إسرائيل فى الحروب الخاطفة التى شنتها على العرب فى أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧م ويوضح ذلك بقوله:

أولا: أدركت إسرائيل صعوبة الدفاع فى حالة هجوم عربى شامل من جميع الجبهات، فاتخذت مبدأ الحرب الوقائية، والعمل على مفاجأت العرب ومباغتتهم بحرب خاطفة، قبل استكمال استعدادهم، والتركيز فى الهجوم على جبهة واحدة مع تأمين باقى الجبهات.

ثانيا: الاعتماد على سرعة الحركة التى هى العنصر الأساسى فى المباغتة ـ فى نقل قواتها الضاربة من جهة لأخرى.

ثالثا: أدركت إسرائيل صعوبة الاستمرار فى حرب طويلة الأجل، فتبنت استراتيچية الحرب الخاطفة، واعتمدت دائما على التدخل الخارجى، لوقف الاشتباكات ، وفرض الهدنات، بعد تحقيق ونجاح ضربتها المفاجئة.

ونظرا لخطورة عامل الزمن فى حالة هجوم عربى مفاجئ فقد عملت إسرائيل على الاحتفاظ بمبدأ المبادأة بالهجوم، والاعتماد الكبير على القوات الجوية والتعبئة الشعبية.

رابعًا: ولقد رأت لتلافى سهولة تعرض القوات المهاجمة نهارًا للتدبير المعادى اعتمدت على سرعة وخفة الحركة والتدريب على العمليات المباغتة ليلاً.(١)

ويرى خبراء الاستراتيچية : أن الحرب المقبلة ستبدأ بهجوم مفاجئ، وهذا يتطلب أن تكون القوات المسلحة على درجة عالية من الاستعداد

---

(١) مجلة الحرس الوطنى: السنة السادسة: العدد الثانى والثلاثون يوليو ١٩٨٥م ص٢٢ بتصرف.

الدائم للقتال، لأن الوقت اللازم للوصول بالقوات إلى درجة الاستعداد المطلوبة للقتال قصير جدًا.

ويؤكد هذه الحقيقة اللواء الركن خضر الدهراوى قائلاً:

«إن مصير الحروب فى المستقبل يتقرر فى مراحلها الأولى، وهذا يتوقف على قوة المفاجأة التى يحققها المعتدى، وعلى قوة وقدرة الأسلحة التى يستخدمها».[1]

الاستراتيجية الإسلامية والوقاية من المباغتة التى يلجأ إليها العدو

أخطر ما تتعرض له دولة من الدول فى عالمنا المعاصر هو المباغتة، من أجل ذلك تعمل الدول جاهدة على أن تقى نفسها شر الضربة المفاجئة، فاخترعت أجهزة الإنذار المبكر، ووسائل الاستطلاع المتقدمة، وأقمار التجسس التى تدور فى الفضاء، ترصد كل حركة وتسجل كل ما يريب من الاستعدادات أو تحريك الأسلحة والمدرعات.

ولقد كانت الاستراتيجية الإسلامية قديمًا تأخذ نفسها بدرجة الاستعداد القصوى خوفًا من أن يفاجئها العدو. أو يخترق حدود بلادها. فعلت الاستراتيجية ذلك تنفيذًا لأوامر الله تعالى التى كان ينزل بها الوحى من عنده من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾[2].

---

(١) مجلة الحرس الوطنى: العدد الثانى والعشرون سبتمبر ١٩٨٤ ص١٢٢ بتصرف.

(٢) سورة النساء آية ٧١.

خذوا حذركم من عدوكم جميعًا وبخاصة المندسون فى الصفوف، وأعدوا للأمر عدته حسب طبيعة المعركة التى تقدمون عليها، انفروا جماعات نظامية، أو انفروا جميعًا، ولاينفر بعضكم ويتثاقل بعضكم، وخذوا حذركم لا من العدو الخارجى وحده، ولكن من العدو الداخلى أيضًا، الذى لايعلن عن نفسه ولكنه يعوّق ويخذّل. ويقول أيضًا:

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا﴾(1).

لابد من طاعة القيادة العليا، والالتزام بأوامرها، فى القليل والكثير ومع الطاعة، وتنفيذ أوامر القيادة، لابد من الحذر والحيطة.

ولعل أبلغ ما يؤكد اهتمام الاستراتيجية الإسلامية باليقظة والانتباه هو أداء الصلاة التى هى وسيلة للنصر فى الحرب لأنها تؤدى إلى رضى الله تعالى وقصرها خوفًا من المباغتة والمفاجأة التى قد يقدم عليها الأعداء.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ (2)

يقول اللواء محمد جمال الدين: «ويستخلص مما تقدم ما يلى:

أولاً: أن الإسلام يعد الحذر واليقظة أمرًا بالغ الحيوية، ولايرضى بالتواكل أبدًا ولذلك أمرهم باتخاذ الحذر والحيطة والاستعداد حتى وهم فى الصلاة التى يؤدون»(3)

---

(1) سورة المائدة آية رقم ٩٢. (2) سورة النساء آية رقم ١٠٢.

(3) المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية ص ١٧٢ مصدر سابق.

ويقول صاحب الظلال: أول ما يلفت النظر هو الحرص على الصلاة فى ساحة المعركة، لأن الصلاة سلاح من أسلحة المعركة، وما دامت هى كذلك فلابد من تنظيم استخدام هذا السلاح بما يتناسب وطبيعة المعركة وجوها. والأمر الثانى الذى يلفت النظر فى هذا النص: هو هذه التعبئة الروحية الكاملة تجاه العدو، وهذا الحذر الذى يوصى به المؤمنين تجاه عدوهم الذى يتربص بهم لحظة غفلة واحدة عن أسلحتهم وأمتعتهم، ليميل عليهم ميلة واحدة، ومع هذا التحذير والتخويف، التطمين والتثبيت، إذ يخبرهم أنهم إنما يواجهون قومًا كتب الله عليهم الهوان:

﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (١)

وهذا التقابل بين التحذير والتطمين، وهذا التوازن بين استثارة حاسة الحذر وسكب فيض الثقة، هو طابع هذا المنهج فى تربية النفس المؤمنة على أن هذا الحذر وهذه التعبئة النفسية، وهذا الاستعداد بالسلاح المستمر، ليس من شأنه أن يوقع المسلمين فى المشقة، فهم يأخذون منه بقدر الطاقة.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾(٢)

فحمل السلاح فى هذه الحالة يشق ولايفيد، ويكفى أخذ الحذر وترقب عون الله ونصره. (٣)

---

(١) سورة النساء آية رقم ١٠٢.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٠٢.

(٣) فى ظلال القرآن، سيد قطب ٢:

مقومات الحذر ومتطلباته:

أولاً: وسائل الإنذار المبكر، وإجراءات المخابرات والاستطلاع والأمن، وهذه الأشياء توفر للاستراتيجية الإسلامية أمرين:

أ - الحصول مبكرًا على المعلومات عن العدو ونواياه واستعداداته العدوانية.

ب - حرمان العدو من الحصول على المعلومات التى تتعلق بالقوة الضاربة.

ثانيًا: الحراسة المستمرة لحدود البلاد، ومواقع الجيش والمنشآت الحيوية.

ثالثًا: قيام أجزاء من القوات المسلحة على درجة استعداد عالية، للعمل الفورى عند حدوث أمر مفاجئ عن طريق الأعداء.

رابعًا: وجود نظام دقيق يكفل التعبئة السريعة للقوات الاحتياطية، التى هى الرصيد الرئيسى الذى يدعم القوات العاملة وقت الحرب.

خامسًا: الرباط والقوة:

يقول اللّه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. (1)

والرباط: نوع من الجهاد له وزن كبير وشأن خطير فى تقدير الإسلام كما يدل عليه قول الرسول ﷺ:

[رباط يوم فى سبيل اللّه خير من الدنيا وما عليها]. (2)

---

(1) سورة آل عمران آية رقم ٢٠٠.

(2) الحديث أخرجه البخارى فى الجهاد ٧٣ ومسلم فى الإمارة ١٦٣ والنسائى فى الجهاد ٣٩ وابن ماجه فى الجهاد ٧ وأحمد بن حنبل فى المسند ١: ٦٢، ٦٥، ٦٦، ٧٥.

وأيضًا قوله ﷺ:

«عينان لاتمسهما النار عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس فى سبيل الله»(١)

وقوله ﷺ: «رباط يوم فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطًا فى سبيل الله كان له أجر مجاهد إلى يوم القيامة»(٢)

والمرابطة: الإقامة فى مواقع الجهاد، وفى الثغور المعرضة لهجوم الأعداء وقد كانت القيادة الإسلامية لاتغفل عيونها أبدًا، ولاتستسلم للرقاد فما هادنها أعداؤها قط، منذ أن نوديت لحمل أعباء الدعوة والتعرض بها للناس، وما يهادنها أعداؤها قط فى أى زمان أو فى أى مكان، وما تستغنى عن المرابطة للجهاد، حيثما كان إلى آخر الزمان.

ولاشك أن الرباط بمفهوم العصر أصبح واسع المدلول، وممتدًا ليشمل كل أرض الدولة، وليس الحدود فقط، وذلك لأنه لم تعد هناك فى هذا العصر بقعة فى الوطن فى منأى عن متناول العدو، وأصبحت الحرب الحديثة لا تدور فقط بين الجيوش المتصارعة فى ميدان القتال، بل امتدت إلى أعماق الدول بكل ما عليها وبكل ما فيها. وأصبح الرباط واجبًا قوميًا على كل أفراد الدولة كل فى موقعه، وحسب إمكاناته وطبيعة عمله وتخصصه.

سادسًا: درجة الاستعداد القصوى:

ولقد قدم الرسول القائد ﷺ مثلاً على درجة الاستعداد العالية

(١) الحديث أخرجه الترمذى فى فضائل الجهاد ١٢.

(٢) الحديث أخرجه النسائى فى الجهاد ٣٩ والترمذى فى فضائل الجهاد ٢ وابن ماجة فى الجهاد ٧ وأحمد بن حنبل فى المسند ٢: ٤٠٤، ٥: ٢٦٩، ٦: ٢٠ (حلبى).

عندما سبق أهل المدينة جميعًا ذات ليلة إلى مصدر صوت قوى غير عادى أفزعهم وأقلقهم.

عن أنس رضي الله عنه قال: كان ﷺ أحسن الناس وأجود الناس، وأشجع الناس - لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعًا قد سبقهم إلى الصوت وعرف حقيقته - على فرس لأبى طلحة عرى والسيف فى عنقه وهو يقول لاتراعوا».[1]

رأى جواهر لال نهرو فى انتصارات المسلمين

يقول جواهر لال نهرو، ومن المدهش حقًا أن نلاحظ هذا الشعب العربى الذى ظل منسيًا أجيالاً عديدة بعيدًا عما يجرى حوله قد استيقظ فجأة ووثب بنشاط فائق أدهش العالم، وقلبه رأسًا على عقب، وأن قصة انتشار العرب فى آسيا وأوروبا، وإفريقيا، والحضارة الراقية، والمدنية الزاهرة، التى قدموها للعالم هى أعجوبة من أعجوبات التاريخ.

ونقول: إن العرب قد انتصروا فى الحروب التى خاضوها بالإيمان الذى كانت قلوبهم تعمَّر به، فقد بلغوا بالإسلام من القوة المعنوية الدرجة القصوى والتى مكنتهم من ذلك الفتح الكبير.

(١) الحديث ذكره ابن هشام فى سيرته.

الفصل الثالث

المعاملة الإنسانية لأسرى الأعداء

والمعاملة الإنسانية لأسرى الأعداء بعد انتهاء القتال

يشمل المباحث الآتية:

١ ـ معاملة الأسير قديمًا وحديثًا

٢ ـ القانون الدولى ومعاملة الأسرى.

٣ ـ معتقلات الأسرى.

٤ ـ طعام الأسرى وكسوتهم ومحاكمتهم.

٥ ـ إكراه الأسرى على الإدلاء بالأسرار العسكرية.

٦ ـ أصناف الأسرى والأحكام التى تتعلق بهم فى الإسلام.

٧ ـ إسلام الأسير.

٨ ـ المعاملة الإنسانية لأسرى الأعداء وجرحاهم بعد انتهاء القتال.

٩ ـ النهى عن المثلة أو التمثيل بالقتلى.

قال الله تعالى :

﴿فإما منّاً بعد وإمّا فداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾

سورة محمد آية٤

يقول الرسول ﷺ :

[استوصوا بالأسرى خيراً]

مسند الإمام أحمد

معاملة الأسير قديمًا وحديثًا

فى قديم التاريخ كان الأسرى يذبحون، أو يقدمون قرابين للآلهة، ثم صاروا يستعبدون، ويصيرون سلعة للبيع والشراء.

ولقد كان الفرس يعاملون أسراهم بقسوة لا هوداة فيها، التى تبدأ بالتنكيل والتعذيب وتنتهى بالقتل والصلب. وكذلك كان الإغريق يفعلون ذلك بالأسرى، وبعضهم كان يقدم طعامًا بعد موته للوحوش الضارية، والنسور الجارحة.

والعرب قبل الإسلام تأثروا بعادات مجاوريهم، فلم تكن معاملة الأسير عندهم تتصف بصفات الرحمة والإنسانية.

فلما جاء الإسلام ارتفع بقيمة الإنسان. وكرمه انطلاقًا من قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(١)

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ٧٠.

عندها بدأ الرفق بالأسارى والرحمة بهم والعناية بشأنهم لقول الرسول ﷺ:

[استوصوا بالأسارى خيرًا][(١)]

قال أبو عزيز بن عمير - أسر يوم بدر - مر بى أخى مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرنى، فقال له: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع.

قال: وكنت فى رهط من الأنصار حين أقبلوا من بدر، فكانوا إذا قدموا غذاءهم وعشاءهم خصونى بالخبز، وأكلوا التمر لوصية الرسول ﷺ إياهم بنا، ما يقع فى يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا أعطانى إياها، قال: فأستحى فأردها على أحدهم، فيردها علىَّ مرة أخرى ما يمسها. [(٢)]

وبموجب هذا لايجوز تعذيب الأسير بالجوع والعطش وغير ذلك من أنواع التعذيب، لأن الإسلام يحرم هذا.

وقد روى أن رسول اللّه ﷺ قال فى بنى قريظة عندما اشتد الحر على الأسرى: [لاتجمعوا عليهم حَرَّ هذا اليوم وحَرَّ السلاح قيلوهم - أى ضعوهم فى مكان فيه ظل وهواء - حتى يبردوا][(٣)].

ولقد حاول عمر بن عبدالعزيز خليفة المسلمين فى حكم بنى أمية، معالجة مسألة الأسرى لا من المسلمين فحسب، ولكن من الروم أيضًا، ممايدل على امتلاء قلبه بحب البشرية كما هو مقتضى تعاليم

(١) منتخب كنز العمال من مسند أحمد ٢: ٣١٣ والبداية والنهاية ٣: ٣٠٦ والحكم فى الحديث ليس لمجرد المشروعية، بل للوجوب، لأنه وارد بصيغة الأمر.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ٨٦.

(٣) شرح السير الكبير ٢: ٢٦٤.

الإسلام. فقد دخل فى مفاوضات مع البيزنطيين للبحث فى مسألة فداء الأسرى الذين وقعوا فى الحملات السابقة التى وجهت فى آسيا الصغرى، طوال حكم الخلفاء السابقين من الجانبين.[1]

القانون الدولى ومعاملة الأسرى

هذه الإنسانية والرحمة الحقيقية بالأسرى فى ظل الإسلام حاكاها القانون الدولى فقرر ضرورة التزامها، وأوجب صيانة حياة الأسرى وأوصى بحسن معاملتهم بما تقتضيه الإنسانية المتمدينة ونظم معاملتهم فى لائحة لاهاى للحرب البرية سنة ١٩٠٧م (المواد ٤ ـ ٢٠) واتفاقية جنيف الثانية سنة ١٩٢٩ وسنة ١٩٤٩.[2]

ولقد نصت الاتفاقية فى المادة (١٢) وما بعدها على حماية الأسرى، وعدم الاعتداء عليهم أو إهانتهم فتنص المادة (١٢) على ما يلى:

يعتبر أسرى الحرب تحت سلطة دولة العدو، لا تحت سلطة الأفراد والوحدات العسكرية التى أسرتهم. والدولة الحاجزة تعتبر مسئولة عن كيفية معاملتهم.

يجوز فقط نقل أسرى الحرب بواسطة الدولة الحاجزة إلى دولة أخرى، تكون طرفًا فى الاتفاقية، بعد أن تقنع الدولة الحاجزة بتوفر الرغبة والكفاية لدى الدولة المنقول إليها الأسرى، لتطبيق الاتفاقية...

وتقضى المادة (١٣) بضرورة معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية، حيث تنص على وجوب معاملة أسرى الحرب فى جميع الأوقات معاملة إنسانية، وأى عمل أو سهو غير مشروع يصدر من الدولة الحاجزة

(١) القانون الدولى العام ط٣ منشأة المعارف الإسكندرية.
(٢) قانون الحرب والحياد للدكتور سامى جنينه ص٢٧٧.

ويتسبب عنه موت أسير فى حراستها، أو تعريض صحته للخطر يعتبر محظورًا، كما يعتبر إخلالاً خطيرًا بهذه الاتفاقية. (١)

ولا يجب على الأخص أن يبتر أى عضو من الأسير، أو أن يكون موضعاً لتجارب طبية أو عملية، من أى نوع كان مما لا تقره الهيئة الطبية المختصة بعلاج الأسير. (٢)

وبالمثل تجب حماية الأسير فى جميع الأوقات وعلى الأخص ضد أعمال العنف أو الإهانة، وضد السباب والتحقير أمام الجماهير.

ومن المحظور الالتجاء إلى إجراءات الأخذ بالثأر ضد أسرى الحرب.

وهذا ما أمر به الإسلام قبل قيام القانون الدولى أو اتفاقية جنيف.

ولقد حدث والخليفة عمر بن الخطاب ـ حاكماً للدولة الإسلامية ـ أن دعى لتقسيم الغنائم بين المقاتلين. وفى أثناء قيامه بهذه المهمة ـ أن وجد أمامه قاتل أخيه زيد بن الخطاب فى موقعة اليمامة. بعد أن أسلم وأصبح جندياً من جنود الفتح، فما أن كان من عمر إلا أن أشاح عنه بوجهه.

فقال له قاتل الأمس جندى اليوم: أتكرهنى يا عمر..؟؟.

فرد عليه أمير المؤمنين قائلاً: نعم أكرهك كما تكره الأرض الدم.

عندها قال القاتل: إذًا أنت مانعى حقى..؟

فرد أمير المؤمنين: أما هذه فلا، لأن اللّه تعالى يقول:

---

(١) معاهدة جنيف بشأن معاملة الأسرى المؤرخة ١٢ من أغسطس ١٩٤٩م وراجع الجهاد فى الإسلام المستشار توفيق على وهبة ص١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) المصدر السابق.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١)

عندها قال القاتل: إذًا يا عمر لا أعبأ بحبك ولا بكرهك ما دمت تعطينى حقى.

وهذه قمة أعلى مرتقى وأصعب على النفس وأشق، فهى مرحلة وراء عدم الاعتداء والوقوف عنده، تتجاوزه إلى إقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض.

معتقلات الأسرى

الإسلام يأمر بشد الوثائق على من قدر عليه من العدو، وهو كناية عن قيد الأسير الذى يقع فى قبضة المسلمين، ليحول ذلك بينه وبين الفرار ولم يكن المسلمون فى صدر الإسلام ينظمون أماكن مخصصة للاعتقال أو الحبس وذلك بسبب بساطة الأوضاع فى ذلك الوقت.

فكان الأسير يوضع فى المسجد مؤقتاً حتى يبت فى أمره، وإما أن يوزع الأسرى على أفراد المسلمين باعتبارهم أنهم متضامنون مع حكومتهم، وهذا هو الغالب. مع عموم الوصية خيراً بهم.

يدل على ذلك حادثتان مشهورتان: فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما: أن الرسول ﷺ حبس فى مسجد المدينة رجلاً من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن أثال سيد أهل اليمامة، فربط بسارية من سوارى المسجد. (٢)

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٨.

(٢) راجع صحيح مسلم وسنن أبى داود، وسنن البيهقى ٦: ٣١٩.

وروى البيهقى أن سودة بنت زمعة [1] . رأت فى بيت النبى ﷺ فى المدينة أبا زيد سهيل بن عمرو [2] أحد أسرى بدر مجموعة يداه إلى عنقه بحبل. فلم تملك نفسها أن توجه إليه الكلام قائلة:

«أى أبا زيد: أسلمتم أنفسكم وأعطيتم بأيديكم، ألامتم كراماً »

ثم فرق الرسول ﷺ الأسارى بين أصحابه. وقال لهم:

[استوصوا بهم خيراً].

وروى البيهقى عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسين بالوثاق، بات رسول الله ساهراً أول الليل فقال له أصحابه : يا رسول الله مالك لا تنام..؟

فقال : لقد سمعت أنين العباس . عمه . وكان من الأسرى . عندها قام بعضهم بحل وثاق العباس . فلم يسمع له أنيناً . فنام رسول الله ﷺ.[3]

يقول الدكتور وهبة الزحيلى : وربط الأسير فى هذه الوقائع لا يتنافى مع ما يقرره القانون الدولى : من أنه لا يجوز تكبيل الأسير، إلا فى حالة الهياج العصبى، إذ أن ربط الأسير فى صدر الإسلام كان مجرد وسيلة لمنعة من الهرب، لعدم تخصيص أماكن لهذا الغرض، فكان ربط الأسير أمراً مؤقتاً حتى يتقرر مصيره، بإنهاء الحرب، والحرب فى القديم تنتهى عادة خلال فترة قصيرة، ولو لم يفعل به ذلك لتمكن من الهرب بعد أسره.

---

(١) إحدى زوجات النبى توفيت سنة ٥٤هـ.

(٢) زعيم من زعماء قريش أسلم يوم فتح مكة، وهو الذى تولىّ أمر الصلح بالحديبية مات بالطاعون فى الشام سنة ١٨هـ.

(٣) سنن البيهقى ٩ . ٨٩ آثار الحرب فى الفقه الإسلامى د. وهبه الزحيلى ص٤١٠.

روى البيهقى عن أسير فر من حجرة عائشة: فجاء النبى ﷺ فقال : يا عائشة أين الأسير..؟

فقالت : نسوة كن عندى فلهيننى عنه فذهب، فأرسل الرسول ﷺ كوكبة من الفرسان فى آثره حتى عثروا عليه.(١)

وهذا أمر جائز بين الدول فى عصرنا الحاضر، فللدولة أن تتخذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة على الأسرى ، وعدم تمكينهم من اللحاق بالقوات التى كانوا منها، فلها أن تضعهم تحت المراقبة، أو تضعهم فى مكان أمين كقلعة، أو حصن من الحصون التى يكون فيها الأبواب مغلقة.

إن الإسلام يقرر كل أنواع الرعاية للأسرى، انطلاقاً من مبادئه السامية التى تجعل من شن الحروب مدعاة، للدعوة إلى دين الله، ورفع كلمته عالية خفاقة فى كل أرض يسكنها البشر.

طعام الأسرى وكسوتهم ومحاكمتهم

إن الإسلام ينطلق فى مبادئه من أن الخلق جميعاً هم عباد الله، وخير هؤلاء الخلق من يكرم عباده.

من هنا نرى أن القرآن الكريم دستور المسلمين الخالد يحض على إطعام الأسير ووصف المسلمين الذين يفعلون ذلك بأنهم فى قمة الإيمان. قال الله تعالى :﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا﴾ (٢)

(١) سنن البيهقى ٩ ـ ٨٩، ٦: ٣٢٠.

(٢) سورة الدهر الآيات من ٨ ـ ١٠.

وروى الإمام أحمد ومسلم - أن ثقيفاً أسرت رجلين من أصحاب النبى ﷺ وأسر أصحاب النبى رجلاً من بنى عامر بن صعصعة [1] ، فمر به النبى ﷺ فقال الأسير : علام أحبس..؟.

فقال النبى : بجريرة حلفائك.

فقال الرجل : إنى مسلم.

فقال النبى ﷺ: لو قلتها وأنت تملك أمرك لأفلحت كل الفلاح، ثم مضى رسول الله ﷺ فناداه قائلاً: إنى جائع فأطعمنى، وظمآن فاسقنى.

فقال النبى ﷺ نعم هذه لك.

ثم فداه بالرجلين اللذين كانت ثقيف أسرتهما [2]

وعندما وقع ثمامة بن أثال أسيراً فى أيدى المسلمين، جاءوا به إلى النبى ﷺ فقال:

[أحسنوا إساره] وقال:

[اجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه، وكانوا يقدمون إليه لبن لقحة - أى ناقة حلوب - غدواً ورواحا] ثم سأله النبى ﷺ ما عندك يا ثمامة؟

فقال عندى يا محمد خير إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما تشاء

فتركه النبى ﷺ إلى الغد ثم أمر بإطلاق سراحه بغير فداء.

---

(1) هو عامر بن الطفيل بن مالك فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وسادتهم فى الجاهلية، أدرك الإسلام شيخًا ولم يسلم مات سنة ١١هـ.

(2) نيل الأوطار ٧: ٢٠٧ وسنن أبى داود ٣: ٧٦.

ولقد أثّر فى ثمامة هذا الصنيع، فاغتسل فى نخل قريب ثم عاد فدخل المسجد فوجد النبى ﷺ فشهد لا إله إلا اللهَّ وأن محمداً رسول اللّه وعاد إلى بيته فى اليمامة. (١)

وفى ذلك الوقت كان أهل مكة أعداء المسلمين يشترون الحنطة من اليمامة فأقسم ألا تباع إليهم إلا بعد إذن رسول اللّه ﷺ.

فكتب أهل مكة للنبى ﷺ يطلبون منه الموافقة على استمرار التجارة، بينهم وبين أهل اليمامة ـ فأذن لهم.

وبهذا يظهر أن الطعام أمر مقرر لا مجال للنزاع فيه.

وبالنسبة لكسوة الأسرى، فالإسلام لم يغفل عن هذه الناحية، فتراه يحض عليها ويأمر بها.

" روى جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه قال : لما كان يوم بدر أتى بأسارى وأتى بالعباس، ولم يكن عليه ثوب، فنظر النبى ﷺ له قميصاً فوجد قميص عبد اللّه بن أبى يكفيه ـ فكساه النبى إياه" (٢)

وذلك أنهم لم يجدوا قميصاً يصلح للعباس إلا قميص عبد اللّه، لأن العباس، كان طويلاً جداً. وروى الطبرانى فى المعجم الأوسط أن ابنة حاتم الطائى (٣) وقعت فى أيدى المسلمين وأنزلت بمكان يمر به النبى ﷺ فتعرضت له وقالت:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فتح البارى ٦: ١٠٨ والعينى شرح البخارى ١٥: ٢٥٧.

(٣) هو حاتم بن عبداللّه الطائى القحطانى أبو عدى فارس شاعر جواد، يضرب المثل بجوده، مات فى السنة الثامنة بعد مولد النبى ﷺ

«هلك الوالد، وغاب الرافد (تعنى أخاها عدياً) فامنن علىَّ منَّ اللَّه عليك، فقال : قد فعلت فلا تعجلى بالخروج، حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك، وأقامت حتى قدم رهط من قومها ، فكساها رسول الله وحملها وأعطاها نفقة، فخرجت معه» (١).

وأما محاكمة الأسير بارتكابه بعض المخالفات فهو حق مقرر فى الإسلام لأنه تحت سلطة الدولة، وأصبح خاضعاً لسيادتها، ولها حق التصرف فى شأنه بما تمليه المصلحة العامة فأولى من ذلك محاكمته لرد الحقوق إلى أربابها، أو للقضاء على مخالفة القوانين واللوائح فى بلاد المسلمين (٢).

إكراه الأسرى على الإدلاء بالأسرار العسكرية

هل يجوز أن يكره الأسير على الإدلاء بالأسرار العسكرية، أو أن يدل على الأهداف الحيوية داخل بلاده..؟

وهل يجوز للدولة الآسرة أن تحرم الأسير من الطعام والماء فترة للضغط عليه حتى يدلى لهم بعورات بلاده..؟

إن الكثير من الدول تلجأ إلى أساليب قاتلة، أقلها ما يطلق عليه " غسيل المخ" وغير ذلك من أنواع التعذيب . حتى تجبر هؤلاء الأسرى، على الإدلاء والاعتراف بالأسرار التى وضعتها دولهم وقيادتهم بين أيديهم.

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى مصدر سابق ٥: ٣٢٥.

(٢) وهذا الشىء يحدث لرعايا الدولة فإذا ارتكب أحد منهم ما يخالف أعراف الدولة: وقع تحت طائلة القانون. فمن باب أولى هؤلاء الأسرى. وإلا لو تركوا لعاثوا فى الدولة فساداً.

إن شريعة الله لا تجوز إكراه الأسير على الإدلاء بأية معلومات من شأنها أن تفيد المسلمين. وهذا ما قرره القانون الدولى: فلا تجيز اتفاقية جنيف التى وقعتها الدول الأعضاء عام ١٩٤٩م للدولة المحاربة استعمال الضغط على الأسير للحصول على معلومات تفيدها فى عملها العسكرى ضد دولته.

وحددت الاتفاقية المعلومات التى يمكن أن تطلبها إليه، وهى الإدلاء باسمه ولقبه ورتبته العسكرية ورقم تحقيق شخصيته فى الجيش وتاريخ ميلاده. (١)

إن ما يطلب من الأسير زيادة على هذه المعلومات، هو فى الحقيقة خرق للأعراف الدولية، وخروج على ما قررته الشرائع السماوية.

---

(٣) راجع قانون الحرب والحياد للدكتور محمود سامى جنينه ص٢٧٩

أصناف الأسرى والأحكام
التى تتعلق بهم فى الإسلام

الأشخاص الذين يقعون فى قبضة الجيش المنتصر بسبب الحرب، هم كالآتى:

أولاً: الأسرى: وهم الرجال المقاتلون إذا ظفر المسلمون بهم أحياء.

ثانيًا: السبى: وهم النساء والأطفال.

ثالثًا: العجزة: وهم الشيوخ الفانون، والمرضى، والعمى، والمقعدون، ويدخل فى حكمهم رجال الدين من الرهبان وأهل الصوامع.

فما موقف الإسلام من هؤلاء: هل هو القتل، أو الاسترقاق، أو المن والفداء..؟

أ ـ القتل:

إذا وقع بعض النساء أو الصبيان فى أسر المسلمين، فلا يجوز قتلهم باتفاق علماء المسلمين، سواء أكانوا من أهل الكتاب، أو من قوم ليس لهم كتاب، كالدهرية وعبدة الأوثان[1].

والدليل على ذلك ما أخرجه الجماعة إلا النسائى: أن رسول الله ﷺ نهى عن قتل النساء والصبيان[2]، فمن قتلهم ضمن قيمتهم عند الشافعية.

---

(١) يراجع الخراج ص ١٩٦ وبداية المجتهد ١: ٣٧١ والمغنى لابن قدامة ٨: ٣٧٧.
(٢) شرح مسلم ١٢ ص ٤٨: ونيل الأوطار ٧: ٢٤٦.

فإن اشترك النساء والأطفال فى القتال مع قومهم بالفعل، أو بالرأى جاز قتلهم فى أثناء القتال.

والدليل على ذلك ما أخرجه أبو داود والطبرانى: أن النبى ﷺ مر بامرأة مقتولة يوم حنين فقال: من قتل هذه...؟

فقال رجل: أنا يا رسول الله غنمتها فأردفتها خلفى، فلما رأت الهزيمة فينا أهوت إلى سيفى، أو إلى قائم سيفى لتقتلنى فقتلتها.

فقال النبى ﷺ ما بال النساء، ما شأن قتل النساء[1].

فهذه امرأة أسيرة حاولت قتل آسرها فجاز قتلها دفاعًا عن النفس، وهو ما عبر عنه الفقهاء بدفع الصائل.

يقول الدكتور وهبة الزحيلى:[2] وهذا يتفق مع ما يقرره القانون الدولى حيث يجيز توجيه أعمال القتال نحو قوات جيش الدولة النظامى، الرجال منهم والنساء سواء أكانوا مجندين إجباريًا أو عن طريق التطوع، وكل من يجوز قتله يجوز أخذه أسيرًا.

ب: الرق:

إذا لم يجز قتل السبى بعد الأسر فالرأى أن الإمام يخير حينئذ بين الاسترقاق والمن والفداء. ويرى بعض الفقهاء أن يصيرهم الإمام أرقاء ويقسمون مع الغنائم[3]. ودليلهم على هذا: «حكم سعد بن معاذ - فيما أخرجه البخارى ومسلم - بسبى ذرارى بنى قريظة[4].

(١) شرح سنن البيهقى ٩: ٨٢ ومجمع الزوائد ٥: ٣١٦.
(٢) آثار الحرب د. وهبه الزحيلى ص ٤١٩.
(٣) مغنى المحتاج ٤: ٢٢٧، المغنى ٨: ٣٧٦، الروضة البهية ١: ٢٢١.
(٤) سنن البيهق ٩: ٦٣.

والحكمة التى يراها الفقهاء من جواز السبى - وهو أنه قد يبقى النساء والأطفال بعد الحرب بلا عائل يعولهم، ولا قدرة لهم على الكسب، فيكون من الأفضل لهم أن يكونوا فى رعاية الفاتحين مع وجود أمل كبير فى عتقهم، أو مبادلتهم بأسرى المسلمين.

ومع هذا فقد أوصى الإسلام بهم خيرًا وحث على عتقهم، ومنحهم الحرية.

ج: المن:

يجوز للإمام أن يطلق سراح الأسرى ويسرحهم إلى بلادهم بدون مقابل لقوله تعالى ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[1].

والرسول ﷺ بعد قسمه سبى هوازن بحنين جاءه وفودهم مسلمين، فذكروه حرمة رضاعه فيهم من لبن حليمة، فرد إليهم سبيهم من النساء والأطفال، بعد أن استطاب نفوس المقاتلين[2].

وعن الزهرى، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه، أن النبى ﷺ قال لأسارى بدر: (لو أن مطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لأطلقتهم له).

وقد منَّ رسول الله ﷺ بعد بدر على سبى أهل اليمن بلا فدية، ولا مال»[3].

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أنس بن مالك أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على النبى ﷺ وأصحابه من جبال التنعيم عند صلاة

(١) سورة محمد آية رقم ٤.
(٢) صحيح البخارى ٥: ١٥٤، سنن أبى داود ٣: ٨٣، مجمع الزوائد ٦: ١٨٧.
(٣) الأموال: ص ١٢.

الفجر ليقتلوهم. فأخذهم رسول الله ﷺ أسرى، ثم منَّ عليهم بغير فدية[1]. فأنزل الله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[2].

وعن عائشة قالت: لما بعث أهل مكة فى فداء أسراهم - الذين أسرهم المسلمون فى غزوة بدر - بعثت زينب بنت الرسول ﷺ فى فداء زوجها أبى العاص بمال وبعثت فيه بقلادة لها كانت أهدتها لها أمها خديجة - قال: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة. وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها».

فقالوا: نعم[3].

ثم إن العاصى بن الربيع أسر مرة أخرى وكانت معه تجارة لقريش، فأجارته زينب زوجته وردت إليه تجارته، ثم احتمل إلى مكة، فأدى إلى كل ذى مال من قريش ماله، ثم قال:

يا معشر قريش: هل بقى لأحد منكم عندى مال لم يأخذه..؟

قالوا: لا : فجزاك الله خيرًا فقد وجدناك وفيًا كريمًا.

قال: فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله. والله ما منعنى من الإسلام عنده إلا تخوف أن تظنوا أنى إنما أردت أن آكل أموالكم. فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت[4].

(١) أبو داود فى الجهاد رقم ٢٦٧٩.
(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٤.
(٣) الحديث رواه الإمام أحمد والترمذى وراجع نيل الأوطار ٧: ٣٤٧.
(٤) الحديث رواه الإمام أحمد، وراجع نيل الأطار ٧: ٣٤٨.

ثم خرج مهاجرًا حتى قدم على رسول الله ﷺ.

د: الفداء:

يجوز لولى الأمر أن يفادى بالسبى من نساء أو صبيان ودليل ذلك أن رسول الله ﷺ سبى نساء بنى قريظة وذراريهم، فباعهم من المشركين فاشترى أبو الشحم اليهودى أهل بيت عجوز وولدها من النبى ﷺ وبعث رسول الله بما بقى من السبايا أثلاثا، ثلثا إلى تهامة، وثلثا إلى نجد، وثلثا إلى طريق الشام.

فبيعوا بالخيل والسلاح، والإبل والمال، وفيهم الصغير والكبير»(١).

ويدل على ذلك ما روى عن ابن عباس - رضى الله عنهما - «أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعمائة»(٢).

وقوله تعالى ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾(٣).

وفى الآية دلالة واضحة على جواز مفادة الأسير بالمال.

وروى عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ فدى رجلين من المسلمين برجل من المشاركين من بنى عقيل(٤).

وفى هذا الحديث دلالة واضحة على فداء المسلمين من المشركين.

وروى ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: وكان ناس من الأسرى

---

(١) راجع سيرة ابن هشام ٢: ٦٥٨.

(٢) الحديث أخرجه مسلم فى الجهاد حديث ١٨٠٨ والترمذى فى التفسير حديث ٣٢٦٠ وأحمد بن حنبل فى المسند ٣: ١٢٤ - ٢٩٠ (حلبى).

(٣) سورة محمد آية رقم ٤.

(٤) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد ٢٦٩٢ بسنده عن عائشة - رضى الله عنها - وراجع سيرة ابن هشام أسرى بدر.

يوم بدر لم يكن لهم فداء. فجعل رسول الله ﷺ فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة والقراءة[1].

وهذا الحديث يدل على جواز مفاداة الأسير على تعليمه عددًا معينًا من أبناء المسلمين.

وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «لأن استنقذ رجلاً من المسلمين من أيدى الكفار أحب إلى من جزيرة العرب»[2].

ويقول القرطبى: روى عن بعضهم أنه قال: كنت واقفًا على رأس الحجاج حين أتى بالأسرى من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث وهم أربعة آلاف وثمانمائة، فقتل منهم نحوًا من ثلاثة آلاف. حتى قدم إليه رجل من كنده فقال:

يا حجاج لا جازاك الله عن السنة والكرم خيرًا.

قال الحجاج: ولما ذلك..؟

قال: لأن الله تعالى يقول:

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾[3].

فوالله: ما مننت ولا فديت..؟؟

وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الأخلاق.

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

(1) سيرة ابن هشام فداء أسرى بدر تحقيق محيى الدين عبد الحميد.
(2) حضارة الإسلام، عبد العزيز سيد الأهل - ط لجنة التعريف بالإسلام ١: ١١٦.
(3) سورة محمد آية رقم ٤.

فقال الحجاج: أف لهذه الجيف؟؟ أما كان فيهم من يحسن هذا الكلام..؟

خلوا سبيل من بقى. فخلى يؤمئذ عن بقية الأسرى، وهم زهاء ألفين بقول ذلك الرجل الذى ذكرهم بقول الله تعالى.

وقال القرطبى: ولا حجة لمن استشهد بقوله تعالى **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾**[1].

فقد قال الثورى عن جويبر عن الضحاك أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى:

﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾[2].

وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن عطاء **﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾** فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادى.

وقال أشعب: كان الحسن يكره أن يقتل الأسير ويتلو **﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾**.

٢ ـ العجزة ومن فى حكمهم:

الرأى الأرجح عند الفقهاء أنهم لايقتلون، لما روى أن أبا بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قال ليزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص، وشرحبيل بن حسنه، لما بعثهم إلى الشام:

«لا تقتلوا الولدان ولا النساء ولا الشيوخ، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم على الصوامع فدعوهم، وما حبسوا له أنفسهم»[3].

---

(١) تفسير القرطبى ١٦: ٢٢٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) البدائع ٧: ١٠١ وبداية المجتهد ١: ٣٧١. مغنى المحتاج ٤: ٢٢٣.

وكذلك لا يجوز سبيهم، إذا لم يرد ذلك عن الرسول ﷺ.

وأيضًا لعدم تعرضهم لأعمال القتال. وهذا يتفق من حيث المبدأ مع ما تقرره اتفاقية جنيف ١٩٢٩م من أن الأطباء والممرضين، ورجال الدين، لا يجوز التعرض لهم، ولا يجوز أخذهم أسرى حرب، لقيامهم بخدمات إنسانية نحو المرضى والجرحى لكلا الطرفين المتحاربين(١).

٣ - الأسرى: هم الرجال المقاتلون من الكفار إذا ظفر المسلمون بأسرهم أحياء:

والأسر مشروع فى الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ﴾(٢) وقوله أيضًا:

﴿فَشُدُّوا الْوَثَاقَ﴾(٣) وإذا كان الأمر كذلك فما حكم الأسرى على العموم..؟

أولاً: القتل وهل يجوز قتل الأسير..؟

الثابت من فعل الرسول ﷺ أنه كان يمن على بعض الأسارى ويقتل بعضهم، ويفادى بالمال أو الأسرى، وذلك حسب ما تقتضيه المصلحة العامة ويراه ملائمًا لحال المسلمين.

وبهذا يظهر أن الإسلام بمنأى عما كان سائدًا فى القرون الوسطى من إعدام الأسرى وذبحهم، وما يفعله بعض الأوروبيين فى حروبهم الحديثة. كما صنع نابليون بونابرت معلن حقوق الإنسان فى الثورة

---

(١) قانون الحرب والحياد مصدر سابق ص ٢٧٥.
(٢) سورة التوبة آية رقم ٥.
(٣) سورة محمد آية رقم ٤.

الفرنسية - فى الأسرى فى عكا سنة ١٧٩٩م فإنه أباد ما يزيد على أربعة آلاف بعد تسليمهم عن بكرة أبيهم، وكما فعل النازيون وغيرهم فى الحرب العالمية الثانية، حيث كانوا يقتلون الآلاف المؤلفة من الأسرى، ويذيقونهم قبل القتل أشد العذاب[١].

ثانيًا: الرق:

تمهيد: فى تاريخ الرق، كان الرق أمرًا مشروعًا عند الأمم القديمة وقد أقرته اليهودية[٢] واعترفت به المسيحية[٣]، وقد أقر الرق جمع من الفلاسفة والفقهاء من رومان ويونان مثل: أفلاطون، وأرسطو وشيشرون، واعتبروه من الأمور الطبيعية أو الضرورية[٤].

وبذلك كان الرق عماد الحركة التجارية والزراعية، وكان يعتبر نظامًا أساسيًا فى حياة الشعوب القديمة، ودعامة فى كيانها الاقتصادى والاجتماعى.

فلما جاء الإسلام والحالة هذه، لم يتمكن من إلغاء الرق فى العالم حتى لا تصطدم دعوته مع مألوف النفوس.

ثم أخذ فى تهيئة الأسباب للقضاء على الرق، وحرم سائر مصادره ما عدا رق الأسر بسبب الحرب العادلة لدفع العدوان، إذ لو استرق الأعداء أسرى المسلمين دون مقابلتهم بالمثل لاستمرا العدو فعله، ولكان ذلك سببًا فى زيادة عدد الرقيق فى العالم.

---

(١) العلاقات السياسية الدولية الدكتور العمرى ص ٤٩ - ١٢٩.
(٢) العهد القديم، الاصحاح العشرون من تثنية الاشتراع.
(٣) رسالة لويس إلى أهل أفسس العهد الجديد الإصحاح السادس من الرسالة المذكورة.
(٤) القانون الرومانى الدراوى ويدر ص ١٧٤ والرق فى الإسلام ص ٢٣.

فلجأ المسلمون إلى استرقاق أعدائهم حتى يفهم الأعداء أن المسلمين يستطيعون تنفيذ تعاليم الحرب وتثبيت الهيبة والسلطان - حتى إذا توقفت الحرب حرر المسلمون الذين استرقوهم ليكون ذلك مدعاة لقبولهم الإسلام والانضمام تحت لوائه.

والدليل على ذلك أن أغلب ما استرق من القبائل العربية أو أفراد العدو الخارجى قد عاد حرًا.

فقد رد رسول الله ﷺ ستة آلاف من سبى هوازن من النساء والصبيان والرجال إلى هوازن حين أسلموا.

ومنّ الرسول ﷺ على أهل مكة بقوله: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وكذا منّ على أهل خيبر، وتزوج رسول الله ﷺ جويريه بنت الحارث من سبايا بنى المصطلق، فأعتق بتزوجه إياها مائة من أهل بيت بنى المصطلق، إكرامًا لصهر رسول الله ﷺ فما كانت امرأة أعظم بركة على قومها منها - كما قالت السيدة عائشة - رضى الله عنهما فيما رواه أحمد[1].

وفى سبيل التخلص من رقيق الأسر وتوابعه شرع الإسلام منافذ عديدة لعتق الرقاب، فجعل القرآن الكريم مصير الأسير إما المن وإما الفداء[2]، وجعل العتق كفارة عن كثير من الجرائم والذنوب، وخصص الإسلام سهمًا لبيت المال من الصدقات، التى تجبى لتنفق فى سبيل تحرير الرقاب وغير ذلك[3].

(١) مسند الإمام أحمد وسبل الإسلام ٤: ٤٥.
(٢) لقوله تعالى: ﴿فإما منا بعد وإما فداء﴾.
(٣) قال تعالى: ﴿وفى الرقاب والغارمين﴾.

إسلام الأسير

إذا أسلم أحد من السبى من النساء أو الصبيان فإنه لا يجوز رده إلى بلاده، منعًا للفتنة فى الدين، أو الاعتداء على شرف مسلمة مثل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾(١) .

وإن أسلم الأسير المكلف عصم الإسلام دمه، فيحرم قتله عند جميع العلماء لقوله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها)(٢).

المعاملة الإنسانية لأسرى الأعداء وجرحاهم بعد انتهاء القتال

من سماحة الإسلام وعدله عدم التعرض للمدنيين الذين لم يشتركوا فى القتال من الأعداء ومعاملتهم معاملة حسنة.

ولقد كان المسلمون فى كل حروبهم سلمًا على المدنيين، ورحمة وسعادة لأهل البلاد التى يمرون بها، أو يذهبون للقتال فيها.

وهذا ما جعل الأمم تندفع للدخول فى دين الله، والمسلمون فعلوا ذلك تنفيذًا لأمر قائدهم الذى كان دائمًا فى حالة انطلاق الجيش للقتال يوصيهم بقوله:

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم ١٠.

(٢) رواه الإمام البخارى ومسلم فى صحيحيهما.

«اغزوهم باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، واغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة. وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم»[1].

لقد نهاهم قائدهم عن الغلول لقوله تعالى ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[2].

ونهاهم عن الغدر لقوله ﷺ: (ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به)[3].

ونهاهم عن قتل الأطفال والنساء:

روى الإمام مسلم عن نافع عن ابن عمر أن النبى ﷺ: رأى امرأة مقتولة فى بعض مغازيه فقال:

(ألم أنه عن قتل النساء..؟ من صاحب هذه المرأة المقتولة..؟).

قال رجل: أنا يا رسول الله أردفتها فأرادت أن تصرعنى فتقتلنى.

فأمر بها رسول الله ﷺ أن تدفن[4].

لقد أمر بها الرسول أن تدفن احترامًا لآدمية الإنسان، وهذا أمر عام لجماعة المسلمين بأن يعملوا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً بدفن قتلى الأعداء، حتى ليأثموا إذا تركوهم بالعراء منبوذين.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الجهاد ٢ باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيره ٢ (١٧٣١) بسنده عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريده عن أبيه قال كان رسول الله - ﷺ - وذكره وراجع نيل الأوطار ٧: ٢٨٢ والأذكار لمحيى الدين النووى: ٩٣.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٦١.

(٣) أخرجه مسلم فى كتاب الجهاد، ٤ باب تحريم الغدر.

(٤) أخرجه الإمام مسلم فى كتاب الجهاد ٨ باب تحريم قتل النساء والصبيان فى الحرب رقم ٢٤ (١٧٤٤) بسنده عن نافع عن ابن عمر.

وقد يوقف القتال لدفن القتلى من الجانبين أو قتلى العدو إذا لم يكن فى الميدان سوى قتلاه ويؤيد هذا ما رواه ابن عباس - رضى الله عنهما - أن رجلاً من المشركين قتل يوم الأحزاب، فبعث المشركون إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا بجسده، نعطيك اثنى عشر ألفًا.

فقال رسول الله ﷺ: لا خير فى جسده، ولا فى ثمنه). ثم أمكنهم من أخذه إليهم.

وهذا يدل دلالة واضحة على وقف القتال وتمكين العدو من دفن قتلاه.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه إلى تبادل المعلومات مع العدو عن جثث القتلى، لأن ذلك من الأمور الضرورية فى الإسلام، لإنقاذ المشاكل الاجتماعية التى تتعلق بأحكام المفقودين.

من ذلك ما رواه ابن اسحاق فى غزوة أحد. من أن رسول الله ﷺ لما فرغ الناس لقتلاهم جعل يتفقدهم، ليرى أفى الأحياء منهم أحد فيستنقذ، ويدفن من عداه فقال:

(من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع فى الأحياء هو أم فى الأموات..؟).

فقال رجل من الأنصار: أنا أنظر لك يا رسول الله ما فعل سعد.

فنظر فوجده جريحًا فى القتلى وبه رمق.

قال: فقلت له: إن رسول الله ﷺ أمرنى أن أنظر أفى الأحياء أنت أم فى الأموات..؟

قال: أنا فى الأموات، فأبلغ قومك عنى السلام، وقل لهم إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تطرف.

قال: ثم لم أبرح حتى مات.

قال: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته خبره.

فتعرف مصائر الجند فوق أنه من المصالح الواضحة - نراه مما أثر عن الرسول ﷺ من الاعتناء والاهتمام به، فإذا توقف الرسول ﷺ عن القتال من أجل تبادل المعلومات عن القتلى مع العدو بنفسه، فلا بأس بل لا يسوغ ترك هذه القاعدة[1].

النهى عن المثلة أو التمثيل بالقتلى

المثلة أو التمثيل ببنى الإنسان عادات سيئة وقبيحة، حاربها الإسلام ومنع المجاهدين المسلمين من فعلها، ونهاهم أن تتوق نفوسهم إلى التشفى من عدوهم عند الظفر بهم فيعملوا على قطع أعضائه، أو يسملوا عينيه، أو يجدعوا أنفه أو أذنه، أو يحرقوه بالنار، كما كانت تفعل الجاهلية الأولى.

لقد حارب الإسلام هذه العادات السيئة القبيحة، حتى ولو كان هذا الشيء مع البهائم، أو الطيور أو غير ذلك.

وسبب هذا التحريم ما حدث بعد غزوة أحد، من أن هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان ومعها نسوة، انطلقن يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ يجدعن الأنوف والآذان، حتى اتخذت هند لنفسها من آذان الرجال وأنوفهم قلائد وأقراطًا.

---

(١) انظر موجز القانون الدولى د. إبراهيم عبد الحميد ص ٢٠٦ وسيرة ابن هشام ٢ - ٩٤ - ٩٥.

ثم بقرت عن كبد حمزة فمضغتها. فلم تستطع أن تبتلعها فطرحتها.

وبعد أن وارت قريش قتلاها، وعاد المسلمون إلى ميدان المعركة لدفن قتلاهم. خرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة بن عبد المطلب بين القتلى، فوجده ببطن الوادى وقد بقر بطنه عن كبده، ومثل به فجدع أنفه وإذناه، فلما رآه بهذه الحالة حزن حزنًا شديدًا.

وقال: لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم.

ولما رأى المسلمون حزن الرسول ﷺ وغيظه على من فعل بعمه ما فعل. قالوا:

«والله لئن أظفرنا الله بهم يومًا من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب. فأنزل الله جل وعلا فى ذلك:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[١].

فصبر رسول الله ﷺ ونهى عن المثلة[٢].

وقد روى عن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ فى سرية فقال: (سيروا باسم الله وفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليدًا)[١].

فالحديث يدل دلالة كافية على تحريم المثلة.

(١) سورة النحل الآيتان رقم ١٢٦ - ١٢٧.
(٢) سرة ابن هشام ٢: ٩١ - ٩٦ وتفسير ابن كثير ٢: ٥٩٢ - ٥٩٣ وتفسير الكشاف ٢: ٢٢٢.
(٣) رواه الإمام أحمد وابن ماجه وراجع نيل الأوطار ٧: ٢٨٢.

وروى عن سمرة بن جندب قال: ما قام رسول الله ﷺ فى مقام قط ففارقه حتى يأمرنا بالصدقة وينهانا عن المثلة[1].

وروى أن هبارًا بن الأسود أصاب زينب بنت رسول الله ﷺ بشىء فى خدرها فأسقطت، فبعث رسول الله ﷺ سرية فقال: (إن وجدتموه فاجعلوه بين حزمتى حطب ثم أشعلوا فيها النار).

ثم قال: (ألا نستحى من الله لا ينبغى لأحد أن يعذب بعذاب الله)[2].

يقول الشوكانى: ظاهر النهى فى الحديث التحريم، وهو نسخ لغيره سواء كان بو حى إليه أو اجتهاد، وهو محمول على من قصد إلى ذلك فى شخص بعينه.

وروى محمد بن عمر وابن عطاء أخو بنى عامر بن لؤى:

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

«يا رسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو فلا يقوم عليك خطيبا فى موطن أبدًا». فقال رسول الله ﷺ:

(لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيًا)[3]. سيرة ابن هشام٢: ٦٤٩.

وروى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور)[4].

---

(٢) فتح البارى ٧: ٣٦٩ وسنن البيهقى والمغنى ٨: ٤٩٤ وسيرة ابن هشام ٢: ٩٦ وسنن أبى داود ٣: ٥٣، والجهاد. ط مجمع البحوث الإسلامية.

(٢) نيل الأوطار ٧: ٢٨٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ٦٤٩ والبداية والنهاية ٣: ٣١٠.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٨٧.

من هذه الآثار والأحاديث يتبين أن المسلمين لايمثلون بقتلاهم، ولا يقطون رءوسهم، بل يعتبرونهم آدميين - لهم حق التكريم أحياء وأمواتًا أتباعًا لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾(1).

كرمه بالاستعدادات التى أودعها فطرته، والتى استأهل بها الخلافة فى الأرض يغير فيها ويبدل، وينتج فيها وينشئ، ويركب فيها ويحلل، ويبلغ بها الكمال المقدر للحياة.

وكرمه بتسخير القوى الكونية له فى الأرض، وإمداده بعون القوى الكونية فى الكواكب والأفلاك.

ومن التكريم: أن يكون الإنسان قيمًا على نفسه، محتملاً تبعة اتجاهه وعمله. فهذه هى الصفة الأولى التى بها كان الإنسان إنسانًا حرية الاتجاه. وفردية التبعة، وبها استخلف فى دار العمل.

فمن العدل أن يلقى جزاء اتجاهه وثمرة عمله فى دار الحساب.

وكان المسلمون يمتثلون دائمًا ويلتزمون بقول رسولهم الكريم:

(إن الله كتب الإحسان على كل شىء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وليحد أحدكم شفرته وليريح ذبيحته)(2).

هذا كله بالنسبة للحيوان فلا شك أنهم مع الإنسان المكرم من ربه أكثر رحمة وتسامحًا وعطفًا. لأن رسولهم الكريم حببهم فى ذلك فقال:

---

(1) سورة الإسراء ٧٠.

(2) الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم - والنسائى وابن ماجه، راجع نيل الأوطار ٨: ١٦٠ وشرح مسلم للإمام النووى ١٣: ١٠٦.

(إن أعف الناس قتلة أهل الإيمان)[1].

لقد عاب البعض على المسلمين أنهم كانوا يحملون السيف ـ وهذا حق وصدق: واتهموهم بالباطل أنهم أجبروا الناس على الدخول فى الإسلام وهذا غير صحيح.

أما عن السيف فالواقع أنهم كانوا يحملون سيوفهم، ومن وراء سيوفهم أخلاقهم فكأن سيوفهم نفسها ذات أخلاق.

إن السيف لم يحمل فى الحروب الإسلامية إلا دفاعًا عن حق أو قهرًا لباطل غشوم.

ولسنا هنا بصدد المقارنة بين «سيف الإسلام» الذى تحول إلى خشب أو إلى عصا يتكئ الخطيب عليه إذا خطب، وبين سيفهم الذى تحول إلى قنابل ذرية، وقنابل هيدروجينية، والذى يقتل بضربة واحدة عشرات الملايين من الضحايا فى أسيا وإفريقيا وغيرها.

وما حدث فى «هيروشيما» وفى مناجم الفحم فى «روسيا» ليس ببعيد.

أما عن الاتهام الآخر فإن الإسلام لم يجبر أحدًا للدخول فيه، لأن منزله يقول فى الوحى الذى أنزله على رسوله:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2].

ويقول أيضًا:

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه أبو داود: راجع المصدر السابق.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.

(٣) سورة يونس آية رقم ٩٩.

روى فى سبب نزول هذه الآية: أن رجلاً من الأنصار يقال له أبو حسين كان له ابنان فقدم تجار من الشام إلى المدينة يحملون الزيت.

فلما أرادوا الخروج أتاهم ابنا الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصرا ومضيا معهم إلى الشام، فأتى أبوهما رسول الله ﷺ مشتكيًا أمرهما، ورغب فى أن يبعث رسول الله ﷺ من يردهما. فنزلت:

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾.

وروى زيد بن أسلم عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لعجوز نصرانية: أسلمى أيتها العجوز تسلمى، إن الله بعث محمدًا بالحق.

قالت: أنا عجوز كبيرة والموت إلىَّ قريب.

فقال عمر: اللهم اشهد وتلا ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[1].

فكيف يقال بعد ذلك إن المسلمين اكرهوا غيرهم على اعتناق الإسلام..؟؟؟.

عدم التفريق بين الأسرى

من القواعد المتبعة عند الاستراتيجية الإسلامية مراعاة الجانب الإنسانى، والرحمة بالنساء والأطفال إذا كانوا من جملة الأسرى وينبثق هذا الشعور من التزامهم بعقيدتهم، ووصايا قادتهم وأولى الأمر فيهم.

لهذا يكاد يكون إجماعا عدم التفريق بين الأم وولدها الطفل فى حالة توزيع الغنائم على المقاتلين.

---

(١) راجع تفسير القرطبى ٣: ٢٨٠.

يقول الصحابى الجليل أبو أيوب الأنصارى: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة»(١).

وقال النبى - ﷺ: «لا توله والدة عن ولدها» لهذا يقول الإمام أحمد ابن حنبل: لا يفرق بين الأم وولدها وإن رضيت، وذلك لما فى التفريق من الإضرار بالولد، ولأن بعض النساء قد ترضى بالأمر أو تفعل ما فيه ضررها، ثم تتبين لها عاقبة هذا الأمر فتندم عليه»(٢).

ولما لم يجز التفريق بين الابن والأم كذلك لا يجوز التفريق بين الابن وأبيه، ولأنه أحد الأبوين فأشبه الأم.

وهذه الأقوال على العموم سواء أكان الولد صغيرًا أو كبيرًا لأن الوالدة تتضرر بمفارقة ولدها الكبير.

ولهذا حرم الإسلام أن يخرج الابن إلى القتال بدون إذنها.

عن أبى سعيد الخدرى أن رجلاً هاجر إلى رسول الله - ﷺ - من اليمن فقال: هل لك أحد باليمن.

قال: أبواى. قال: أذنا لك..؟ قال: لا.

قال: ارجع إليهما فاستأذنهما فإن أذنا لك فجاهد، وإلا فبرهما»(٣).

وأيضًا: ما رواه عبادة بن الصامت - أن النبى - ﷺ - قال: لا يفرق بين الوالدة وولدها. فقيل إلى متى..؟

قال: حتى يبلغ الغلام وتحيض الفتاة.

---

(١) أخرجه الترمذى: وقال حديث حسن غريب ٢.
(٢) المغنى لابن قدامه ٧: ٤٢٢.
(٣) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد رقم ٢٥٣٠.

وإن فرق بينهما بالبيع فالبيع فاسد، وبه قال الإمام الشافعى وذلك للحديث الذى رواه أبو داود فى سننه عن على - رضي الله عنه - أنه فرق بين الأم وولدها فنهاه رسول الله - ﷺ عن ذلك ورد البيع(١).

من هنا يتبين أن القوة الضاربة للمسلمين عندما خرجت من الجزيرة العربية، لم يكن من أهدافها القتل، أو إزهاق الأرواح، أو التسلط والتجبر فى الأرض.

وإنما كانت الغاية والهدف: نشر دين الله، وتبليغ الرسالة إلى الناس كافة، دون تفريق بين جنس وجنس، أو بين لون ولون، لأن الجميع خلق الله، ويجب أن يدينوا لربهم بالطاعة والولاء فى كل ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه.

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود فى كتاب الجهاد رقم ٢٢٩٦.

الفصل الرابع

المبادئ الأساسية للاستراتيجية الإسلامية في السلم والحرب

ويشمل على الآتى:

١ ـ الوفاء بالعهود
٢ ـ احترام الإنسانية والدعوة إلى الإخاء الشامل
٣ ـ الفضيلة والمعاملة الطيبة أساس العلاقات الدولية
٤ ـ العدالة المطلقة

المبادئ الأساسية للاستراتيجية الإسلامية

فى السلم والحرب

١ - الوفاء بالعهود والمواثيق، فلا غدر ولا خيانة فى السر أو فى العلن. قال الله تعالى:

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة فى التعامل بين الناس وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع، ولا تستقر الدول مع ويلات الحرب، وأهوال القتال، والنص القرآنى يخجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله كفيلاً عليهم وأشهدوه على عهدهم، وجعلوه كافلاً للوفاء بها، ثم يهددهم تهديدًا خفيًا بقوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩١.

وقد تشدد الإسلام فى مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبدًا لأنها قاعدة الثقة التى ينفرط بدونها عقد الدول ويهدم.

ويمثل القرآن من ينقض العهد مثل امرأة حمقاء ملتاثة العقل ضعيفة العزم والرأى تفتل غزلها ثم تنقضه وتتركه مرة أخرى قطعًا منكوثة ومحلولة.

قال تعالى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾(1).

والاستراتيجية الإسلامية تلتزم جانب الوفاء بالعهد حتى فى حال استنصار فئة مسلمة مستضعفة بالجماعة الإسلامية الكبرى قال الله تعالى:

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾(2).

فلا تنصر هذه الفئة المسلمة على هؤلاء الذين بيننا وبينهم عهد من الكفار مما يتضح منه أن الله سبحانه وتعالى جعل الوفاء بالعهد فوق حق الأخوة الإسلامية.

وتأكيدًا لضمانات الوفاء بالعهود يقول الرسول القائد تنفيرًا من نقض العهود (لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به بقدر غدرته)(3).

---

(1) سورة النحل آية رقم ٩٢.
(2) سورة الأنفال آية رقم ٧٢.
(3) الحديث أخرجه البخارى فى الأدب ٩٩ والفتن ٢١ ومسلم فى الجهاد ٨ - ١٠ - ١٧ وأبو داود فى الجهاد ١٦٢ باب الوفاء بالعهود.

وعن أبى بكرة قال: قال رسول الله - ﷺ: (من قتل معاهدًا فى غير كنه حرم الله عليه الجنة)[1].

وبهذا يظهر أن التعايش السلمى الذى تدعو إليه بعض الدول فى عالمنا المعاصر قد سبقهم الإسلام إلى ذلك ودعمه على أساس من الود وذلك بإقامة العلاقات الطيبة مع مختلف الشعوب لاعترافه بحق المساواة بين الأمم، واقراره تنظيم العلاقات مع غير المسلمين على أساس احترام المعاهدات. وأخراس صوت المعارك.

٢ - احترام الإنسانية والدعوة إلى الإخاء الشامل. قال الله تعالى:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

يا أيها الناس كل الناس المختلفين فى الجنس واللون والمتفرقين شعوبًا وأمما إنكم من أصل واحد، فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا والذى يناديهم بذلك هو الله تعالى الذى خلقهم والخبير بكل خلجة من خلجاتهم وبكل ذرة من أجسادهم.

يقول صاحب كتاب الظلال:

«وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات فى الأرض، وترخص وتهون جميع القيم التى يتكالب عليها الناس، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون: ألوهية الله للجميع خلقهم من أصل واحد كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته، لواء التقوى فى ظل الله تعالى وهذا اللواء هو الذى ينقذ البشرية من العصبية

(١) رواه أبو دواد ١٦٥ باب فى الوفاء للمعاهد وحرمة ذمته والنسائى فى القسامة ٨ - ٢٤ - ٢٥ باب تعظيم قتل المعاهد.

للجنس والعصبية للأرض، والعصبية للدولة وكلها لا تساوى شيئًا فى ميزان الألفة والتعاون والمحبة[1].

وقال رسول الله - ﷺ:

«كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان»[2].

٣ - الفضيلة والمعاملة الطيبة أساس العلاقات الدولية فى السلم والحرب ففى الحرب لا يجوز قتال غير المقاتلين ولا التخريب ولا التدمير، ولا تنتهك الأعراض، وإن صنع العدو ذلك.

وقد كتب عمر بن الخطاب حاكم الدولة الإسلامية فى ذلك الوقت إلى قائد جيشه سعد بن أبى وقاص قائلاً:

«آمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصى منكم من عدوكم فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما ينصر المسلمون لمعصية عدوهم الله، ولولا ذلك لم تكن لنا قوة بهم، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم. فإن استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا.

ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم سلط الله عليهم من هو شر منهم قال تعالى ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً﴾[3].

---

(١) راجع ظلال القرآن سيد قطب ٧ - ٥٣٧.

(٢) الحديث رواه أبو بكر البزار فى مسنده من حديث حذيفة، والجعلان: حشرة قذرة توجد دائمًا على القاذورات.

(٣) سورة الإسراء آية رقم ٥.

ويقول أبو بكر الخليفة الأول - رضي الله عنه - لجيشه:

«سيروا على بركة الله ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخًا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرة ولا تعقروا بعيرًا ولا بقرة ولا شاة إلا لمأكلة».

وستمرون بقوم يعبدون الله فى الصوامع «الكنائس» فدعوهم وما خلوا أنفسهم له».

٤ - العدالة المطلقة التى لا تميل يمنة ولا يسرة.

يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

جاء الله بالعدل وأمر به: العدل الذى يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل تقربًا للصهر والنسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف، وإنما تمضى فى طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع، وتزن بميزان واحد للجميع.

وإلى جوار العدل «الإحسان» يلطف من حدة العدل الصارم الجازم ويدع الباب مفتوحًا لمن يريد أن يتسامح فى بعض حقه إيثارًا لود القلوب وشفاء لغل الصدور ولمن يريد أن ينهض بما فوق العدل الواجب عليه ليداوى جرحًا أو يكسب فضلاً.

ومن أمثلة العدل ما حدث مع عمر بن الخطاب الحاكم للدولة الإسلامية وبين قاتل أخيه. زيد بن الخطاب.

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩٠.

وقصة ذلك أن زيد بن الخطاب كان جنديًا فى جيش المسلمين فى حروب الردة. فقتله رجل من الكفار، وما كادت المعركة تنتهى - حتى تقدم هذا القاتل وأعلن إسلامه وتوبته من سابق أعماله. وانخرط فى جيش الفتح الذاهب إلى أرض فارس. وعندما عاد أخذ الحاكم العام يقسم الغنائم على المقاتلين فلمح عمر قاتل أخيه فأشاح عنه بوجهه فقال له القاتل: أتكرهنى يا عمر..؟

فقال له عمر: نعم أكرهك كما تكره الأرض الدم.

فقال المقاتل: أمانعى إذًا حقى فى الغنيمة..؟

قال عمر: أما هذه فلا أقدر عليها لأن الله تعالى يقول:

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1].

وهذه قمة عالية فى ضبط النفس والسماحة يرفعهم الله إليها بمنهجه القويم فهو ينهاهم أن يحملهم كره الآخرين أن يميلوا عن العدل وهى قمة أصعب على النفس وأشق، فهى مرحلة وراء عدم الاعتداء والوقوف عنده، تتجاوزه إلى إقامة العدل مع الشعور بالكره والبغض إن النفس البشرية لاترتقى هذا المرتقى الصعب إلا حين تتعامل فى هذا الأمر مع خالقها مباشرة وحين تقوم لله متجرة من كل حول وطول وتحس أن عين الله مطلعة على خفايا الضمير وذات الصدور ولهذا يقول لهم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٨.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٨.

٥ ـ المعاملة بالمثل:

قال الله تعالى ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾(١).

لقد استبقيت هذه الأحكام التى نزلت بها التوراة فى شريعة الإسلام وأصبحت جزءًا من شريعة المسلمين التى جاءت لتكون شريعة البشرية كلها إلى آخر الزمان وقد أضيف إليها فى الإسلام حكم آخر هو قوله تعالى ﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ﴾.

ولم يكن ذلك فى شريعة التوراة، إذ كان القصاص حتمًا لا تنازل فيه ولا تصدق به ومن ثم فلا كفارة.

وهكذا: النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف لا تمييز ولا عنصرية ولا طبقية ولا حاكم ولا محكوم كلهم سواء أمام القانون إن هذا المبدأ هو الإعلان الحقيقى الكامل لميلاد «الإنسان» الإنسان الذى يستمتع كل فرد فيه بحق المساواة أولاً فى التحاكم إلى قانون الإله وثانيًا: فى المقاصة على أساس واحد وقيمة واحدة.

سرقت امرأة من قبيلة مشهورة فى صدر الإسلام فأراد أحد الصحابة أن يستأذن الرسول القائد فى عدم قطع يدها.

فغضب الرسول القائد: وقال كلمته المشهورة: والله لو أن فاطمة ابنتى سرقت لقطعت يدها»(٢).

(١) سورة المائدة آية رقم ٤٥.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى فضائل النبى ١٨ والحدود ١٢ ومسلم فى الحدود ٨، ٩ وأبو داود فى الحدود ٤ وفيه: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها).

والقصاص على هذا الأساس العظيم فوق ما يحمله من إعلان ميلاد الإنسان - هو العقاب الرادع الذى يجعل من يتجه إلى الاعتداء على النفس بالقتل أو الاعتداء عليها بالجرح والكسر يفكر مرتين ومرات قبل أن يقدم على ما حدثته به نفسه، وما زينة له اندفاعه وهو يعلم أنه مأخوذ بالقتل إن قتل دون النظر إلى نسبه أو مركزه أو طبقته أو جنسه.

والقصاص على هذا الأساس يذهب بحزازات النفوس وجراحات القلوب.

فما أحوج شعوب العالم أن تفض منازعاتها على هدى من هذه المبادئ والتى تضيق ذرعًا بالقوميات والعنصريات حتى يحل السلام محل الحرب. والوئام محل الخصام.

الفصل الخامس

الوثائق السياسية
فى العهد النبوى والخلافة الراشدة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب أمان من الله ورسوله للذين أ وتوا الكتاب من النصارى من كان منهم على دين نجران أو على شيء من نحل[1] النصرانية، كتبه لهم محمد بن عبد الله رسول الله إلى ناس كافة ذمة لهم من الله ورسوله، وعهدا عهده إلى المسلمين من بعده، عليهم أن يعوه ويعرفوه ويؤمنوا به ويحفظوه لهم ليس لأحد من الولاة ولا لذى شيعة من السلطان وغيره نقضه، ولا تعديه إلى غيره، ولا حمل مؤونة من المؤمنين سوى الشروط المشروطة فى هذا الكتاب، فمن حفظه ورعاه، ووفى بما فيه فهو على العهد المستقيم، والوفاء بذمة رسول الله، ومن نكثة وخالفه إلى غيره وبدله، فعليه وزره [2] وقد خان أمان الله، ونكث

(١) النحلة: الدين.

(٢) الوزر: الذنب.

عهده وعصاه، وخالف رسوله، وهو عند الله من الكاذبين لأن الذمة واجبة فى دين الله المفترض وعهده المؤكد، فمن لم يرع خالف حرمها، ومن خالف حرمها فلا أمانة له، وبرئ الله منه وصالح المؤمنين.

وفى كتاب آخر جاء فيه:

ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبى - رسول الله على أموالهم وأنفسهم وملتهم وغائبهم، وشاهدهم، وعشيرتهم، وبيعهم[1]، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يغير أسقف[2] من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، ولا كاهن من كهانته، وليس عليهم دنية، ولا دم جاهلية، ولا يحشرون[3] ولايعشرون[4] ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل حقا فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين.

ومن أكل ربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة، ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر.

وعلى ما فى هذا الكتاب جوار الله وذمة محمد النبى رسول الله حتى يأتى الله بأمره مانصحوا وأصلحوا ما عليهم غير مثقلين بظلم.

شهد أبو سفيان بن حرب، وغيلان بن عمرو، ومالك بن عوف من بنى النضر والأقرع بن حابس الحنظلى والمغيرة بن شعبة وكتب لهم هذا الكتاب: عبد الله بن أبى بكر[5].

---

(١) البيع: الكنائس وأماكن العبادة.
(٢) راعى الكنيسة.
(٣) يحشرون: أى يجندون للحرب.
(٤) تأخذ منهم العشور: الأموال.
(٥) مجموعة الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة ص ٩٣ - ٩٨ جمعها: الدكتور محمد حميد الله الحيدر آبادى. أستاذ الحقوق الدولية العثمانية .

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله إلى حنين ولأهل خيبر والمقنا ولذراريهم ما دامت السموات على الأرض. سلام أنتم. إنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد فإنه أنزل على الوحى أنكم راجعون إلى قراكم وسكنى دياركم، فارجعوا آمنين بأمان الله وأمان رسوله، ولكم ذمة الله وذمة رسوله على أنفسكم ودينكم وأموالكم ورقيقكم وكل ما ملكت أيمانكم. وليس عليكم أداء جزية ولا تجز لكم ناصية ولا يطأ أرضكم جيش ولا تحشرون[1] ولا تحشرون[2] ولا تعشرون[3] ولا تظلمون ولا يجعل أحد عليكم رسما ولا تمنعون من لباس المثقفات والملونات ولا من ركوب الخيل ولباس أصناف السلاح. ومن قاتلكم فقاتلوه ومن قتل فى حربكم فلا يقاد به أحد منكم ولا له دية[4]. ومن قتل منكم أحد

(١) تحشدون: أي لا تجمعون للحرب أو القتال.

(٢) تحشرون: أي لا تأخذون في جيش المسلمين للقتال.

(٣) لا تأخذ منكم عشور أموالكم.

(٤) مال يدفعه القاتل لأهل المقتول.

المسلمين تعمدا فحكمه حكم المسلمين. ولا يفترى عليكم بالفحشاء ولا تنزلون منزلة أهل الذمة، وإن استعنتم تعانون وإن استرفدتم[١] ترفدون. ولا تطالبون ببيضاء ولا صفراء ولا سمراء[٢] ولا كراع[٣] ولا حلقة[٤] ولا شد الكشتير[٥] ولا لباس المشهرات ولا يقطع لكم شسع نعل ولا تمنعون دخول المساجد ولا تحجبون عن ولاة المسلمين، ولا يولى عليكم وأل إلا منكم أو من أهل بيت رسول الله. ويوسع لجنائزكم إلا (إلى؟) أن يصير إلى موضع الحق اليقين. وتكرموا لكرامتكم ولكرامة صفية[٦] ابنة عمكم. وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين أن يكرم كريمكم ويعفوا عن مسيئكم. ومن سافر منكم وهو (فهو؟) فى أمان الله وأمان رسوله. ولا إكراه فى الدين ومن منكم اتبع ملة رسول الله ووصيته كان له ربع ما أمر به رسول الله لأهل بيته تعطون عند عطاء قريش وهو خمسون دينارًا، وذلك بفضل منى عليكم. وعلى أهل بيت رسول الله وعلى المسلمين الوفاء بجميع ما فى هذا الكتاب. فمن أطلع لحنينا وأهل خيبر والمقنا بخير فهو أخير له، ومن أطلع لهم بشر فهو شر له، ومن قرأ كتابى هذا أو قرئ عليه، وغير أو خالف شيئًا مما فيه فعليه لعنة الله ولعنة اللاعنين من الملائكة والناس أجمعين، وهو برىء من ذمتى[٧] وشفاعتى يوم القيامة، وأنا خصمه، ومن خصمنى فقد خصم الله فهو فى النار وبئس المصير.

---

(١) طلبتم الطعام أو المال.

(٢) أي لا يأخذ منكم فضة ولا ذهب ولا حنطة.

(٣) الكراع: من الغنم والبقر بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدق الساعد.

(٤) الحلقة: السلاح كله والجمع حلق وقيل حلق.

(٥) الكشتيز: لعلها كلمة فارسية يقصد بها حبل يربط في الوسط ليدل علي الحزمة والضعة.

(٦) هي صفية بنت حيي بن أخطب من الخروج من أزواج النبي - ﷺ - كانت في الجاهلية من ذوات الشرف تدين باليهودية، من أهل المدينة، أسلمت فتزوجها رسول الله - ﷺ - توفيت بالمدينة عام ٥٠ هـ.

شهد الله الذى لا إله إلا هو وكفى به شهيدًا وملائكته حملة عرشه ومن حضر من المسلمين.

وكتب على بن أبى طالب بخطة ورسول الله يملى عليه حرفًا حرفًا يوم الجمعة لثالث ليال خلت من رمضان سنة خمس مضت من الهجرة.

شهد عمار بن ياسر، وسلمان الفارسى مولى رسول الله، وأبو ذر الغفارى[1]

---

(١) راجع مجموعة الوثائق السياسية مصدر سابق ص ٤٤ - ٤٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تجديد أبى بكر العهد للنجرانيين

هذا ما كتب به عبدالله أبو بكر خليفة محمد النبى - رسول الله - ﷺ - لأهل نجران.

أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى رسول الله - ﷺ - على أنفسهم، وأرضهم، وملتهم، وأموالهم، وحاشيتهم، وعبادتهم، وشاهدهم وأساقفتهم ورهبانهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير لايحشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته، وفاء لهم لكل ما كتب لهم محمد النبى - ﷺ - وعلى ما فى هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى - عليه السلام - أبدًا، وعليهم النصح والصلاح فيما عليهم من الحق.

شهد المستورد بن عمرو - أحد بنى القين - وعمرو مولى أبى بكر، وراشد بن حذيفة، والمغيرة وكتب(1).

(1) راجع مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوى والخلافة الراشدة ص ١٠٨ - ١٠٩ - مصدر سابق.

عهد عمر بن الخطاب لنصارى

المدائن وفارس

هذا كتاب من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لأهل المدائن وبهرسير[١] والجاثليق بها وقسانها وشماسنها[٢]، جعله عهدًا مرعيًا وسجلاً منشورًا وسنة ماضية فيهم وذمة محفوظة لهم، فمن كان عليها كان بالإسلام متمسكًا ولما فيها أهلاً، ومن ضيعة، ونكث العهد الذى فيه وخالفه وتعدى ما أمر به كان لعهد الله ناكثًا[٣]، وبذمته مستهينًا سلطانًا كان أو غيره من المسلمين.

أما بعد:

فإنى أعطيتكم عهد الله وميثاقه، وذمة أنبيائه ورسله وأصفيائه وأوليائه من المسلمين على أنفسكم، وأموالكم وعيالاتكم وأرجلكم (كذا) وأمانى من كل أذى وألزمت نفسى أن أكون من ورائكم ذابًا[٤] عنكم كل عدو يريدنى وإياكم بنفسى وأتباعى وأعوانى والذابين عن بيضة[٥] الإسلام، وأن أعزل عنكم كل أذى فى المؤن التى يحملها أهل الجهاد من الغارة، فليس عليكم جبر ولا إكراه على شىء من ذلك.

---

(١) لعل المقصود به (أردبشير) أو «رايو أردشير» في فارس.

(٢) رجل من رجال الدين في الديانة المسيحية.

(٣) ناكثًا: غير موفي به ومضيعًا له.

(٤) ذابًا: مدافعًا عنكم ضد الأعداء.

(٥) بيضة الإسلام حوزته وحماة بيت من بيوت العبادة للنصارى.

ولا يغير أسقف من أساقفتكم، ولا رئيس من رؤسائكم، ولا يهدم بيت من بيوت صلواتكم، ولا بيعة[1] من بيعكم، ولا يدخل من بنائكم إلى بناء المساجد ولا منازل المسلمين، ولا يعرض لعابر سبيل منكم فى أقطار الأرض، ولا تكلفوا الخروج مع المسلمين إلى عدوهم لملاقاة الحرب. ولا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية على الإسلام كرها لما أنزل الله إليه فى كتابه.

﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[2]

﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[3]

ونكف أيدى المكروه عنكم حيث كنتم، فمن خالف ذلك فقد نكث عهد الله وميثاقه وعهد محمد - ﷺ - وخالف ذمة الله والعهد الذى استوجبوا به حق الدماء، واستحقوا أن يذب عنهم كل مكروه، لأنهم نصحوا وأصلحوا ونصروا الإسلام.

ولى شرط عليهم ألا يكون أحد منهم عينًا[4] لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين فى سر ولا علانية، ولا يؤوى فى منازلهم عدوًا للمسلمين، فيكون منه وجود فرصة أو غيرة وثبة، ولا يرفدوا[5] أحدًا من أهل الحرب على المؤمنين والمسلمين بقوة عارية لسلاح ولا خيل ولا رجال، ولا يدلوا أحدًا من الأعداء ولا يكاتبوه، وعليهم أن احتاج المسلمون إلى اختفاء أحد منهم عندهم وفى منازلهم أن يخفوه، ولا

(١) بيت من بيوت العبادة للنصارى.
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٥٦.
(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٤٦.
(٤) عينًا: جاسوسًا: ينقل للأعداء أخبار المسلمين.
(٥) الرفد: العطاء والبذل من مال وسلاح وغيره.

يظهروا العدو عليه، ويرفدوهم ويواسوهم ما أقاموا عندهم. ولا يخلوا شيئًا مما شرط عليهم.

فمن نكث منهم شيئًا من هذه الشروط وتعداها إلى غيرها فقد برىء من ذمة الله ورسوله (عليه الصلاة والسلام).

وعليهم تلك العهود والمواثيق التى أخذت على الأحبار[1] والرهبان والنصارى من أهل الكتاب، وأشد ما أخذ على أنبيائه من الإيمان بالوفاء أين كانوا، وعلى الوفاء بما جعلت لهم على نفسى وعلى المسلمين رعايته لهم لمعرفتهم به والانتهاء إليه حتى تقوم الساعة وتنقضى الدنيا.

شهد على ذلك عثمان بن عفان، والمغيرة بن شعبة فى سنة سبع عشرة من الهجرة[2].

---

(١) الحبر: العالم من رجال الدين.

(٢) راجع مجموعة الوثائق السياسية - مصدر سابق ص ١١٣ - ١١٤.

الخاتمة

وملخص عن محتويات الرسالة

أحمد الله العلى القدير الذى أعاننى على إنجاز هذه الأطروحة فى فترة تكاد تكون قصيرة من عمر الزمن، والعمل الجيد ينسى صاحبه متاعب البحث، والمعاناة فى الإعداد والتجهيز، وإتمامًا للفائدة، أرى أن أقدم فى نهاية الرسالة ملخصًا بكل ما احتوته بنودها فأقول:

١ - تتبعت تطور مدلول لفظ «الاستراتيجية» فى العصور السابقة حتى صارت تعرف «بفن استخدام المعارك لتحقيق أهداف الحرب «وأنها لذلك تختص بالغايات العسكرية السياسية للدولة. ثم تناولت خصائصها بينت أن من أوليات الخصائص لها إعداد الدولة للحرب وتجهيز قواتها لردع العدو، وتحقيق النصر عليه.

٢ - تناولت نظرية الردع عند الاستراتيجية الإسلامية والدول الأخرى، وبينت أن الهدف الأساسى للردع: منع العدو من اتخاد قرار باستخدام القوة، وعرضت أقوال القادة العسكريين فى هذه النظرية ودورها فى تحقيق النصر وانتقادهم لما نادى به «كلاوزفتيز» وبينت أن أزمة الصواريخ فى كوبا خير دليل على أهمية هذه النظرية، ثم طرحت

الخصائص المميزة لاستراتيجية الردع الإسلامية والتى أخذت من إحدى مبادئ الحرب فى القرآن ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1] ثم شرحت استراتيجية الهجمات الوقائية. وبينت أن جدار الصين العظيم ليس سوى نموذج لهذه التحصينات التى كان هدفها فى النهاية رد غارات المعتدين، وحماية الحدود ضد هجمات الأعداء، وقدمت النماذج من أعمال القادة الإسلاميين.

٣- تناولت الدور الكبير الذى تقوم به العقيدة فى تثبيت قلوب المحاربين وتحصينهم ضد الخوف من القتل أو التفكير فى هم الرزق ومتطلبات الحياة، حيث إن الآجال محددة، والأرزاق مقدرة. وطرحت أقوال العلماء وقادة الجيوش فى الشرق والغرب أمثال المشير «مونتكمرى» وحرصت على نقل الكثير من أقوال هذا القائد وأيضا القائد «ايزنهاور» وغيرهم وبينت أن أثر العقيدة فى هؤلاء الرجال الذين اعتنقوا الإسلام. جعلتهم فى فترة قصيرة يهزمون قوتين كبيرتين هما قوة دولة الفرس ودولة الروم. وتناولت سماحة رجال الاستراتيجية الإسلامية مع أهل البلاد المفتوحة ودورهم الإنسانى معهم، وذيلت ذلك بشهادة «الكونت هنرى» و «جوستاف لوبون» وغيرهم.

٤- تكلمت عن دور الاستراتيجية الإسلامية فى إعداد وتجهيز الجيش، وقدمت نماذج لهيكل التنظيم وذكرت التدرج فى إعداده بدءًا من حياة الرسول القائد إلى عصر عمر بن الخطاب حاكم الدولة،

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٦٠.

ودوره الكبير فى فرض التجنيد الإجبارى ووضعه لديوان الجند، وديوان العطاء، وإقامة المدارب الخاصة للجنود والخيل، وتخصيص الأطباء والمترجمين لمرافقة الجيش، حتى صار جيشًا نظاميًا متطورًا قام بالأعباء الملقاة عليه من حماية ثغور الدولة المترامية الأطراف، إلى توسيع رقعتها بما افتتحه من بلدان.

وتناولت أنواع الأسلحة والعتاد التى استعملتها الاستراتيجية الإسلامية فى ذلك الوقت المبكر، بدءًا من الرمح والسيف، إلى استعمال الدبابة والمنجنيق، وانتهاءً بالأسطول البحرى الذى غزا قبرص وجزر الروم كصقلية وسردينيا ومالطة وغير ذلك من الثغور.

٥- تكلمت عن خصائص المقاتلين والتى تبدأ بالعقيدة الراسخة، والمعنويات العالية، والتدريبات المتواصلة، والانضباط الذى يعده البعض أساس الجندية، ودعمت هذه الخصوصية بما قاله الجنرال «بيريه» من أن العنصر الأول للتربية العسكرية هو تطبيق انضباط حازم وعادل ودائم.

وانهيت هذه الخصائص بالرقابة الداخلية أو ما يسمى بتنمية الضمير الذاتى، والتى تحول بينهم وبين الانحراف أو التردى، وتدفعهم إلى تجويد العمل وإتقانه.

٦- تكلمت عن القيادة بين النظريات المعاصرة والاستراتيجية الإسلامية، وذكرت أقوال قادة الجيوش أمثال المشير مونتكمرى والمشير «ويغل» وهو من القادة البريطانيين البارزين فى الحرب العالمية الثانية، وأيضًا اللواء الفرنسى «ويغان» وتناولت أقوال القادة الاداريين أمثال

«رالف ستوجديل» وعالم الإدارة الهندى تاجى فى الصفات التى يجب أن يتحلى ويتصف بها القائد.

— ثم ذكرت خصائص القيادة عند الاستراتيجية الإسلامية، والتى تتمثل فى بعض الصفات منها التقوى والعدل، والقدوة الحسنة، والرفق فى كل صورة وأشكاله والقناعة بمبدأ الشورى وأخيرًا استعنت بكتاب «نظامات الخدمة السفرية» الذى قال عنه اللواء الركن محمود شيت خطاب: يعد من أوثق المصادر العسكرية الحديثة، ويكاد يحصر صفات القائد فى: (أ) القرار السريع (ب) والشجاعة الشخصية (ج) والإدارة القوية الثابتة (د) وتحمل المسئولية (هـ) واللياقة البدنية، ثم ختمت صفات القيادة بكلمة الرئيس البريطانى «ونستون تشرشل» من أن شخصية القائد فى نظرى هى كل شىء فى الحرب، هى الروح التى تحارب بها الجنود، وهى السلاح الذى يضربون به، وهى المنبع الذى يستمدون منه قوتهم وإيمانهم بالنصر.

٧- ثم تناولت الاستخبارات ووضحت أنها تكاد تكون من المبادئ الرئيسية لاستقرار الدول فى مجال السلم والحرب، وأن مستقبل الأمم يتوقف على دقة المعلومات التى تصل إليها عن طريق مخابراتها ووسائل الاستطلاع عندها. وتكلمت عن وسائل الاستطلاع، وأهداف الاستخبارات فى الاستراتيجية الإسلامية، والصفات التى يجب توافرها فى القائمين بالاستخبار كالذكاء، والمرونة، والمقدرة على كشف الأسرار والتكتم، وضربت الأمثلة لذلك. وتعرضت للأخطار التى تصل إلى حد الموت لمن يقومون بهذه المهمة، سواء أكانوا من الرجال أو النساء، وقدمت النماذج لدور رجال المخابرات فى الغزروات والحروب. وأن الدور الذى قامت به مخابرات الاستراتيجة الإسلامية عجل

بسقوط دولة الفرس والروم. وفى العصر الحديث يرى الخبراء العسكريون أن النجاح الساحق الذى حققته اليابان على «بيرل هاربر» وتدمير جانب كبير من الأسطول الأمريكى، لم يكن له من سبب سوى قصور المخابرات الأمريكية فى معرفة نوايا اليابان الحقيقية مقدمًا.

٨- ثم تكلمت عن الخطة أو التكتيك قبل المعركة، وبينت أن الخطة التى تحقق هزيمة العدو هى التى تعد نتيجة للدراسات الواعية المحكمة، والاستخبارات الفاحصة الدقيقة لقوات العدو، مع معرفة طبيعة الأرض التى تدور عليها المعركة، ومعنويات المقاتلين، ومدى قناعتهم الكاملة بالهدف الذى يقاتلون من أجله. ثم تكلمت عن الخطة الجماعية فى الاستراتيجة الإسلامية، وعلاقة القائد بالجند التى لها أكبر الفاعلية فى تقوية الهمم وتحمل الجنود للمسئولية، وقدمت بعض وصايا الحكام لقادة الجيش، والمحبة المتبادلة بين القادة والجنود، وعرجت على ما فعله القادة فى عصرنا الراهن أمثال «نابليون بونابرت» الذى قال لشعبه مفتخرًا بجنده «إننى أستطيع فتح العالم بهؤلاء الرجال» وكذلك القائد الألمانى روميل «والقائد البريطانى» مونتجمرى الذى يقول: «إننى كنت أجلس وأتحدث مع جنودى كلما أمكن ذلك. وتناولت روح القتال التى تشمل خبرة القائد وحنكته، وشجاعة الجند وإيمانهم بأحقية الأهداف التى يخوضون الحرب من أجلها، وقدمت نماذج من الخطط الاستراتيجية الإسلامية، وأثرها فى المعارك الحديثة وقارنت بين ما فعله القائد «نابليون بونابرت» فى أوائل القرن التاسع عشر فى واقعة «أولم» و «أوسترليتز» واستعمل فى سبيل ذلك خطة انتقال مدهشة. وما فعله خالد بن الوليد قائد الجيوش الإسلامية من انتقاله من أرض فارس إلى أرض الروم، فى

طريق مهول مخوف، خلا من أسباب الحياة تماما. وختمت هذا الفصل بالعوامل التى أدت إلى نجاح الاستراتيجية الإسلامية فى معاركها مع الأعداء طوال عدة قرون.

٩- تكلمت عن الحرب النفسية وبينت أنها قديمة قدم الجنس البشرى نفسه، لهذا فليست الحياة سوى سلسلة من الصراع والحروب، وهذا ما يعبر عنه بمفهوم دينامية الصراعات النفسية. وقدمت النماذج للحرب النفسية فى كثير من الدول كمصر القديمة والصين واليونان وغيرهم. وقدمت التعاريف المتباينة لهذه الحرب عند القادة السياسيين والعسكريين. وتناولت أهداف هذه الحرب بالتفصيل والتوضيح بدءًا من بث اليأس وزعزعة إيمان العدو بمبادئه وأهدافه إلى تفتيت وحدة الجبهة القومية والعالمية المعادية. وعرجت على الحرب النفسية عند الاستراتيجية الإسلامية، ووضحت قواعدها التى تقام عليها. وخلصت من ذلك إلى تقديم العديد من النماذج التى استعملت من الجانبين فى الصراعات التى كانت قائمة فى ذلك الوقت. سواء ما حدث منها فى معركة القادسية على أرض فارس، أو على أرض مصر. فى شمال إفريقيا. وقدمت الأدلة والبراهين على القاعدة الصلبة والتخطيط الملهم الذى استعملته الاستراتيجية الإسلامية للوقاية من الحرب النفسية التى كان يشنها العدو على القوة الضاربة لهم. حتى باءت بالفشل.

١٠- تكلمت عن خطة المباغتة كمبدأ من مبادئ الحرب القديمة، وما زالت تحتفظ بأهميتها عند الحرب الحديثة وأسلحة التدمير الشامل، وبينت أن البحث عن المباغتة ومحاولة الوقوع عليها هدف كل قائد مارس القيادة الميدانية، وتمرس بالأعمال القتالية. لأن عنصر

المباغتة من أقوى العوامل وأبعده أثرًا فى إدارة المعارك والحروب، لما يحدثه من شلل وارتباك متوقع فى القوة الضاربة للخصم. ثم تكلمت عن أنواع المباغتة، وتباينها باختلاف الأزمنة والأمكنة، ومدى فعالية العدو ويقظته وقوة معداته.

وبينت أن الكتمان له أثره الفعال فى تقريب النصر، لأن القاعدة الذهبية التى يتداولها العسكريون: هى أن الأمة التى تكتم أسرارها الحربية، هى الأمة التى يمكن أن تحقق النصر. وبينت أن الكتمان عند الاستراتيجية الإسلامية يكاد يكون دينًا لقول الرسول القائد «استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان» ثم قدمت نماذج للمباغتة فى الحروب التى خاضتها القوة الضاربة عند المسلمين، وكيف استطاعت سرعة الحركة والمباغتة التى قامت بها القيادة الإسلامية أن تجعل فتح مصر، بعد استيلائها على حصن «بابليون» ولاشك أن تطبيق هذا المبدأ فى كثير من المعارك كان عاملاً مهمًا فى تحطيم القوى المعادية وتحقيق النصر. ثم وضحت أن القائد الحكيم، لا يجعل جل اهتمامه على القوة وحدها، بل يلجأ إلى المراوغة والمفاجأة، وكلما كان القائد على دراية كاملة بنفسية خصمه، كان هذا مدعاة لتقصير أمد المعركة. ثم تعرضت لأثر المباغتة فى المعارك الحديثة، وأن عنصر المباغتة والكتمان الذى استعملته إسرائيل فى الحرب الخاطفة على العرب فى أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧ كان له الأثر الفعال فى تثبيت أقدامها فى الأرض العربية وإقامة دولتها. ثم بينت أن خبراء الاستراتيجية يرون أن الحرب المقابلة ستبدأ بهجوم مفاجئ، وهذا يتطلب أن تكون المقبلة المسلحة لأية دولة على درجة عالية من الاستعداد نظرًا للمخترعات الحديثة، وسرعة الحركة للقوى الضاربة، والتى ليس لها مثيل بما سبق من الأزمنة.

ثم تناولت مقومات الحذر ومتطلباته أمام المباغتة والحرب الخاطفة بدءًا من الإنذار المبكر، والحراسة المستمرة إلى المحافظة على درجة الاستعداد القصوى، داخل الجيش وخارجه من ملحقاته. وختمت ذلك بأقوال القادة السياسيين والعسكريين فى السرعة الخاطفة للجيش الإسلامى، التى استطاع بها أن يحقق كل هذه الانتصارات فى مرحلة تعد قصيرة جدًا إذا قيست بغيرها من الحركات التى ظهرت على وجه التاريخ فى القديم والحديث.

١١- عند حديثى عن بدء الحرب تناولت ما نصت عليه قرارات مؤتمر لاهى سنة ١٩٠٧م من أن الحرب بين الدول الحديثة تبدأ بإحدى طرق ثلاث:

(أ) تبدأ الحرب عن طريق الإعلان (ب) أو بعد البلاغ أو الإنذار النهائى) أو تبدأ بمباشرة أعمال القتال، وبينت أن الإنذار قد يكون صوريًا، وكذلك الإعلان، وليس هناك ما يمنع قانونًا أن تفاجئ دولة غريمتها بالأعمال الحربية عقب الإعلان مباشرة، كما فعلت ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية مع الدول التى هاجمتها، وكذلك فعلت اليابان بالأسطول الأمريكى فى المحيط الهادى.

وأما بدء الحرب عند الاستراتيجية الإسلامية فهى تبدأ أيضًا بإحدى طرق ثلاث:

أولا: مباشرة أعمال القتال مع العدو فى حالة نقضه للهدنة القائمة، أو خرقه للمعاهدة المبرمة، وضربت الأمثلة على ذلك من حصار يهود بنى قريظة، وشن الحرب على يهود خيبر وذلك لمساعدتهما جيش الأعداء فى معركة الخندق.

ثانيا: إعلان الحرب على العدو بعد إخباره بنبذ العهد، وصورته أن يقول للعدو قد نبذت إليكم عهدكم وأنا مقاتلكم، ووضحت أن من مبادئ القوة الضاربة للمسلمين أنها تعاهد لتصون وتحافظ على العهد، فإذا خافت الخيانة نبذت العهد القائم جهرة وعلانية، بلا خيانة ولا غدر.

ثالثا: إبلاغ الدعوة إلى الإسلام أو الإنذار بالحرب وقدمت الوصايا والعهود التى تثبت أن حكام المسلمين كانوا يوصون قادة جيوشهم بعدم شن الحرب على الأعداء قبل دعوتهم إلى واحدة من ثلاث:

١- الدخول فى الإسلام فإن أجابوا فلا حرب ولا قتال لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[(١)] فإن رفضوا فعليهم الثانية وهى الجزية: والجزية بالنسبة لمن يرفضون الدخول فى الإسلام تعادل الزكاة للفرد المسلم، وبينت أن غير المسلم يتمتع بالأمن فى ظل الدولة الإسلامية، وبالحماية الداخلية والخارجية، كما يتمتع بالضمان الاجتماعى عند العجز والشيخوخة فيجب عدلاً أن يسهم فى هذا كله بالمال.

فإن رفضت الجزية، ورفض الإسلام قبلها كانت الثالثة: وهى القتال وإشعال لهيب الحرب.

١٢- تناولت آداب القتال عند الاستراتيجية الإسلامية واقتصرت على أربعة منها: أولاها: احترام العهود والالتزام بالمواثيق، وقلت: تفعل ذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى الذى يقول فى محكم كتابه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

(١) سورة الأنفال آية رقم٦١.

آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[1] وأكدت أن الوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة فى التعامل بين الناس فى السلم والحرب، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تسعد الإنسانية. وأنهيت هذه الآداب بالبعد عن التمثيل بجثث القتلى من الأعداء مقررًا أن مجموع هذه الوصايا تتمثل فى الآتى:

١- عدم جواز قتل غير المحاربين من النساء والأطفال والعجزة والجرحى.

٢- عدم الغدر بالمعاهدين والمستأمنين.

٣- عدم نقض الصلح إلا بعد الإنذار أو الإعلان.

٤- عدم التعرض للرهبان المقيمين فى البيع والكنائس يعبدون ربهم ويقدسونه.

٥- عدم الإفساد فى الأرض بقطع الشجر وهدم المبانى وترويع الآمنين.

٦- عدم التمثيل بجثث الأعداء بل العمل على دفنها لأنها لإنسان كرمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾[2].

١٣- ثم تكلمت عن الأمان عند الاستراتيجية الإسلامية وعرفته بأنه: هو أن يتعهد المسلم فردًا عاديًا، أو حاكمًا لدولة بتوفير الأمن والطمأنينة لشخص أو أكثر سواء أكانوا أهل حصن أو إقليم من الذين يخالفوننا فى المعتقد. فيحرم حينئذ قتلهم أو أسرهم أو الاعتداء عليهم أو أخذ الجزية منهم، وقارنت بين الأمان فى الإسلام، وبين حقوق الأجانب فى القانون الدولى.

---

(١) سورة المائدة آية ١.

(٢) سورة الإسراء آية ٧٠.

ووضحت أن هذا الأمان يعد إحدى المبادئ السامية التى جاء بها الإسلام وهذه الحراسة التى قررتها هذه المبادئ لأعداء الأمس حتى فتتوهم عن دينهم - هذه الحراسة تعد من القمم العالية لهذا الدين، والتى يجب أن تتمسك بها البشرية جمعاء، وتتعامل بها على ظهر الكرة الأرضية حتى يعمها السلام والأمان جميعًا.

ثم قارنت بين الأمان الذى جاء به الاسلام، وبين الأمان عند اليهودية والقانون الدولى المعاصر. وقدمت الأدلة على القسوة التى يستعملها اليهود مع أعدائهم حتى بعد انتهاء القتال أو الاستسلام.

وقررت أن القانون الدولى المعاصر يرتب على قيام الحرب قطع جميع العلاقات السلمية بين الدولتين المتحاربتين ويحرم كل اتصال بين إقليميهما ما عدا بعض أنواع من الاتصال سار عليه العرف الدولى، ونصت عليه المعاهدات مثل استعمال الراية البيضاء ووقف القتال لمدة محدودة لإعانة الجرحى ودفن القتلى.

وأيضًا ما يفعله أتباع المسيح من الصرب فى البوسنة والهرسك ضد المسلمين من القتل الجماعى والإبادة الشاملة، وحرق جثث القتلى وهم أحياء، والاعتداء على الأعراض والأطفال، والعجزة، والنساء.

وبينت أن عيسى عليه السلام قد أمرهم بغير ذلك وقدمت النصوص من الكتاب المقدس والتى يدعو فيها إلى السلام والمحبة والوئام.

ووضحت أن فكرة السلام كانت هى السائدة طيلة ثلاثة قرون إلى أن جاء القديس (أوغسطين) فى ابتداء القرن الرابع الميلادى الذى فسر الدين فى مؤلفين على أساس الاعتراف بمشروعية الحرب،

باعتبارها من أعمال القضاء العادل المنتقم، ولأنها لصالح المنهزمين، ومن أجل ضمان السلام.

ثم تناولت حقوق المستأمن فى بلاد الإسلام ووضحت أن من حقه الانتفاع بكل ما يضمن له إقامة هادئة وحياة كريمة، فى حدود القواعد والتشريعات التى تقررها مبادئ الاسلام.

وقارنت بين إقامة المستأمن وبين حقوق كسب الجنسية وفقدها فى القوانين الحديثة. وبينت أن من حق المستأمن أن يلجأ إلى التقاضى فى محاكم الدولة، وهذا ما نادت به اتفاقية جنيف عام ١٩٤٩ فى المادة ٤٢ من منح الرعايا الأعداء حق التقاضى سواء أكانوا مدعين أو مدعى عليهم. وختمت ذلك بالالتزامات التى يطالب بها قانون الإسلام المستأمن، والتى لا تخرج فى مضمونها عن الالتزامات التى يطالب بها كل فرد فى الدولة الإسلامية من مراعات حقوق الآخرين والعمل بما قررته الدولة.

١٤- ثم تناولت إنهاء الحرب عند الاستراتيجية الإسلامية، أو إبرام الصلح، وقررت أن الحرب فى الإسلام أمر طارئ والسلام هو القاعدة التى يبنى عليها سياسته تنفيذاً لقوله تعالى (وإن جنحوا للسلم فاجنح لهـا وتوكل على الله) وقدمت الأدلة على ذلك من قرارات الحكام ووصايا القادة. وبينت أن الحرب يمكن أن تتوقف إذا قرر العدو الدخول ى الإسلام أو دفع الجزية لأنه لا إكراه على قبول الإسلام لقوله تعالى (لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى) وفى إعلان الإسلام يكفى أن يقول كلمة «لا إله إلا الله» لقول الرسول القائد: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم».

وبينت أن الجزية ممكن أن تسقط عن المخالفين لنا فى الدين فى حالة اشتراكهم فى الدفاع عن الوطن، ووقوفهم جنبًا إلى جنب فى القتال مع المواطنين. وتسقط الجزية أيضا فى حالة ضعف المسلمين عن الدفاع عنه، وقدمت الأدلة على ذلك بما حدث فى صدر الإسلام فى المعارك التى دارت على أرض الشام بين المسلمين وبين الروم. حيث أمر القائد برد أموال الجزية لأهل الشام عندما عجزوا عن حمايتهم أمام طغيان الروم، وذلك ما حدث أيضًا فى الحروب الصليبية فقد أمر صلاح الدين برد أموال الجزية إلى أهل حمص. عندما عجزت القوة الضاربة للمسلمين عن حمايتهم ووضحت أن النصارى القاطنين اليوم فى بلاد الإسلام والذين يلتزمون بالخدمة العسكرية، ويشتركون فى الحرب ضد الأعداء، أو يكونون عرضة لذلك، لا تأخذ منهم جزية. فقط يلتزمون بدفع الضرائب للدولة كبقية المواطنين.

١٥- ثم تناولت المعاملة الإنسانية لأسرى الأعداء وعقدت مقارنة بين معاملة الأسير قديمًا وحديثًا. وكيف كان الأسرى قديمًا يذبحون أو يقدمون قرابين للآلهة ثم صاروا يستعبدون ويصيرون سلعة للبيع والشراء. وذكرت ما كانت تفعله دولة الفرس والإغريق من تقديم أسراهم للوحوش الضارية والنسور الجارحة، وذكرت ما كانت تفعله الاستراتيجية الإسلامية مع أسرهم من تكريمهم والرفق بهم لقول الرسول القائد «استوصوا بالأسارى خيرًا».

وعندما أسر المسلمون يهود بنى قريظة أمرهم الرسول القائد بأن يجلسوهم فى الظل ويبعدوهم عن وهج الشمس بقوله: «لا تجمعوا عليهم حر هذا اليوم وحر السلاح قيلوهم - أى ضعوهم فى مكان فيه ظل وهواء. وقارنت بين هذه المبادئ وبين ما وضعه القانون الدولى فى

لائحة لاهاى للحرب البرية سنة ١٩٠٧م المواد ٤-٢٠ واتفاقية جنيف سنة ١٩٤٩ ولقد نصت الاتفاقية فى المادة ١٢ وما بعدها على حماية الأسرى وعدم الاعتداء عليهم أو إهانتهم يقول نص المادة.

«يعتبر أسرى الحرب تحت سلطة العدو، لاتحت سلطة الأفراد والوحدات العسكرية التى أسرتهم، والدولة الآسرة تعتبر مسئولة عن كيفية معاملتهم «وكذلك المادة ١٣ من هذا القانون:

وهذا ما أمر الإسلام به قبل صدور القانون الدولى بأربعة عشر قرنًا من الزمان وتناولت معتقلات الأسرى، وطعامهم وكسوتهم، لأن القرآن الكريم يحض على إطعام الأسير، ووصف من يفعل ذلك يكون فى قمة لقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمًا وأسيرا) وكان الرسول القائد يقول لهم دائما «أحسنوا إلى الأسرى» وقال لأصحابه - عن أحد الأسرى «أجمعوا ما عندكم من طعام فابعثوا به إليه، فكانوا يقدمون إليه لبن لقحة - أى ناقة حلوب - وهذا أغلى شىء كانوا يملكونه فى ذلك الوقت من الطعام.

ثم وضحت مبدأ الاستراتيجية فى عدم إكراه الأسير على الإدلاء بمعلومات عسكرية، لأن شريعة الإسلام، لا تجوز إكراه الأسير على الإدلاء بأية معلومات من شأنها أن تفيد المسلمين.

وقارنت بين ما قرره الإسلام وما قرره القانون الدولى عام ١٩٤٩م فلا تجيز اتفاقية جنيف التى وقعتها الدول الأعضاء فى هذا التاريخ - للدولة المحاربة استعمال الضغط على الأسير للحصول على معلومات تفيدها فى عملها العسكرى ضد دولته.

ثم تكلمت عن أنواع الأسرى الذين يقعون فى قبضة القوى الضاربة للمسلمين، والأحكام التى تتعلق بكل منهم وهى كالآتى:

أ- أسير: لا يطلق سراحه لأن فى فك قيوده خطر على الدولة.

ب- أسير: يطلق سراحه ويرسل إلى بلاده بدون مقابل.

ج - أسير: يطالب بدفع مبلغ من المال للدولة الآسرة - وهو ما يسمى بالفداء، لأن دستور المسلمين يقرر هذا بشأن الأسرى بقوله «فإمامنًا بعد وإما فداء» وقد أطلق الرسول القائد سراح أسرى أهل اليمن بلا فدية ولا مال ، وبينت أن الأسير إذا كان يجيد القراءة والكتابة أعفى من المال وكلف بتعليم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

ووضحت حكم الأسرى من العجزة ومن فى حكمهم من النساء والأطفال حيث يطلق سراحهم ولا يجوز أسرهم، لعدم تعرضهم لأعمال القتال، وقارنت بين حكم الإسلام وبين ما قررته معاهدة جنيف عام ١٩٤٩م «من أن الأطباء والممرضين ورجال الدين لا يجوز التعرض لهم، ولا يجوز أخذهم أسرى حرب، لقيامهم بخدمات إنسانية نحو المرضى والجرحى لكلا الطرفين المتحاربين.

وقلت بناء على ماسبق إن الاستراتيجية الإسلامية فى كل حروبها كانت بعيدة كل البعد عما كان سائدًا فى القرون الوسطى من إعدام الأسرى أو ذبحهم، وما فعله قادة بعض الأوربيين فى حروبهم الحديثة أمثال نابليون بونابرت قائد جيوش فرنسا - صاحبة حقوق الإنسان فى ثورتها المعروفة - والذى أباد ما يزيد على أربعة آلاف جندى فى عكا بعد أن سلموا أسلحتهم، وكما فعل النازيون وغيرهم فى الحرب العالمية

الثانية، حيث كانوا يقتلون الآلاف المؤلفة من الأسرى ويذيقونهم قبل القتل أشد العذاب.

وبينت أن الإسلام ينهى عن المثلة والتمثيل بالقتلى كما كان يفعل فى القديم من قطع أعضاء القتيل، أو يسلموا عنيه، أو يجدعوا أنفه، أو يحرقوه بالنار وذلك لأن دستورهم يناهم عن ذلك بقوله:

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾[1].

وقدمت الدليل من أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله دعنى أنزع ثنيتى سهيل بن عمرو - خطيب قريش فى ذلك الوقت - فلا يقوم عليك خطيبًا فى موطن أبدًا.

فقال الرسول القائد «لا أمثل به فيمثل الله بى وإن كنت نبيًا».

من هنا يتبين أن القوة الضاربة للمسلمين لا تمثل بقتلى العدو لأنهم آدميون لهم حق التكريم أحياء وأمواتًا.

ورددت على هؤلاء الذين عابوا على المسلمين حملهم السيف وجهادهم فى سبيل الله وعقدت مقارنة بين «سيف المسلمين» الذى تحول إلى خشب أو إلى عصا يتكئ الخطيب عليها إذا خطب، وبين سيفهم الذى تحول إلى قنابل ذرية، وقنابل هيدروجينية والذى يقتل بضربة واحدة عشرات الآلاف من الضحايا فى آسيا وإفريقيا وغيرهما. وما حدث فى «هيروشيما» وفى مناجم الفحم فى «روسيا» ليس ببعيد.

---

(١) النحل آية رقم ١٢٦.

ووضحت أن الاستراتيجية الإسلامية لا تجبر أحدًا للدخول فى الإسلام، لأن دستورهم ينهاهم عن ذلك بقوله:

﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾(١).

ثم قال: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٢).

وبنيت أن من سماحة الإسلام عدم التفريق الأسرى مراعاة للجانب الانسانى والرحمة بالنساء والأطفال إذا كانوا من جملة الأسرى يقول الرسول القائد: «من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة».

١٦- ثم تكلمت عن المبادئ الأساسية للاستراتيجية الإسلامية فى السلم والحرب، بدءا من الوفاء بالعهود، الذى هو الضمان لبقاء عنصر الثقة فى التعامل بين الناس وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع، ولا تستقر الدول مع ويلات الحروب، وأنهيت هذه المبادئ بالعدالة المطلقة، التى لا تميل يمنة ولا يسرة. وقدمت الدليل على ذلك من دستور المسلمين الذى يقول: (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) وقدمت النماذج والأدلة على ذلك من تاريخ المسلمين فى الحروب. وإذا كان الأمر كذلك فما أحوج شعوب العالم أن تفض منازعاتها على هدى من هذه المبادئ والتى تضيق ذرعًا بالقوميات والعنصريات حتى يحل السلام محل الحرب والوئآم محل الخصام.

---

(١) سورة يونس آية ٩٩.

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦.

١٧- ذيلت الرسالة بمجموعة من الوثائق السياسية فى العهد النبوى والخلافة الراشدة. وهى كالآتى:

١. كتاب أمان من محمد الرسول القائد إلى نصارى نجران.

٢- كتاب أمان من محمد الرسول القائد إلى حنين وأهل خيبر والمقنا من اليهود.

٣- تجديد العهد والأمان من خليفة المسلمين الأول إلى أهل نجران.

٤- عهد عمر بن الخطاب الخليفة الثانى لنصارى المدائن وفارس.

٥- نماذج من الوثائق.

٦- خاتمة الرسالة والملخص لها.

وأخيرًا: ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. هذا وبالله التوفيق والسداد.

---

(١) النحل آية رقم ١٢٦.

•• ثبت بالمصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- صحيح الإمام البخارى: للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى. ط دار إحياء التراث.

٣- صحيح مسلم: للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى. دار إحيار التراث العربى بيروت لبنان.

٤- سنن الترمذى لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ط الفجر الحديثة حمص.

٥ - سنن النسائى ط مكتب التربية العربى لدول الخليج.

٦ - مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيبانى ط المكتب الإسلامى دار صادر بيروت.

٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلونى ط دار الكتب العلمية.

٨ - المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية اللواء محمد جمال الدين محفوظ ط دار الاعتصام.

٩- مقالة عن الاستراتيجية فى دائرة المعارف البريطانية نقلا من المدخل إلى العقيدة اللواء محمد جمال الدين محفوظ.

١٠- انظر كتاب تأليف Strategy كذلك كتاب Liddel Hart von Calu-witz On War By B. H نقلا من المدخل إلى العقيدة للواء محمد جمال الدين محفوظ.

١١- مدخل إلى العلوم العسكرية: اللواء يوسف إبراهيم ط ثانية ١٩٨٦ ط شركة الطباعة العربية السعودية.

١٢- الفن العسكرى الإسلامى أصوله ومصادره: العميد الركن دكتور ياسين سويد ط أولى ١٩٨٨.

١٣- الاستراتيجية: الاقتراب غير المباشر - ليدل هارت.

١٤- مدخل إلى الاستراتيجية العسكرية: الجنرال أنديه بوفر (ترجمة أكرم ديرى).

١٥- نحو عقيدة عسكرية إسلامية اللواء: محمد جمال الدين محفوظ.

١٦- سيرة ابن هشام تحقيق محيى الدين عبد الحميد، ط المكتبة الفيصلية - مكة المكرمة.

١٧- أوليات الفاروق السياسية: غالب عبد الكافى القرشى ط المكتب الإسلامى.

١٨- عقبة بن نافع بسام العسلى ط دار النفائس.

١٩- الرياض النضرة.

٢٠- تاريخ ابن الأثير المسمى: الكامل فى التاريخ ط دار صادر بيروت.

٢١- قتيبة بن مسلم الباهلى: بسام العسيلى ط دار النفائس.

٢٢- تاريخ ابن عساكر.
٢٣- جغرافية فن الحرب: تعريب اللواء الركن حسن أحمد البدرى والدكتور طه بن عثمان الفراء. كلية الملك خالد العسكرية ١٩٨٦م.
٢٤- قادة فتح العراق والجزيرة اللواء محمود شيت خطاب دار الفكر جـ١ ثانية ١٩٧٣م - ١٣٩٣ هـ.
٢٥- رجال أنزل الله فيهم قرآنا: عبد الرحمن عميرة: دار اللواء الرياض.
٢٦- مختصر سياسة الحرب: للهرثمى تحقيق عبد الرءوف عون راجعه د. محمد مصطفى زيادة.
٢٧- الأحكام السلطانية للماوردى تحقيق عبدالرحمن عميرة ط دار الاعتصام القاهرة.
٢٨- السبيل إلى القيادة للقائد البريطانى مونتجمرى..
٢٩- الحرب عبر التاريخ: الفيلد مارشال مونتجمرى نقلا من كتاب العقيدة والقيادة للواء الركن محمود شيت خطاب المصدر السابق.
٣٠- حضارة العرب - جوستاف لوبون - ترجمة عادل زعيتر.
٣١- هذا هو الطريق - د. عبد الرحمن عميره - ط دار اللواء الرياض.
٣٢- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للمودودى.
٣٣- ضحى الإسلام للأستاذ أحمد أمين ط العاشرة - دار الكتاب العربى - بيروت لبنان.

٣٤- الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم: إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

٣٥- كتاب الأغانى للأصفهانى ط الهيئة العامة المصرية للكتاب.

٣٦- وفيات الأعيان. (أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان) مكتبة النهضة المصرية.

٣٧- الإسلام خواطر وسوانح ترجمة أحمد فتحى زغلول.

٣٨- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة للدكتور محمد حميد الله ط لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٦ هـ.

٣٩- عيون الأخبار لابن قتيبة ط: دار الكتاب العربى ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥م.

٤٠- رياض الصالحين قدم له د. محمد جميل غازى ط مكتبة التراث الإسلامى - القاهرة.

٤١- نهاية الأرب للنويرى ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٢- النظم الإسلامية نشأتها وتطويرها: للدكتور صبحى إبراهيم الصالح.

٤٣- أشهر مشاهير الإسلام فى الحروب والسياسة: رفيق العظم.

٤٤- الأحكام السلطانية للفراء. (محمد بن حسين الفرا) القاهرة ط البابى الحلبى ١٣٥٧ هـ.

٤٥- كتاب الفروسية لابن القيم الجوزية ط دار الكتب العلمية لبنان.

٤٦ - كتاب حلية الفرسان تأليف على بن عبد الرحمن بن هزيل: تحقيق محمد عبد الغنى حسن - دار المعارف القاهرة ١٣٦٩ - ١٩٤٩.

٤٧- كتاب التمدن الإسلامى : جرجى زيدان.

٤٨- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠م.

٤٩- المخصص لابن سيده.

٥٠- شعر الحرب لأنور الجندى.

٥١- البيان والتبيين للجاحظ ط دار الفكر - دار الجيل، بيروت لبنان.

٥٢- كتاب السلاح فى الإسلام: عبد الرحمن زكى.

٥٣- كتاب القيادة : للدكتور نواف كنعان.

٥٤- الإدارة فى عهد عمر بن الخطاب د، سليمان الطماوى.

٥٥- تفسير القرطبى: المسمى بالجامع لأحكام القرآن ط دار الكتب المصرية ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧م.

٥٦- الرسول القائد للواء الركن محمود شيت خطاب ط - دار الفكر لبنان ط خامسة ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م.

٥٧- بين العقيدة والقيادة محمود شيت خطاب ط - دار الفكر بيروت ١٤٠٣ - ١٩٨٣م.

٥٨- معارك خالد بن الوليد للعميد الركن دكتور ياسين سويد ط المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٥٩- البداية والنهاية لابن كثير المتوفى ٧٧٤هـ ط مكتبة المعارف بيروت.

٦٠ - قادة الفتح الإسلامى: محمود شيت خطاب ط دار الفكر - بيروت ١٩٧٣ - ١٣٩٣ (المغرب العربى).

٦١- تهذيب ابن عساكر المتوبى سنة ٥٧٧ هـ ط المسيرة - بيروت.

٦٢ - تاريخ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ط مصر المطبعة الأميرية ١٣٨٤ هـ.

٦٣- الجاسوسية بين الوقاية والعلاج أحمد هانى.

٦٤- فن إدارة المعركة محمد فرج ط مجمع البحوث الإسلامية الأزهر مصر ١٣٩٥ - ١٩٩٥م.

٦٥- الاستراتيجية العسكرية الإسلامية بين النظرية والتطبيق محمد فرج - ط مجمع البحوث الإسلامية.

٦٦- الفن العسكرى الإسلامى: العميد الركن د. ياسين سويد - شركة المطبوعات - بيروت لبنان.

٦٧- ملف الثمانينيات عن حرب المخابرات - سعيد الجزائرى - دار الجيل ودار دمشق ١٩٨٩م.

٦٨- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة. ط وزارة الثقافة والإرشاد القومى.

٦٩- تاريخ الإسلام للذهبى المتوفى سنة ٧٤٨م دار الكتاب العربى.

٧٠- خالد بن الوليد للشيخ صادق عرجون ط الدار السعودية جدة.

٧١- فى ظلال القرآن: سيد قطب ط ٧ دار إحياء التراث العربى بيروت - لبنان.

٧٢- الطبقات الكبرى لابن سعد دار صادر بيروت - لبنان.

٧٣- الحرب العالمية الثانية - تعريب سهيل سماحة وزميله.

٧٤- الإصابة فى تمييز الصحابة ط دار بيروت.

٧٥ - الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر تحقيق على محمد البجاوى ط مطبعة نهضة مصر.

٧٦- الطريق إلى المدائن د. أحمد عادل كمال نقلا عن جودرن وليوبوستمان.

٧٧ - سيكولوجية الإشاعة - ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل رزق ط دار المعارف مصر ١٩٦٤م.

٧٨- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس د. السيد عبد العزيز سالم.

٧٩- دولة الإسلام فى الأندلس: للأستاذ محمد عبد الله عنان.

٨٠ - علم النفس الاجتماعى دكتور حامد عبد السلام هارون أستاذ الصحة النفسية - جامعة عين شمس ط ٤ عالم الكتب - القاهرة.

٨١ - نظرات فى الحرب الحديثة للأستاذ صبحى عبد الحميد.

٨٢- الرأى العام والحرب النفسية للدكتور مختار التهامى.

٨٣- الحرب النفسية صلاح نصر - ط دار القاهرة للطباعة والنشر ١٩٧٢م.

٨٤- استراتيجية الإعلام العربى للسيد عليو ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨م.

٨٥- الشائعات والضبط الاجتماعى: محمود أبو زيد ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.

٨٦- معارك العرب الكبرى للضابط الركن محمود الدرة منشورات الفاخرية - الرياض ودار الفكر العربى - بيروت.

٨٧- إدارة المعارك أو الاستراتيجية الحربية - د . عبد الرحمن عميرة - محاضرة القيت على ضباط الجيش العمانى.

٨٨- مجلة الحرس الوطنى السعودى السنة الخامسة العدد ١٤٧ أكتوبر ١٩٩٤ م والسنة السادسة العدد الثانى والثلاثون يوليو ١٩٨٥ والعد الثانى والعشرون سبتمبر ١٩٨٤م.

٨٩- تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى دار الكتب العلمية - بيروت.

٩٠ - مغنى المحتاج إلى شرح المنهاج ط الحلبى القاهرة ١٣٥٢ هـ ١٩٣٣م.

٩١- أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية.

٩٢- القانون الدولى العام فى وقت السلم للدكتور حامد سلطان ط ثانية ١٩٦٢م.

٩٣- المغنى لابن قدامة ط مكتبة الجمهورية القاهرة - ومكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٩٤- سفر التثنية - العهد الجديد الإنجيل بيروت جمعيات الكتاب المقدس ١٩٥٠م.

٩٥- قانون الحرب والحياد للكتور جنينه ط القاهرة ١٩٤٤م.

٩٦- مبادئ القانون العام للدكتور حافظ غانم ط ثانية ١٩٥٩م.

٩٧- العلاقات الدولية للدكتور العمرى ط القاهرة ١٩٥٧م.

٩٨- العلاقات الدولية للدكتور أحمد شلبى ط خامسة ١٩٨٧م. ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

٩٩- المخابرات والعالم للأستاذ سعيد الجزائرى - دار الجيل بيروت ط السادسة ١٤١٢ هـ ١٩٩١م.

١٠٠ -الجهاد لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ط - دار الجيل تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة.

١٠١ - المخابرات الدولة الإسلامية للدكتور/ سلامة محمد الهرفى ط المركز العربى للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ١٤٠٨ هـ.

١٠٢ -العقيدة والقوة معًا للأستاذ محمد عبد الله السمان ط دار الجيل - بيروت ١٣٩٤ هـ.

١٠٣- دور المرأة فى الاستخبارات الإسلامية للدكتور سلامة محمد الهرفى ط ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م.

١٠٤- آثار الحرب فى الفقه الإسلامى -دراسة مقارنة للدكتور وهبة الزحيلى . دار الفكر ثالثة ١٤٠١ - ١٩٨١م.

١٠٥ - سنن البيهقى أحمد بن حسين البيهقى ط دار المعارف العثمانية بحيدر آباد ط أولى ١٣٥٤ هـ.

١٠٦- المبسوط فى الفقه الاسلامى للسرخسى ط أولى ١٣٢٤ هـ.

١٠٧- فتح القدير: شرح الهداية للمرغيتانى ط مصطفى محمد القاهرة.

١٠٨- التشريع الجنائى للأستاذ عبد القادر عودة ط ثانية ١٣٧٨ هـ.

١٠٩ - مجمع الزوائد منبع الفائد للهيثم ط مكتبة القدس القاهرة ١٣٥٣ هـ.

١١٠- الجهاد فى الإسلام المستشار توفيق على وهبه ط دار اللواء الرياض.

١١١ - نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار (محمد بن على الشوكانى) ط المطبعة العثمانية المصرية ١٩٥٧م.

١١٢- بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد ط الاستقامة ١٣٧١هـ.

١١٣- حضارة الإسلام - عبد العزيز سيد الأهل ط لجنة التعريف بالإسلام.

١١٤- نظرية الحرب فى الشريعة الإسلامية د. إسماعيل أبو شريعة ط مكتبة الفلاح - الكويت ١٤٠١ هـ ١٩٨١م.

١١٥- الحروب الصليبية، تأليف أرنست باركر نقله إلى العربية الدكتور السيد الباز العرينى ط دار النهضة العربية بيروت لبنان.

١١٦- الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين د. محسن محمد حسين ط مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

١١٧ - أبطال الفرقة ١٩ مقاتلون فوق العادة فريق يوسف عفيفى ط دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع ط أولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

١١٨- الجيش الأيوبى فى عهد صلاح الدين دكتور: محسن محمد حسين ط : مؤسسة الرسالة ط أولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م.

١١٩ - الجيش العربى الإسلامى مقدم ركن درع حازم إبراهيم العارف بغداد - العراق.

١٢٠- ديوان الجند: عبدالعزيز عبد الله السلومى. ط مكتبة الجامعة - مكة المكرمة.

●● فهرس الموضوعات

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
WWW. egyptianbook. org
E - mail : info @egyptianbook.org